

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّعْمَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ، بِمَحِثِ تَلَاوُحِ
فِيهِ نَا السَّحْرِ بِجَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

المجلد الرابع

الناسخ دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليبر بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ،
وكان قد جاء إلى الكوفة لتقال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليبر إليها :
كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِحَّةَ الْمُقْبَلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ ^(١)
لَهْنِكَ أَوْلَى لِأَعْمٍ بِمَلَامَةٍ ، وَأُخْوَجُ مِنْ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ ^(٢)
تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ بِجِدِي مِثْلِي ^(٣)
مُحِبٌّ كُنِّي بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ ^(٤)
وَبِالشَّرِّ عَنِ شَمْرِ الْقَيْسِ غَيْرِ أُنِّي جَنَاهَا أَجْبَائِي وَأَطْرَافَهَا رُسُلِي ^(٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء ، لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى باللوم وأحوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) منك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيته به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكني كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالعرالي . يقول : فالمعالي هي أحبائي ورسلي التي تتركب - بيني وبينها : هي الأئمة - الرماح - يريد : أي أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فُوَادًا لَمْ تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ لِعَيْرِ الثَّنَائِيَا الْفُرِّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ (١)
فَمَا حَرَمَتْ حَسَنَاهُ بِالْمُهْجَرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقَتْهَا مِنْ شَكَى الْمُهْجَرِ بِالْوَصْلِ (٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَمْبُ الْعُلَى فِي الصَّغْبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ (٣)
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ لَبْرِ النَّجْلِ (٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والفِر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم - القدر - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للمعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغايات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغها ؛ ومن شكى المهجر هو العاشق : أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن الحرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقفاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المهجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ فحرمتك وصلها فضلا عن تبليخك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلي ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهي التي لم يبلغها أحد - في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعني لا يدرك من المعالي ما تجلي قيمته إلا بتسكف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمها - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدن أن أدرك المعالي رخيصة - أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابي :

حَدِرَتْ عَلَيْنَا الْمَوْتُ وَأَخْلِيلٌ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرِيتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامَ دَلِيرِ بْنِ لَشْكَرٍ وَزَلِي ^(٢)
تُمْرُ الْأَنْبَابُ الْخَوَاطِرُ يَدِينَنَا ، وَنَذْكَرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلُّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأسود ^(١)
هذا : وقال الواحدى : قرى على النبي لقمان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخليل تلتقى : يروى والخليل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛
والإدعاء في الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلًا : يقول : تخافين
علينا الموت عند التعام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبرى : يشير إلى الموقعة التي
شهدها في الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا المدوح إليها .

(٢) الغبين - - المغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبته في
البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت هنا : ابتعت ، ويروى شريت ، « ودلير »
و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
والمسعود ، وقال اليازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
كانت علينا ، وكنت أنا من جملة المهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجحاً
مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا المدوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح اليم . وضيمها -
والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كمينين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاضرة بيننا وبين أعدائنا
تصير مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للبراة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي (١)

يَاربُّ سَدَدْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَدُنِّي لِنَفْسِي
* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حمى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به للثقل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَيْيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلا له في واديه حمض وشوحط فيما ربي نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط نابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَاربُّ سَدَدْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَدُنِّي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

أَنْحَتُ صَفْرَاءَ كَلُونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءَ لَيْسَتْ كَالْقَسِيِّ التُّسْكَسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هِنَّ رَبِّي أَشْهُمٌ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهِ الْبَنَانُ

كَأَنَّما قَوْمَهَا مِيزَانُ فَأَبْشِرُوا بِالْخُصْبِ يَا صَبِيانُ

إِنْ لَمْ يُعْقِنِي الشُّومُ وَالْحَرْمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قنرة له - القنرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى غيراً منها ، فأثقله . وأورى السهم في الصوانة ناراً ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعُوذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرْمَانِ

مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ فِي الصَّوَّانِ *

وقد قال البحرى

* إن سِيرَ الخليطِ حين استَقلا *

ثم قال في هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقال ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو في « مخلولى » ردف لأنها سا كنة قبل حرف الروى . وليس في هذه القصيدة قافية مرفعة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، بيد أنه جاء في الشعر القديم :

إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حكيمأ ولا توصو

يُورى شَرَازَ النارِ كالمقيانِ أخلفَ ظنِّي ورجأ الصبيانِ

ثم وردت الحمر ثانية فرمى غيرها منها فكان كالمضى من رمية فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القدرِ لا ببارك الرحمن في أمِّ القُترِ

أمفِطُ السهمِ لإرهاقِ الضرِّ أم ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظرِ

* أم ليسَ يُعنى حَذَرٌ عندَ قدرٍ *

« المفظ والإمقاط : سرعة النزع بالسهم » ثم وردت الحمر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من رمية فقال :

إني لشوئى وشقائى ونكدى قد شفت منى ما أرى حرَّ الكيدِ

أخلفَ ما أرجو لأهلى وولدى *

ثم وردت الحمر رابعة ؛ فكان كما مضى من رمية الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الحباجيبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

إذ أمكن العيرُ وأبدي جانباً فصار رأبى فيه رأياً كاذبا

ثم وردت الحمر خامسة ؛ فكان كما مضى من رمية ، فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدها أحملُ قوسى وأريدُ ردها

وَلَوْ كُنْتُ أُذْرِي أَنَّهُ سَبَّ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ (١)

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لِيْبِيَا وَلَا تَعْصِبْ (١)

(١) يقول: لو كنت أعلم علما ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سببا لهيء المدوح إلينا والتلئ بقربه: لزاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل. قال المبكري: يشير إلى الوصية التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة.

أَخْزَى إِلَهِي لِيْنَهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجِي مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه قطعها ، ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا لَبَسْتُ خُصِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَمَمَرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي (١) وَبَعْدَهَا:

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسِ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصْرُ الْحَدِيثِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَأْ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصْهُ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخْرَعَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ

وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، ونص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فسه : يعني من مخرجه الذي قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً
دَعَيْتَكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْحِلِّ (١)
ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُولَنَا
بُجْرْدُ ذِكْرٍ مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْوَصْلِ (٢)
وَتَرَمِي نَوَاصِيهَا مِنْ أَسْمِكَ فِي الْوَعَى
بِأَنْفَذَ مِنْ نَشَابِنَا وَمِنَ النَّبْلِ (٣)
فَإِنْ تَكَ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا
فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرَكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والخوف : يروي البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والهل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجذب بجود راحتك :

(٢) أنبي : جعلها نايبة لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تقاضها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفتت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أمضى من السيف .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء - وإن لم يجر لها ذكر - وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوعى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا سميناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنام بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصعق ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذْ أَوْقَمْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لي الشرابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصمت بالطعام غصصاً - من باب تمب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم ييلعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس المراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبِ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبُلِ (١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبٍ يُؤْتِرُنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ (٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بَوَاحِشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَعِيهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي (٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت أتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهي حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤترن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤتر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد وعلياً للراتب .

(٣) خيل : عطف على « تنس » ؛ والمرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بحيل سابقة طاردة للوحوش ، لاترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا مررتنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا المرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الحيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدَ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : اطير واثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرأيد : الذي يرسله القوم يطلب لهم السكلا ومساقط الفيث . وقوله رأيد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو في داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر بيلده لا يتعنى بنشدان الموضع للمطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزي : أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشُّوقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (١)
 أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَعَى الشُّوَيْهَاتِ وَالْإِبِلِ (٢)
 أَبِي رَبِّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
 وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْخَلِيثَ مِنَ الْأَكْلِ (٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذبا في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدوح لو تأخر عن الهجاء إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهِيَ قَرِيبٌ

(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمى المدوح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشويهات جمع شوية ، تصغير شاة . يقول . إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؛ يعنى أنهم ليسوا أهلا لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، وبأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأثني ضبة ، والعرب تستقدر الورد ، وهو دابة على خلفة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلاتأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب للواء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : وردأ يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرْدًا

وَصِلِّيَانًا بَرْدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« سرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، يثبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زردا : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل اللتحات »

وَقَادَ لَهَا دَلِيذُ كُلِّ طِيْمَرٍ
وَكُلَّ جَوَادٍ تَلَطَّمُ الْأَرْضَ كَفَهُ
فَوَاتٌ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجْلِ

(١) الطمرة: الفرس العالية الوثابة. وتنيف: تشرف. والسحوق: النخلة الطويلة يقول: قاد هذا المدوح لـكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق - طويلة - قد أشرف خذاها من فوقها؛ وهذا من قول الآخر:

كَانَ الْجِسْمَ لِلرَّائِبِ طَوْدٍ وَهَادِيهَا كَأَنَّ جِذْعَ سَحُوقٍ
هَذَا : وَيُقَالُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ وَجِبَارَةٌ وَجَنُونَةٌ وَبَاسِقَةٌ ؛ يَرِيدُونَ الْمَاءَ ، وَأَنَّهَا مَخْتَمَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِالتَّعَبِ ، وَأَنْشَدُوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عَجَاجَةً سَاطِعَةَ الْعَثَانِينَ
* تنفضُ مَا فِي السُّحُقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل وعثون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر البوار جرا » .

(٢) الجواد: الفرس الكريم، وبأغنى: أي بمخافر أغنى، لحذف الحافر للعلم به؛ والحديد: بيان للنعل. يقول: وقاد لها كل فرس جواد، قوى الأسر. شديد الخلق بضرب الأرض بمخافر مستغن عن النعل بصلاية خلقته، كما يستغنى النعل عن النعل. وسمى حافره كفا: استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول جيبه الأمدى يصف ضيفا طارقا أسرع إليه:

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شِقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ
يَمْرِيهِ : يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْجَرِيِّ « .

(٣) ولت: أدبرت. والضمير: للقبيلة. وترىغ: تطلب. وخلفت: تركت خلفها. يقول: إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونعمة، فلما طمعت في الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعني أمنا ونعمة - خلفت أمنا كان في يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها: أي تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَادِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَهِيَ ذَلِيلَةٌ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ (١)
وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيمِ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ (٢)
تَتَّبِعَ آثَارَ الرِّزَايَا بِجُودِهِ تَتَّبِعَ آثَارَ الْأَسِنَّةِ بِالْقَتْلِ (٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحمق وقل ابن فورجه :
يعنى أنها كانت في غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
هاربين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
ما كان في أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
متوقفة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب
وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
كذا وكذا ويلصه : أى يطلبه ويديره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - هبنا - المواشى . والهزل - بفتح الهاء وضمها - الهزال : ضد
السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
وهزله أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيم سنة - جذب -
فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
من الذل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى المدوح والسجايا :
الخلائق والطبايع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردها وعصيانها - من المدوح كريم
السجايا يسبق - فى الإحسان - فعله قوله ، ويتقدم - فى الإفضال - إنجازه وعده ، يعنى
أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : للصاب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى
تحدثها ؛ والقتل . جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب الرهم ليوصله إلى الجرح .
يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح حالقهم من الرزايا والحسائر بسبب غارة بنى كلاب
وآسى جروحهم وداواها بجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتدأوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَيْفُهُ وَنَوَّأَهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى النَّائِكَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسُ صُورَهُ وَجْهَهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لِحَادِ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 شُجَاعٌ كَانَ الحَرْبَ عَاشِقَةً لَهُ
 إِذَا زَارَهَا فَدَنَتْهُ بِالخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَرِيَانٌ لَا تَصْدَى إِلَى الخَمْرِ نَفْسُهُ
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ البَذْلِ (٤)
 فَتَمْلِكُ دَلِيلٌ وَتَنْظِمُ قَدْرَهُ
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْمَذْلِ (٥)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامَهُ
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثِ وَلَا شَيْبِلِ (٦)

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَّاجِلُنَا نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 (١) النوال : العطاء ؛ والنائكات : الفاقدت أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتلى ،
 وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى النائكات من
 حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشكل بجوده . قال العكبري : والنائكات في موضع
 نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والنائكات . ويجوز أن يكون في
 موضع جر ، ولكن العطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ،
 فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنى حتى عن
 الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل
 ولا يقتل ، فكان الحرب تمسقه وتعبه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفنت
 من سواه من الفرسان والرجال ، فكأنها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل
 مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الرى ، ومهدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء .
 يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكأنه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يهتر عن البذل ،
 فكأنه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : مملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ،
 إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول :
 مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية تقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ (١)
فَتَى لَا يُرَجَى أَنْ تَنَمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ (٢)
فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ أَضْلًا أُنَى بِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأُضْلَ (٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،
وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الري فهزمه وأخذ بلده :
إِثْلُثُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبِكِي وَتُرْزِمُ حَتَّانَا الْإِبِلُ (٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أي ولو كان القوي ليثا لكان بلا ناب - وقال ابن جنى :
يعني لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه في كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو محبوب على البذل والجود ، يمقت البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهرا
مبرأ من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل القدي نشر علينا فضله
فإني رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلثت الرجلين أثلثتهما : إذا صرت ثالثهما - والطلال
ماشخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلل - كن ثالثاً في
البكاء على فقد الأعبة ، فإننا نبكي والإبل تحن كأنها تبكي كذلك ؛ وعبارة العكبري التي
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً في البكاء على فقد الأعبة ، فنحن نبكي والإبل
تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبابنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكي فيك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحتري :

أَطْلَبُ نَالثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالذُّجِي وَالْبَيْدِ

أولاً فَلَا عَتَبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطُّولَ لَمِثْلَهَا فَعُلٌ^(١)
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِرًا بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
أَبَاكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَعُوا لَمْ أَبْكَ أَنِي بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَأَحْتَمَلُوا أَيَّامَهُمْ لِديَارِهِمْ دُولٌ^(٤)
الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَفَنْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولاً : عطف على محذوف : أى إن بكيت خفلق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطول ليس من عادتها البكاء ، فهى طاعة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يبكي لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأجرة ، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شفخوا وقتلوا » للأجرة والعايد محذوف : أى شفخوم وقتلوم . والبيت من تمة قول الطلل ، وروى شفخوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأجرة - شفخوك جبا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا ففنيهم قتلونى بارتحالهم - كناية عن دروسه بدمهم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأجرة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقت بدمهم أيامهم دول لديارهم : ممر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبارة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلونها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وامنعته منهم لاحالة يؤلمك . وأقت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبارة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزبان لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لا مكره ، ولا يتأخر عنهم كلفاً بهم .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءٍ تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ^(١)
تَشْكُو التَّطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُودُهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتَهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ^(٣)

(١) في مقلى رشأ: متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرشأ: ولد الطيبة. والحلل: جمع حلة، وهي القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول: يقول: إن الحسن يرحل في مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية حينما نزلت افتتن بها القوم الذين نزل بهم.

(٢) يقول: إن هذه المرأة قتين^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصدودها، ثم قال: ومن الذي تصل؟ وهو استمهام، يعني أن الهجر ديدنها فهي لا تصل أحدا حتى الطعام، وقوله وصدودها: قال العكبري: روايتنا فيه عن شيخى بالنصب والجبر: فالنصب عطفًا على طول، والجبر عطفًا على هجرتها.

(٣) ما أسارت، أي الذي أسارت وأبقت: مبتدأ؛ والخبر: تركته؛ والقعب: قذح من خشب مقعر: وجلة «وهو المسك» حالية. يقول: إذا شربت لبنًا من قذح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل. يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها. وفيه نظر إلى قول جميل:

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أَجَاغُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا: وقد قلنا أسارت: أي أبقت، فالسور: بقية الشيء، والجمع أسار، وفي الحديث «إذا شربتم فأسرّوا» أي أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه سار - على غير قياس - لأن قياسه «مسر» قال الجوهري: ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرَجِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ

«سار - بالهمز - بوزن سعار: معناه أنه لا يسر في الإناء سؤراً بل يشقه كله؛ والرواية المشهورة بسوار: أي بمعرب وثاب من سار: إذا وثب وثب للعربد على من يشاربه والحصور التي لا ينفق على الندامى، وقيل الهيوب المحجم عن النوى، وإعما أدخل الباء لأنه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعتة له في النوى».

(١) امرأة قتين: قليلة الطعم؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء.

قَالَتْ أَلَا تَصْحَوُ قَقْتُ لَهَا أُغْلِمَتِي أَنْ التَّهْوَى تَمَلُّ (١)
 لَوْ أَنَّ فَنَا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ (٢)
 وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَابُهُ إِنْ الْمَلَّاحَ خَوَادِعُ قُتِلُ (٣)
 مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضِيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبِخْلُ (٤)

(١) تمَل : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحومن بطالتك ققلت لها أخبرتنى - فى لغوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخر : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحا للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن المهزومة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي (١) لما هزمت أحدًا فكيف عضد الدولة ! وما وجه المهزومة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيْفكم الخ ! وكيف يضاف المنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتابه ، وإنما تفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكنائب : جمع كنيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتابه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ - وتفرق كتابه من جرائك . فكانك هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعلاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : الغيلان الحبيثة .

أَتَمَّنِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ قَيِّمَتِدِلُ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا عَمَا يَسُوسُ بِهِ قَقْدَ غَفَلُوا^(٤)
 حَتَّى أَى الدُّنْيَا أُنْ بَجَدْتِيهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 شَكْوَى التَّلِيلِ إِلَى الكَفِيلِ لَهُ أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ المِلَلُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمزة وألقي حركتها على السين يقول : أ كنت لا تقومين بقراء فتفضحي في فعلك أم تقومين بذلك فتخرجي عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروي : ولا خور ؛ والخور: الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسمع حينئذ البخل ، لأن المكان الذي يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشئ المتقن له ، وهو عالم بيجدة أمرك وبيجدة أمرك وبيجدة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخيلته وبطانته ، وعنده بيجدة ذلك - بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلّة حتى لا تعاوده علّة . يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضةً تتبّعَ أقصى دائها فشاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدِمُ فَنَفْسُكَ مَا لَمَّا أَجَلٌ (١)
فَهُوَ النَّهَائِيَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ (٢)
فَعُدُّ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشُّكْلِ وَالْعَقْلِ (٣)
فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ ، وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُحْتِهِ شُغْلٌ (٤)
تُنْسِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ (٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس : يعني أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة بما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكال ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة بئيل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين في «الشكل» على ائنة تميم ، وضمها في «العقل» على لثة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعني أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلي أمر ماله من خيل وإبل وتصرف فيها ، فأمواله أبدأ جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاة فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخفها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليهم وإمّا أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

بِشْتَاقٍ مِنْ يَدَيْهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجرى على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبرة الواحدى والعكبرى : إن الناس يشتاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجرى على يديه من المطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جملة خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الخيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر- ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلل : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعَلِ
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(١)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر برا جيدا . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنَّ لَمْ تَخَالِطَهُ ضَوَاحِكُهُمْ
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ
 وَإِذَا الْحَمِيمِسُ أَبِي الشُّجُودَ لَهُ
 أَرْضِيَتْ وَهَشُودَانُ مَا حَاكَمَتْ
 فَلَمَنْ تَصَانَ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 قَدَّرَتْ هِيَ الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقَلْلُ^(٣)
 سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمِّكَ الْهَبْلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جنى : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبيل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشيء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسول ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسول في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرءوس ، جمع قلعة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه :

(٤) الحميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لطنه بها - وذلك سجود القنا - فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع في عراق العجم - والهبيل : الشكل - النقص - تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشده أصابه بالكلوخ وهو بدو الأسنان عند العيوس .

وَرَدَّتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُمَدَّةٍ ، وَكَانَهَا بَيْنَ الْقَنَا شُغْلٍ (١)
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَعْيَالٌ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلٌ (٢)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتَوَا قَبَلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأَوَا خَدَلٌ (٣)

فلان الهبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ، أم تمادى في طغيانك ، فتمسّ زيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتسكيل ؟
(١) وردت : أى السيف ؛ وغير ممددة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشغل : جمع شغلة ، القبس من النار ، شبه سيف المدوح المصلته بشغل النار :
(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد الدان :

ولكنفى أغدو على مفاضةٍ دِلاص كأعيان الجراد المنظم (١)

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأتقى : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، مما وأكثرهم ديلم ، والمدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأتقى
(٣) يقول : أذاك قومه وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابقة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقه ، وشبه حلقها في الدقة والزرقة ، وتقارب السرد ، يعيون جراد نظم بهضه إلى بعض وجمع

لَمْ يَذْرَمَنَّ بِالرِّىِّ أَنَّهُمْ فَصَلُوا وَلَا يَذْرَىٰ إِذَا قَفَلُوا^(١)
 فَأَنْبَتَ مُغْتَزِمًا وَلَا أَسَدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وَهْلٌ^(٢)
 تُعْطَىٰ سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَالٌ تَكُنْ لِنِتْنَالِهِ الْمُقْلُ^(٣)
 أَسْحَى الْمُلُوكِ يَنْقُلُ تَمَلُّكَةً مِّنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يُنْقَلُ^(٤)
 لَوْلَا الْجَهْمُ آلَةٌ مَا دَلَّيْتُ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا تَنَقَّلُوا^(٥)
 لَا أَقْبَلُوا سِيرًا وَلَا ظَفِيرًا وَلَا نَعْرَتَهُمُ الْفَيْسَلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، خبر « لا » فى الومضين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والسكرع^(١) والسلب مالم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسحى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسحوت بمملكتك لثلا ينقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخرًا : ينقل .

(٥) داف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادنى حرب منهم ، فضرب لهذا مثلاً بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) السكرع - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِكَ أَحْيَسِلُ (١)
لَا يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْدٍ أَوْ فَضَلُوا (٢)
قَدَرُوا عَفْوًا وَعَدُّوا وَفُوا سُسِلُوا أُغْنُوا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا (٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا (٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا (٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدراً وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتقال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً

(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطرت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .

(٢) استحي يستحي : بمعنى استحيا يستحي . ونضلوك : غلبوك - من اللناضة ، وهي الرامة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فالقوا في الفضل : أراد : أو فضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يظنون كل أحد .

(٣) يقول : لما قدروا عفواً . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا اغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاعتزاز بهم .

(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .

(٥) الصوارم : السيوف . وتمذَّر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتمذَّر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمة دارها
وقال ليبد يخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :

فقوما فقولا بالذي قد علمتا ولا تخمِشا وجهاً ولا تحلِقا الشمر
وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ، ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
فَأَبُوا عَلِيًّا مَنْ بِهِ قَهْرُوا وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلٌ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذبا قبلوا عذره تكرموا .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعدل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعني لا يعجلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العدل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفاني الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفاني السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو علي : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعض الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و « أن » تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، والثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهدي كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى « بركات نعمة ذا » يعني أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال . وروى « بركات نعمة ذا » يعني أن أباه عرف بنعمته - صوته - لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يمينه وبصرة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أمتنها الشباب هربت من رموس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسَ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءَ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للفتني ومالي ؟ أي لأني جشمتها من همي ما ليس في وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أي خليق ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدديرون

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالي لها بأن أنظم منها ، حذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيدا بأن يقوم إليك لا أن تقوم تريد إليه ، فتحذفه . وفقى : خبر مبتدأ محذوف : أي أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظم أنا منها ، لأني فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعني أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها واتعمسه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائد هات عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفّة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا -

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي مُخَيَّرًا لِي صَنَعْتِي سِرْبَالِ (١)
 مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالِ وَكَيْفَ لَا وَإِنَّمَا إِذْ لَأِي (٢)
 بِفَارِسِ اللَّجْرُوحِ وَالشَّامِ أَبِي شُجَاعِ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ (٣)
 سَأَى كَثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ (٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِ الْخَلَالِ (٥)
 وَقَتَلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ (٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد
 يجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من
 ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل .
 وسنته : كلفته . والسرد - وبروي الزرد - مداخلة حلق الدروع بعضها في بعض .
 والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - صيغة
 الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : خذف للعلم
 به . والإدلال : الفخر والتباه - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشام : فرسان
 كانوا لعصد الدولة . يقول لو خيرنى الزراد فى صنع سربال ألبسه بين أن يكون من
 صنعة الدرع أو من صنعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت
 إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما
 حاجته أن يحسن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة التنبى يترفع عن معاشره
 النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال - التنبى - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن
 بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحجر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ،
 وأولياءه كؤوس الحجر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛
 وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب
 « لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : ذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فى أعشار قلبٍ مُقتلٍ *

أى مذل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانَ بِالْعَوَالِي (١)
 وَالْعَتَقِي الْمُخَدَّمَةَ الصَّقَالَ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ (٢)
 وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرَّمَالِ قَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالَ (٣)
 مُنْفَرِدًا الْمُهْرَ عَنِ الرَّعَالَ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا الْمَلَالَ (٤)
 وَشِدَّةَ الضَّنِّ لَا الْأَسْتَبْدَالَ مَا يَتَحَرَّرَ كُنَّ سِوَى أَنْسِلَالِ (٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعمهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هرباً .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالى : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفتاه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش المعتصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذومنعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يبطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الخيل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسيره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللفظة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة وضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لو أذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هيبته له .

فَنَنْ يُضْرَبَنَّ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عَيْلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٌ (١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً السُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ (٢)
فَلَمْ يَبْنِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْقَلَ فِي الْأُدْغَالِ (٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ وَالدَّحَالِ
مِنْ الحُرَامِ اللَّحْمِ وَالمَنَالِ (٤)

(١) التصهال: الصهيل . والمختال : العجب بنفسه المستكبر . يقول : فالحيل
تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتصاغره هيبة
لضد الدولة ، وهو في نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .

(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس
يسعل هيبة ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالاً له ،
هكذا قال أكثر النحويين . قال بعضهم : ولعل الأضحية بمراد اللتني أنهم كانوا يفعلون
ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جيتهم كما يستدل عليه من السياق التالي هذا : ويقال
طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعاً ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد
ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر
الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج
يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من
الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك المسجد والطلع والقرب والشرق
والمسقط والفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم
والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع » [

(٣) ينل : ينح . ويرجع إلى موئل مضارع وأل أي نجا . وغير آل : أي غير مقصر
اسم فاعل من الأباله . وعدا : ركض وجري . والأدغال : الآجام . وحى الشجر
الكثير للنتف . وانقل : دخل في الشجر . يقول : لم ينح من صيده الطير الذي طار
ولم يقصر في طيرانه : أي فكيف ينجو الذي قصر ؟ ولم ينح كذلك ، ما عدا من
الوحش ، فدخل واستتر بالأدغال : أي فكيف ينجو الذي لم يلجأ إلى الأدغال ؟

(٤) الدحال : جمع دحل ، كالمهوية في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب
و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالحنظل والسيح والنمر ونحوها .
يقول : ولم ينح أيضاً ما تحسن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ انْطُوالِ (١)
 بَيْنَ الْمُرُوجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَنْزِيرِ لِلرُّبَالِ (٢)
 دَانِيِ الْخَنَائِصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدَّبِّ عَلَى الْغَزَالِ (٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ (٤)
 كَانَ فَنَّا خُسْرًا ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْيَالِ (٥)

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطرال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة الاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام تفننا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئيل : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجور على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمرج ، وفيه كل نوع من الصيد والحیوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنايص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :

* من كل مشترف وإن بمدّ المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبل والغزال سهل .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير المفترس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوح خاف على هذا الحيوانات

فَقِيدَتِ الْأَيْلُ فِي الْجِبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ (١)
تَنْبِيرُ سَيْرِ النَّعَمِ الْأَرْسَالِ مُعْتَمَةً بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ (٢)
وَلِذَنْ نَحَتَ أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنَ مِنْ التَّفَالِي (٣)

أن لا تكون كاملة لجأها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، لذكور منه قرون متشعبة لا تنجويف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل - بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب (١) وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقبل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخيول : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالجبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيده النعم الإبل ، والنشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومعتمة : من العامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سيراً لنا كاتسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجرى - وهي ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعني أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صفارهن - يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تفل رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جنى : يعني بأثقل

(١) ضرب من السكتان .

لَا تَشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْمَهْرَالِ (١) إِذَا تَلَقَّتْ إِلَى الْأُظْلَالِ (٢)
 أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ كَأَنَّهَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ (٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجِبَالِ (٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْجِبَالِ (٥)
 وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ بِقِسْيٍ الضَّالِ (٦)
 نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذَنَّ مِنَ الْأَطَالِ (٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدن تحت الجبال وقروهن لطولها وتشعبها تمنعن من فى رؤوسهن لوجهن . وما ذهبنا إليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السببة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظل قروهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تمييز الجبال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لجوارته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الخيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسي التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواحس : حال من القسي . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : مخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنحس أعجازها : أى تصيبها وتضربها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لِحَى سُوْدٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ (١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبْتُهَُا مُتْقَالٍ لَمْ تُفْذَّ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذِكْرِ الْمِسْكِ بِالْأَمْوَالِ (٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الحدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَنْتَنِي سُلَيْمٌ قَصَبًا بِقَضِيضِيهَا تُنَشِّرُ حَوْلِي بِالْبِقِيعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحِلْفُ وَلَسْتُ بِمُحَالِفٍ أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمَا أَنَا لَهَا
فَفَرَجَتْ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا (١)

(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أي كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتقال : خبيثة الرائحة . والقوالي : جمع غالية ، وهي أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقصبا بقضيضها : أي بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انقض آخرم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الاتقضاض كقولهم عقاب كاسر أي منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروي تميم أراد أنهم يسمعون لحام ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا احلف أي يارجل احلف ، أو «يا» للتنية ؛ وأخادعهم عنها : أي عن الحلفة ، فأقول لهم لا احلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكيفا أنا لها : أي الحلفة . وقوله فرجت الخ : يريد كشفت هذا التميم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وَإِنِّي لَقَدْ وَحَلَفْتُ كَاذِبٌ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسَرِّ يَدَافِعُ بِأَفْهِ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضِي مُخْتَالٍ لَمَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ (١)
بَيْنَ قَضَاةِ السُّوءِ وَالْأَطْفَالِ (٢)
لَا تُؤْتِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَدَالِ (٣)
فَاخْتَلَفْتَ فِي وَابِلَى نِبَالِ
* مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مَعَالِ (٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانبا الوجه . يقول : لو سرحت هذه اللحى حال كونها في وجه رجل ذى احتيال لكانت له شبكة يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان محتالا خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لمدّها شبكة من الشباك التي ينصها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما يظهرون من حلي المهابة والوقار وسنناء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم - من ساءه يسوءه سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وكدت كذّيبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ (١)
قال الأخفش : ولا يقال الرجل السوء ، ويقال الحقّ اليقين ، وحقّ اليقين جميعاً ، لأنّ السوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحقّ . قال : ولا يقال هذا رجل السوء - بالضم - وقرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى « عليهم نائرة السوء » بضم السين ، يعنى الثمر والمزينة ؛ وقرأ باقي القراء بفتح السين ، وهو من النساء . (راجع لسان العرب مادة « سوا »)

(٣) الإقبال والإقبال : مصدرا أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة قال، الجوهري ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكميّ :

أَعْهَدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيهِ تَطَلُّبُ عَلَى دُبُرِ هِيَمَاتٍ شَأْوٌ مُغْرِبٌ (٢)
والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحى رأيتها كما تستقبلها لعظميا وعرضها فهي تمع الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : للطر الكثير . والطود :

(١) أحال القذّب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :
ففى ليس لابن العمّ كاذب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
(٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجبل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار -
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من «معال» :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذْبُ الْعُرَى وَجِرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفْضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي « أتيته من علا » يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نُوْشًا مِنْ عَلَا نُوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَازَ الْفَلَاحِ ^(٢)

وفي « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكَرًا مِيفَرًا مُقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعَا كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي « أتيته من عل » - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانِ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجرية - بالكسر - حالة الجريان

(٢) باتت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملاء أفواها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شرابا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكسر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا :

يعنى أن الكسر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة فى قوته لا فى فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه فى سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هدا

الفن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفتز

الفن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغِرْقِيءٍ بِيضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ (١)
فإن الواو زائدة ، وهي لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله في الكلام .
وفي « أئنته من عال » يقول دكين بن رجاء :

يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِي عَجَلَى وَرِجْلِي شِمْلَالِ
* ظمأى النساء من تحت رياء من عال (٢) *

وأئنته من علو ؛ قال أعتى باهلة :

إِنِّي أَتَنَّى لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ (٣)
وروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأيائل بالنبال من أعالي الجبال وأسافلها
فهي تجيء منها وتذهب بين نبال كالمطر تأبها من كل جانب .

(١) الليط : جمع ليطة - كريش وريشة - قشرة القصبه والقوس والقناة وكل
شيء له متانة ، والقبيض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقىء البيض : قشره الذي تحت
القيض ، وملاك : شدد - من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجته وأنعمت
عجنه وأجادته - والذي : مفعول ملك لصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيطاً من القشر
على قلب القوس تتالك القوس به - أى تقوى وتشدت - يكنها أى : يسترها لثلا يبدو
قلب القوس فيتشقق وهم يحملون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله
بالقيض للفرق .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذي يتخلل بين الشجر ، وشمال خفيفة
سريعة ، والنساء - بوزن العصا - عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر
بالعقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظمتين وجرى
النسائينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربله
باطن الفخذ ، وحنى النساء . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل
مثل حمام رد غلامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا
كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها رياء من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا
سمن متناه .

(٣) من كنهة المشهورة التي رثي بها النشتر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرُّجَالِ فِي كُلِّ كَبِدٍ كَبِدَى نِصَالٍ (١)
 فَهِنَّ يَهُونَ مِنَ الْقِلَالِ مَقْلُوبَةَ الْأَطْلَافِ وَالْإِرْقَالِ (٢)
 يُرْقَلْنَ فِي الْجَوِّ عَلَى الْمَحَالِ فِي طُرُقِ سَرِيعةِ الْإِصْصَالِ (٣)
 يَنْمَنَ فِيهَا نِيْمَةً الْمِكْسَالِ عَلَى الْقَفِيِّ أَعْجَلَ الْمِجَالِ (٤)
 لَا يَنْشَكِّينَ مِنَ الْكِلَالِ ، وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ (٥)
 فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْتَارِ إِلَى إِقْلَالِ (٦)

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال - بكسر الراء - و يروى بضمها ؛
 والثقليل : جمع راجل ؛ والكبد : بالكسر وفتح فكسر - لغتان - والنصال : جمع
 نصل ، الحديدية المركبة في السهم ؛ وكبداها الثاثنان وسط تلك الحديدية عن يمينها وشمالها
 يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت في كبد كل منها نصلا من نصال السهام ،
 يعنى أن الرماة قد أئخنها بالرماح .

(٢) يهون : يسعطن . والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق
 والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يستطنن من أعالي الجبال منحدرات على
 ظهورهن فصارت أظلا فهن مقلوبة وصار عدوهن - جريهن - على الظهور بعد أن
 كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجريهن . والحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هي تعدو في الجو

نازلة على ظهورها في طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسال . وتروى : الكسال

جمع كسلان . والقفي : جمع قفا . والمعجال : جمع عجل وعجلان وأعجل المعجال : حال .

لما زلت في تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلق على ظهره كسلا ؛ ولكنها في

ذلك أسرع المعجال اسرعة هوبها .

(٥) يقول : لا يشتكين في تلك السرعة نصبا ولا تعباً ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن

عن النزول ، ولا يخفن ضللا ولا نيبا في طريقهن لأنها تفضى بهن إلى الأرض البتة .

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق :

اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما

أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرتة فكان

ذلك سبب رحيله عنها .

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ يَخْفَنَ فِي سَلْمَى وَفِي قِيَالٍ (١)
نَوَافِرَ الصُّبَابِ وَالْأُوزَالِ ، وَالخَاضِبَاتِ الرَّبْدِ وَالرِّثَالِ (٢)
وَالظُّبَى وَالخُنْسَاءَ وَالذِّبَالِ يَسْتَمَنَّ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
مَا يَبْمَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ (٣) * .

فُصُولَهَا وَالْمُؤَوِّدَ وَالْمُتَالِي تَوَدُّ لَوْ يُتَجَمَّعَ فِيهَا بِوَالِي (٤)
يَرْكَبُهَا بِالخَطْمِ وَالرِّحَالَ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ (٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيدخاته الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
(٢) نوافر - كما قال ابن جنى - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدوية المعروفة يأكلها العرب . والأوزال - جمع وزل - دابة على حلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بدم الأتلوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو ذؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيءٍ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : لها - بقر الوحش - لحنس أنفها . والذبال : الثور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع مبهزها عن السؤال :

(٤) خولها : جمع خول ، وهي رواية ابن جنى : وتروى خولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكروك ، فأبى بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحول : جمع حائل ، ضد الحامل . والعود : الحديثات التتاج ، جمع عائد والمتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذلها ، وتتمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زيمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالأسروج للخيل ، يقول : هذا الوالي

وَيَحْمَسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالِي ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
 يَا أَقْدَرَ السُّفَارِ وَالْقُفَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأَسْدَ بِالثَّمَالِي ^(٢)
 أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
 * لِأَلِنَا قَتَلْتَ بِاللَّالِي ^(٣) *

يذلك الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وما يصيبها من خوف الصيد ؛

(١) خمس لئال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والمطال : المتتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : السافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والقفال : جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالب : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرائى ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَانَ رِجْلِي عَلَى شَفْوَاءِ حَادِرَةٍ ظَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلِّ خَوَافِيهَا
 لَهَا أَشَارِيرٌ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّمَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتم بالآلى ببدل الإلال - الحراب - لقامت الآلى في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف منقارها الأظلي ؛ والحادرة : الضليطة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرارة ، وهي اللحم الجفنف للادخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يجف لكثرة ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلي يروي رحلي ، والثعالبي : الثعالب ، والأرائى : الأرائب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّعَالِي فِي الظُّلْمِ الْفَائِئِبَةِ الْهَلَالِ (١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَّغْتَ غَايَةَ الْأَمَالِ (٢)
 فَلَمْ تَدَّعْ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ فِي لَا مَكَانَ عِنْدَ لَا مَنَالِ (٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي النَّسَبُ الْخَلِيُّ وَأَنْتَ الْحَالِي (٤)
 بِالْأَبِ لَا بِالشَّنْفِ وَالْخُلُخَالِ حَلِيًّا تَحَلَّى مِنْكَ بِالْجَمَالِ (٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى تُقَالُ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمُعْطَالِ (٦)

(١) و (٢) الطرد: الصيد، وهو مصدر طرد، مثل الطرد - بالإسكان - والسعالى: جمع سعاله، وهى العول، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن. والظلم: الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر. والأبال: جمع أبل، وهى التى تجزى بالكلاء عن الماء. يقول: لم يبق إلا أن تصيد الفيلان فى الهامه على ظهور الإبل، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى للفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرین فى الليالى المظلمة، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى الفاوز، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلاء لكلا محتاج إلى الماء.

(٣) المحال: المستحيل الذى لا يكون. يقول: بلغت غاية آمالك وملكك كل شىء يوصف بالوجود وبدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود. وقوله فى: «لا مكان» كما يقال سافرت بلا زاد.

(٤) و (٥) الحلى: ما يصاغ من الجواهر للزينة: والحالى: صاحب الحلى؛ وبالأب: متعلق بمحذوف - أى تتحلى - والشنف: القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن؛ وحليا: مفعول العامل المحذوف يقول: النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال: يعنى أن أبالك زينتك وأنت جماله تزينه أيضاً.

(٦) المعطال: الذى لا حلى عليها. يقول: إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا يسها قبيحا، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالتقيح إذا تحلى، وقال ابن القطاع: صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح - بالتلف والياء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح. وقال أحسن منها، فعاد الضمير على العلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر، لأن الحلى مؤنثة

فَفَخَّرُ الْفَتَىٰ بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْمَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يظلم المؤنث على الذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتوح وفتوح ، وهي خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب في أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إرادته هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفعته إلى المنيرة بن شبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إننى قد دُستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المصَّبِ شاته عجلانَ يذبها لقوم نزل
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَمِّ ، ولا بتقبيل ، ولا بِبَمِّ
إلا بزعرع يسلى همى تسقطُ منه فتخى فى كسِّ

« الزعرع : الاسم : من زعرعه زعرعة : أى حركة » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالهم : حال من الضمير المذكور ، وقال الصكبرى : الباء فى قوله « بالهم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير الصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالهم ، كقولك هند مرت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفقى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميمِ وإنما فخارُ الذى يبغى الفخارَ بنفسه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله
أنطاكية من ظفريه بحصن برزويه، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها
صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤ كما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه (١)

* الفارة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى
في المساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤ كما كالربيع : مبتدأ وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك :
شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزني . والطاسم : الطامس الدارس . « بأن تسعدا » : أى
تسعدا وتعاوننا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق
بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل بمخاطب خليليه الذي عاهداه
على أن يساعده على البكاء . عند ربيع الأحبة يقول لها : إن وفاء كما بأن يسعداني
على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزايره وأشد جزئه لأنه
لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤ كما كلما ضعف وقل إسعادكالى على البكاء اشتد حزني
إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى
البكاء ، أما أنتا غليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن
المحزون مثلى . يريد : أبكيا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشجى للوجد ، فإن الربع
فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده
فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤ كما كالربيع : أى كلما ازددت بالربيع وبوفاءكما
وجدا ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون
المعنى : وفاؤ كما كالربيع الدارس فى الأدوية إذا لم تجربيا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء
إذا أجرينا عليه . وعبارة ابن القطاع : وفاؤ كما لى بالإسعاد عفا ودرس كالربيع الذى
أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشفتى الدمع
الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم
يرحمون أن البكاء يجلو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ
أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّمِيغِينَ لَأَمَّةٌ (١)
أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ
بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هَيْدَةً مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبِكَاءَ لِرَاحَةٍ
بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا (١)

قال التبريزي : لامهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : ولناسبة « أشجاء » روى الرواة أن المتنبي لما أشد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للتنبي تقول أشجاء وهو هجاء؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أى أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاء يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاء تذكر إلفه : أى هيجه ، وشجاء الفناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاء يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجاء ما اعترض في حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ
عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجاء ، قال المسيب بن زيد مناة الضنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا
فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا

« في حلقكم : أراد في حلوكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواء ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامنى منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه اعقوق ، فكان لأتمكما أعقكما ؛ قال الواحدي : ومعنى الأعق هبنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا دَعَايِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَائِمِهِمْ
أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدَقُّ وَالْأُمُّ

أى فأيهما الدقيق والاثم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتملا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : ويروي

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهى أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيًّا بِالْمَهْوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانَ مَنِ لَا يُبْلِغُهُ^(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إني عاشق كل عاشق مصف يعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزى : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصعبة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصعبة من لا يكون موافقاً له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدوا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « تزيا » قال ابن جنى : سأله . . . أى للتزى - عن قوله « يزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنزى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى مجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على الحاجم^(٢) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصنى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين - أى الخليل بن أحمد - فقال تزيا فلان بزى حسن وزيبته تزبة - بوزن نحية - فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل^(٣) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدرة :

يَزِيدُ بِيضُ الطَّرْفِ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوَى وَلَا تَلْقَى إِلَّا وَأَنْفَكَ رَاغِمًا

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهم بن سبل ؛ وصدرة :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنَّ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّرْبِ خَاتِمُهُ^(١)

بِأَنَّ أَنَسَ بِهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحَفْنِهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَهْقِيرِهِ عِيدٌ ، وَهُوَ مِنْ
عَادٍ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدٌ وَأَعْوَادٌ ، كَمَا قِيلَ فِي تَهْقِيرِ « رِيحٍ » رُوحٌ ؛ وَفِي جَمْعِهَا
أَرْوَاحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِي فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأَرْوَاحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أُجْرِيَ مَجْرَى الْبَدَلِ
الْلازِمِ لِحَفْنَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يُزَيَّا إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِّ الْيَاءِ مِنْ
الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زِيٍّ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْاِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي
أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الزِّيِّ وَوَاوٌ فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتٍ ، وَرُوِيَتْ مِمَّا عَيْنُهُ وَوَاوُ وَلاَمُهُ
يَاءٌ أَكْثَرَ مِنْ بَابِ حَيْتٍ وَعَيْتٍ مِمَّا عَيْنُهُ وَلاَمُهُ يَاءٌ إِنْ فُلِمَا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْاِشْتِقَاقُ عَلَى
قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالَفَ وَضَعَهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ
بِأَطْلَالِ الْأُحْبَةِ مَتَّوِّجًا لَهَا مِنْحِنًا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتِمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي
التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنِيٍّ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْقِ عَجْزُهُ جِزَالَةٌ لَفْظِ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ
فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتِمِهِ مَبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالِغُ فِي
وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَابِرَةَ . . . وَهَذَا بَعِيْنُهُ قَدْ
جَاءَ فِي الشُّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حِيَارِي كَمَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ
خَدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخَلْخَالُ . . . قَالَ الْعَرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ التَّنْبِيْ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ
الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْحَاتِمَ اسْتَجَاجَ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِّهِ عَلَى الْحَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلِ
الْحَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخَلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ ،
وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ التَّنْبِيْ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ
بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مِنْحِنًا لَوْضَعَ الْيَدَ عَلَى السَّكْبِ وَالْإِنْطَوَاءَ عَلَيْهَا كَوُقُوفِ الشَّحِيحِ
الطَّالِبِ لِلْحَاتِمِ . وَيَشْهَدُ لَصِحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ بِذَمِّ بَحِيلًا ؛

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدِيمَا ، وَيُرْوَى دَوْمَا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دِيمَتِ السَّمَاءِ
تَدِيمًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطْرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ
الغَزِيرُ ، أَوْ الْمَطَرُ الَّذِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْتَبَةُ ، وَوَبِلٌ : مَنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ
مَطْرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطْرِ .

كثيبًا تَوْقَانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رِيضَ الْحَيْلِ حَازِمُهُ^(١)
قَفِي تَعْرَمُ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهَجَّتِي بِثَانِيَةِ وَالْمُتَلِفِ الشَّيْءِ غَارِمُهُ^(٢)

نَكَسَ لِمَا أَتَيْتَ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَفَكِّيسَ نَاطِمِ الْخُرْزِ
فسبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتنكيس الرأس . على أنا نقول -
إن الزمننا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الحاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَ مِنْ نَفْسِ الْعَالِمِ شِقِّ طُولَا قَطَعْتَهُ بِاتْتِحَابِ
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وَلَيْلٌ كَيْظِلِ الرَّمْحِ قَصَرَ طَوْلَهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاكُ الْمَزَاهِرِ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أمى حزيننا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدى واجتنبى . والريض من الحيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العواذل اللأى يعدلنى - يلتنى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقفت
على الربيع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الحيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضربه برجله -

(٢) تعرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تعرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتى : مفعول تعرم ؛ وغرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
أتلفت مهجته ، فهو يقول لها قفى يُنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحييني ، فإن فملت
كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبة
تعرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلفت مهجتي
فوجب عليها العرم ، فإن لحظت ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للهبطة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَمَّاكَ وَحَيَاتَنَا بِكَ اللهُ إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَأَلْخُدُورُ كَمَا مُمُّهُ (١)
وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُ لَكَ عَادِيَهُ (٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة ألفت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدِمُ قَبْلَهَا نَظْرًا
وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

يَا مُسْتَقْمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي

وروى الخوارزمي تعري - بالياء - وأصله تعرمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهجتي في موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفي يامهجتي تعري النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن أتلغ شيئاً غرمه : أى أت أتلغ على النظرة الأولى التي رميتها منك
أولا فاغرمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأم أغلفة الزهر قبل أن
تتفتق . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدور لمن بمنزلة الكأم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقي والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحيى الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السري الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَقَا

(٢) الأطعمان : النساء في الموادج . وقوله «ما واجد لك عادمه» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :

أَضْرَتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَفَيَّبَا
وَقَالَ الْآخَرُ :

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مَحْتَجٍ إِلَى الشَّرْحِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ التَّمْيُونُ بِنَظْرَةِ أَثَابَ بِهَا مُعْيِي المَطَىٰ وَرَازِمُهُ^(١)
 حَيِّبٌ كَانَ الحُسْنَ كَانَ يُجِبُهُ فَأَثَرَهُ أَوْ جَارٍ فِي الحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
 نَحْوَلُ رِمَاحُ أَلْطَطُ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبَّى لَهُ مِنْ كُلِّ حَىٍّ كَرَامَتُهُ^(٣)
 وَيُضْحَى غُبَارُ الخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الكِبَاءِ المَلَازِمَةُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كل رازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تعقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالاً ، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى البالغة والتمعق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى البالغة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيباً .

(٣) الحط : موضع بالجمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحنى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بِصُمِّ القَنَا يُحْفَظُنَ لا بِالتَّمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمته .

(٤) أدنى : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشروه : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الكباء الكبة ، قال : والجمع كبا ، وقد كبت ثوبه - بالتشديد أى بخره ، وتكبت واكتبت إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ فى كِبَّةِ المَشَى تى وَبُلُهُ أَحلامُهُنَّ وَسَامِ^(١)
 يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرَبْتُ عَيْفِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ (١)
فَلَا يَتَّبِعُهُمُ فِي الْكَاشِحُونَ فَأَنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ (٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة وغاية النعمة . وعبارة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يلها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا يقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة التنبي في إشار البالغة .

(١) يريد كثرة مالمى من صروف الدهر ، وما ملى به من فراق الأجرة حتى لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تزيه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالمياً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها (١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
وقال الأعور الشنى :

لقد أصبحتُ لا أحتاجُ فيما
يكونُ مِنَ الأمورِ إلى السؤالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصرانِ شيئاً نكرتهُ
ها السالبانِ الواهبانِ هما هما
(٢) الكاشح : الذى يضر لك العداوة . والعلام : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كلفته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغبية وولدها :

تُرْجَى أَعْنُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
تُرْجَى أَعْنُ : أى تسوقه برفق ؛ والرّوق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه
كأنه إبرة .

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيَهُ هَادِمُهُ (١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَاً وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ (٢)

قال ابن جنى : سألته - أي النبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوضع؟ قال : أن يظنوا بى جزعاً . يقول : لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنى قد ذقت المرارات حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، واللقم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . ولفى رعيت الردى : رعيت أسباب الردى من المخاوف والمهالك ، وكنى بالعلام عن المرارات ، ولهذا قال «رعيت» لأن اللقم مما يرعى ، يعنى إنى لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالى مِنَ النَّوَى وإن بَانَ جِيرَانِ عَلَى كِرَامِ
وقال اللّؤرج السدوسى :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ فى أهْلِ وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى :

لقد وقرتنى الحادِثاتُ فَاأَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَنْتَوَجِّعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشييه : خبره ؛ ولك أن تمكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير فى «توقيه» للباكي ، وفى «بانيه ، وهادمه» للشباب . يقول : إن الذى يحزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

تَضَعُضِمُهُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ بَقَاؤُهُ وَتَفْتَالُهُ الْأَفْوَاتُ وَهِيَ لَهُ طُعْمُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْبَقَى فَنَى دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانباً الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالغائب : السواد الذى غاب بقدم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ (١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقًا فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ (٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُمَا سَحَابَةً وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنَّ حَامِيَهُ (٣)

بالغائب : لون جلد المراض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيًا ثم يافعا مترعرعا ثم يفت شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكلمة العيش ، لأن :

من شاب في الناس مات حيا يمشى على الأرض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا لكان في شيبه فذلك (١)
وبيت التنفي من قول ابن الرومي :

سُلبتُ سوادَ العارِضينَ وقبله بياضهما الحمدودَ إذ أنا أمردُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا خضب ظهر للفوازي أنه شاب فترغب فيهِ .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكفى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح - الحسن والجود - واستحقاق التأميل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتغن - يحذف إحدى التاءين - وفي رواية : لم تغن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتة السحاب وحاكه - نسجه وصنعه - وأغصان تلك الأشجار لا تغني حماعها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجِهٍ مِنْ الدَّرِّ سَمِطٌ لَمْ يُتَقَبَّهُ نَاطِمُهُ (١)
 تَرَى حَيَوَانَ السَّبْرِ مُصْطَلِحًا بِهَا يُحَارِبُ ضِدًّا ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهُ (٢)
 إِذَا ضَرَبَتْهُ السَّرِيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ تَجُولُ مَذَا كَيْهِ وَتَدَأَى ضَرَاغِمَهُ (٣)
 وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لِأَبْلِجٍ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَائِمُهُ (٤)
 تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبَرَاجِمُهُ (٥)
 قِيَامًا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْفَهُ وَمَنْ بَيْنَ أَذْنِي كُلِّ قَرِيمٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسमित : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسमित الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأتواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يتقبه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها التفارس والتهاشم ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلج ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : ببلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلج . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلج - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامتها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونهم يقبلون بساطه ، ولا يلبغون أن يقبلوا كفه أو يده ؛ لأنه أعظم شأناً من ذلك (٦) قياماً : مصدر لم يذكر قطه ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قياماً ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالاً وهيبة ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطمعه ولذعة حربه ، وبالذات عن غوائل الأعداء وطمعياتهم ؛ يعنى أنه يرد بالطمع والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو ما يوسم به

قَبَائِمُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً وَأَنْفُذُ مِمَّا فِي الْجُنْفُونِ عَزَائِمُهُ (١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ (٢)

- المسكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بجمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى ألقفأهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قباعة ، وهو ما طى طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجنفون : جمع جنفن ، العمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزأيمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجنفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكأنها من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضدير فى « بها » . للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنائية للعسكرين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فأنأ كلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلهذا لم يبق إلا الجماجم . . . وبعد : فما أبداع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
يُصَاحِبِينَهِمْ حَتَّى يُفَرِّقَ مَفَارِمَ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونَهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَائِحِ قَدْ أَيَقَنَ أَنْ قَبِيْلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضَ الْخَطِيءَ فَوْقَ الْكَوَاتِبِ (١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزرآ عيونها : أى ضيقة العيون حلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحديد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمراب جمع مرربانى ، وهو الثوب البظن بفراء الأرناب . يقول

أَجَلَتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ نِيَابُهُ وَمَوَظِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ (١)
 فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ بِمَا تُغَيِّرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ بِمَا تَزَاحِمُهُ (٢)
 وَمَلَّ الْقَنَا بِمَا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ جَدِيدُ الْهِنْدِ بِمَا تَلَاطِمُهُ (٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة؛ والملاغم - ما حول الفم مما ييلفه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم والملغم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغهم بذكركه يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) الناء - في « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، وحذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : أتمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الفارة : واضبعاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها واضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع ييلفه الليل . وقيل في معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكانه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدي : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والجبان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبؤ رماح جيشه إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها تترقب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحها مستعرضاً .

سَحَابٌ مِّنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقْتَهَا صَوَارِمُهُ (١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملئت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعدائك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقعها عليه . هذا ؛ وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : اللامطة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليلتغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوي الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث فى الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير فى الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الألحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً فى الصنعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويروح تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صبغة الطير للجيوش — كثير فى كلامهم ، قال الأوفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ

« أى تعطى اليرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَرَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَايَا الطَّيْرُ غُدُوتَهُ ثِقَةً بِالشَّيْءِ مِنْ جَزَرِهِ (١)

وأيت المتنبي من قول أبى تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحَى بَعِيبَانَ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أقامت مع الرأيات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقابل

(١) تأيها الشيء : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصدته ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر

قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبري أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تعتوا على النبي بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه وإنما أضافه بمقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرتة وتزاحمه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدرة الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حىٍّ قد خبِطت بنعمة فحقُّ لشأسٍ من نَدَاك ذنوب^(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المأمعُ دَلْوِي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا^(٢)

وهما لم يستسقيا ماء في الحقيقة ، وإنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خبطه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو للملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي ثمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسافي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشبابِ عصم حان مشيب

(٢) الميع في الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملاً الدلو ويده يبيع فيها بيده ، ويبيع أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالأمع : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمأمع : المستقي من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المأمع بإست للمأمع ، تعني إن المأمع فوق المأمع ؛ فالأمع يرى المأمع ويرى إسته .

سَدَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ عَزِيمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ (١)
 مِنْهَا لَيْكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذُّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا سَحَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَائِمُهُ (٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْمَيِّرَ عَائِمُهُ (٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشَّمْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ (٤)

(١) صرُوف الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوي ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جعله
 مركوباً استمار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوائم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاك : المفاوز؛ ونصب «مهاك»
 كأنه أبدلها من «الصرُوف» وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صرُوف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاك
 لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكها الغراب لم
 تصحبه قوائمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواقع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لها «الأصرمان» ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاك
 فغيرها أعجز عن قطعها ؛ وعبارة بعض الشراح : أراد بالمهاك - أى المفاوز -
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صرُوف الدهر . يقول : الصرُوف التى
 قطعها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بدرأ فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرآ فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً وهذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفتح ؛ قال عنترة :
 تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَأَوْتِ حِرْزِ قِيَمَانِيَةِ لِأَجْمِ طِمْطِمِ (١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظلم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ (١)
أَقْدَسَ سَلِّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعَلِّمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَمَالُهُ (٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطماطم وطمطمانى ؛ وفي لسانه طمطمانية . وفي
صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف
لها مع كثرة طماطم الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لتصور
هؤلاء الشعراء . عن بلوغ وصفه .

(١) يمم : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة
سريت بالليل مشتغلاً بالظلام كأنى سر والليل يكتم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى
وطيئك سرأ لو تكلف طية دُجى الليل عنالم تسمه ضمائرُه
وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة العطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :

سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجِرٌ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ مِيرَا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من المتنبي - :

تجشمته والليل وحف جناحه كأنى سر والظلام ضمير (١)

(٢) قال الواحدي : يقول : هو سيف سله المجد ، يعنى أن الشرف ومعالي الأمور
تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يعمده المجد ولا يثلمه الضرب لأنه ليس سيفاً
من حديد يتثلم بالضرب : وتقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من
« المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم فى سواده بهذا الراعى الحبشى وقيل
النعام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد فى إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه
بأوى الإبل إلى راعها ، ووصفه بالى والعجمة ، لأن الظليم لا ينطق له قال الفراء :
سمعت المفضل يقول : سألت رجلاً من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن
من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، وربما نشأت سحابة فى وسط السماء
فيسمع صوت الرعد فيها كأنه فى جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ،
فالخرق اليمانية : تلك السحائب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

قَلَىٰ عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَعْرَجِ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ (١)
 تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عَيْبِدُهُ ، وَتَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ (٢)
 وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالذَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ (٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد الملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأعرج : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حمالته : وقائمه : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق الملكة نجاده يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأيد الله بالحد الذي يمضيه فيه في أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لقد خابَ مَنْ أهدَى سويداء قلبه
 لِحُدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
 وقد كرره التنبي في سيف الدولة بقوله :

فأنت حُسامُ الملكِ والله ضارب ، وأنت لواءُ الدينِ والله عاقِد

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسترقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحتويها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكتيب - وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أُنْسِبُ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدٍ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبداء والعبوداء والعبدة : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثناة فوقها - والعتيد : التي ، الحاضر المهبأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أي آلته .

(٣) يقول : هم يدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيِّفًا لَطَّالٌ لَهُ (١) ،
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَذُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمَهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبِّي وَأَنْتَ الْقَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الروس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابهم لزبة : أى شدة وقحط ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذي سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذي سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جمد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيا عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الروس ولا يزيد ، ولكن هذا الممدوح يقطع روس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهمام : الملك العظيم . والربي : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربي لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجاري ؛ وهذا من قول الآخر :

نحن زهر الرُّبِّي وجودك غيثٌ هلْ بفسير الغيُوثِ يُونِقُ زهرُ؟

وعبارة المكبري : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من أتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله ﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل ﴾ ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَائِقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتَهُ قُرْبَكَ الْإِيَّامُ (١)
فِي سَبِيلِ الْعَلِيِّ قِتَالِكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ (٢)

حاله به . . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أدي لسؤاله ملكا جليلا يد «أين أزمعت » قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فنين :

لعمرك إني وأبا عليّ كنتب الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وبعادت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربي فيه ريبُ الزمان كان الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جنى : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكراها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل (١)

وقال ابن فورجه : يريد نحن من ضايقه الزمان ، حذف الراجع إلى الموصول ، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيتهم عمرو له : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «بخان» ، يقال بخان الزمان زيدا ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يضير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام في الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطع فأجدمتُ وقدخب آلُ الأعرسِ المتوقدُ (٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن اللوح وقيل لجبل وتمثل - بحذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتخيّل ، وتراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطع : السوط ، والإجدام الإسراع في السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحِيَامَ^(١)
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مَقَامٌ^(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا^(١)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : فانتلت أو سالت ؛ أقت أو سرت ،

فقصدت في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى لیتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عنى أن يكون بهيمة أو جراداً ، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : لیتنى امرأتك فأخدمك . قال ابن جنى : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جملة دونها ، فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الحيام إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : لیتنا نتيك الأذى

وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، وىروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمى بمعنى

الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالك^(٢) *

نصف النهار ، والأعز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خيب آل الأماكن التى اختلط تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس بن زهير العبسى ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد

المعجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى « حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهم يصيبه

وقليلٌ ههنا بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامَ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَمَا زَرْتَهُ وَجَدْتَهُ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

المجدُ صاحبك الذى حالفته أبدأً فروضته المريمسة مرتكك

فإذا رحلت سررت تحت ظلاله وإذا ربعت فى ذراه مرتكك

« المريمسة : الخصلة . وربعت : أقيمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح

الذال : أى كنفه . »

(١) يقول : إذا عظمت المهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن المهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإن عليات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فقالوا : ألا تلهو لتذرك لذة ؛ فقلت : وكيف اللهو والمهم حاجز

ونفسى تمنانى أن تقيم مروءتى على غايتى فى المجد والجهد عاجز
ومن قول أبى زرعة :

أهل مجد لا ينجفون إذا نا ومن قول الحصنى :

نفسى موكلة بالمجد تطلبه ومطلب المجد مقرون به التلف
ومن قول ابن جابر :

إذا ما علا المرء رام العلى وَيَقْنَعُ بِالذُّونِ مَنْ كَانَ دُونَهَا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبَدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَفْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَوَانَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ مِمَّ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْجِدِّ يورِثُ النَّفْسَ خَبِيلًا وَهُومًا تُقَضِّضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فِيَا مَنْ يَكْدُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شُفْلُهُ
(١) يقول : كذا يدن البدن : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر بموج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعادتك عادتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلفنا غير فراقك
لصبرنا صبراً جميلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنقص عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بهراته ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ يَشْرِبُهَا الْفَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُفْنِيًا بِمَكَانِهَا
فِيلاً يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخْوَاهَا غَدَّتْهُ أُمُهُ بِلِبَانِهَا^(٢)

(١) الجبل : الفساد ، في الأصل ، وللراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تسكر وتعظم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبان أمه ، إنما اللب الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على
مذهب الراقيين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجماع على
تحررها ، وجعل الزبيب أخا للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستمار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(٥ - المعنى ؛)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَلِيسُ اللَّهُامُ^(١)
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَاكِنِ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامٌ^(٢)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَابِ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
وَإِذَا حَالَ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامٌ^(٤)
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ ، وَالَّذِي تَمَطَّرُ السَّحَابُ مُدَامٌ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخليس : الجيش . واللهام : الكثير الذي يلتهم كل شيء فيهلكه ويذهب به .
يقول : أقم عندنا لتلقى الوحشة عنا يا من يأنس بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
بمكانه ، فهم وإن كثروا يأنسون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذي : عطف على من - في البيت السابق - والوعى : الحرب . والذمام :
العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبي تمام :
مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ

(٣) الكتيبة : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذي يكون
على اللهاة ، وهو مراكب الرأس في العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذي يضرب
الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا لم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان في ذمته ، فلا تلم به
الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
إذا نزل يبلى أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذي : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثاني من
البيت السابق . يقول : والذي تنبت بلاد ذلك المكان الذي تحمل به سرور ، والذي
تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومٍ بالمطيرة أمطرتنا سما صوبُ وابِلها العُقار^(١)

(١) المطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكأنت من متزهات بغداد وسامراء : قال
البلادى : إنها محدثة بنيت في خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .

كَلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كِرَامًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ^(١)

وَكَفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤْمَلِ سَيْفِ الدِّ

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوْفِي

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فُضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ
وَمِنْ أَرْتِيَا حِكِّ فِي غَمَامٍ دَائِمٍ^(٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كراما لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُوبٌ لِأَفْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تبجن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يمشى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبي طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبدل واصطناع العروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثَمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْجَمَامُ

(٤) يقول : إن تواقه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء فى غمام لا يقلع مطره .

وَمِنْ أَحْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبِهِ ؛ فَبِمَا الْأَحْظَهُ بِمَعْنَى حَالِمٍ (١)
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخَمَّ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٣)
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكٍ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
أَبْدَى سَخَاوِكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمَرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَصَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ (٥)

(١) محبوبه : تسخوبه . و «ما» في قوله «فبما الأحظه» نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء الأحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجوذب به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعاينه في اليقظة وإنما أراه حلما . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنني أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .

(٢) الهاء في «سيفها» : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا يذبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفيل عزمك .

(٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تخم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .

(٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .

(٥) اللشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أيدع في وصفه أصبح منسوبا إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكْلٌ فَصَبِيحٍ قَالَ شِعْرًا مَتِيمٌ (١)
 لِحَبِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْتَهَمُ (٢)
 أَطَمْتُ النِّوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)
 تَعْرُضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَصِّمُ (٤)

(١) النسب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبب النار وتأريثها . وللتيم : الذى استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسب ؟ يعنى ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكركم الجليل يكون به بدؤه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحلب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) النوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، لحذف للعلم : يقول : كنت أربغ في النساء قبل التقاى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعجالة العكبرى : أطمت النوانى فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها وقال ابن جنى : كنت متيا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : يعنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن العالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَجَازَ لَهُ فَحَتَّىٰ عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّىٰ عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمٌ ^(١)
 كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَارَظُهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا ^(٢)
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرَمُ ^(٣)
 فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ ^(٤)

للفصل في الضرب ؛ والتصميم : أن يعض السيف في الضريبة . يقول آبي الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذي إذا أصاب الفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يصر عليه ما أراد ، كما قال في البيت التالي .

(١) يقول : فكلمه جاز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أي أنه أحسن منه ، فاليسم الحسن ^(١) وهذا ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروضي : إن جاز أخذ اليسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بان أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار باليسم على البدر إلى مافى وجهه من السواد الذي هو أثر الجو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بممالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والماء في « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظرفيفة وظرفائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعني أنه لا اقتداره لا يعتمد في إخضاعهم إلى الملائنة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل في هذا نظراً إلى قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب في حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
 (٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم في معلقته .

فلعائن من بني جشم بن بكر خلطن بميسم حسباً وديننا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مَنِيرٌ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ (١)
 ضَرْبٌ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامِينَ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعِينَ مُظْلِمٌ (٢)
 تَبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرَدٌ وَأَدْهَمٌ (٣)
 يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتُهُ ، وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ (٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ ممي كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعته ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دنار - بالتشديد - بدليل قولهم : دنانير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذاباً » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه أمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديياج وأصله دباح ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديياج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفهما ؛ وإذا ستر العيار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطيء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام بريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغرق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء

(٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْبَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ (١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنَّ ، وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ (٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيحَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتِهِنَّ يُحَطِّطُكُمْ (٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْحِجَابِ ، وَبَذَلَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ وَاللَّجْدُ مُعَلِّمٌ (٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرهما ، وهذا من قول الحصين بن الحمام للري :

يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قِصَدِ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْمَا
 « الحبار : الأرض الرخوة ، تمتع فيها الدواب ، وفي المثل : من تجنب الحبار أمن العثار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عاسل - من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب في الجري - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديه .

(٢) في الواد : يرد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكمن : جمع كامن - من كمن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دوزانها - يقول : إن خيله تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في الأودية فكنت فلم تظهر ، وتمتحم على الأعداء رهوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يمتنع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمهم ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع للمدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والحجى : العقل . واللهي : العطايا ، جمع لهية . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم

يَقْرَهُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ ،

وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجِمُ (١)

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْمُهُ (٢)

ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَدْيًا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يُؤْمَمُ (٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنِينَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُتَلَمُّ (٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
والمظهر آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجاز الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستقدم من يدالعدم فتطالبه بدم إلى الدنيا بعد أن أفتنهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

• بَكْرُنْ ضَرَأُ وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ •

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى المدحوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفمه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى (٤) الويل : للطر العزيز . وثنينا : أى صرفنا ؛ وبخبره - بالنصب - لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتحبره السيف التى ثلثها وقاملك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضا على صرفك .

وَمَا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
 تَلَقَّاهُ أَغْلَىٰ مِنْهُ كَفْبًا وَأَكْرَمًا^(١)
 فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالَمَا بَاشَرَ الْقَنَا^(٢) وَبَلَّ ثِيَابًا طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ^(٣)
 تَلَاكَ وَبَعْضُ الْقَيْثِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ^(٤) مِنْ الشَّامِ يَتَلَوُ الحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ^(٥)
 فَرَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا^(٦) وَجَشَّمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ^(٧)
 وَمَا عَرَضَتْ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاؤُهُ^(٨) عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخِي الذُّوَابَةَ مِنْهُمْ^(٩)
 حَوْلَيْهِ بِحَرٍّ لِلتَّجَافِيفِ مَا تُجِ^(١٠) بِسِيرِهِ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهِمْ^(١١)

(١) بصوبه: أى بما يسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان: أى أرفع منه قدراً وأصله فى التصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول: لما استقبلك السحاب بالطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
 (٢) باشره: تولاه بنفسه . والقنا: الرماح . يقول: إن هذا المطر باشر منك وجها طالما باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثيابا طالما بلتها دماء القتلى فلم يثنه بلها ، فكيف يهاب وقع للطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويخشى الماء من لم يخشى الدماء ؟
 (٢) تلاك: تبعك . ومن الشام: متعلق بتلاك . يقول: تبعك القيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضا ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم لشيء يتبع من حذقه .
 (٤) جشمه الشيء: كلفه إياه فتجشمه ، والذي: مفعول ثان لجشمه يقول: إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها: أى هو يشاقق قبرها كما تشاققه .

(٥) الذُّوَابَةُ - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا: ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخي الذُّوَابَةُ: سيف الدولة وإرخاء الذُّوَابَةُ: كناية عن كونه معيا ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول: لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف: جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضا . والطود: الجبل . والأيمهم: الذى لا يهتدى فيه : يقال بر أيمهم وفلاة يهماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مأجها ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الاسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطْرًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْجَمًا
يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمًا

بكثرته ، ويحكىه يبريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جملة
التجافيف بحرأ يسير به من الحيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال
قلأ فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بعضها إلى
بعض ؛ وعبرة ابن جنى : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَفِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَارًا إِذَا لَمْ تَفِيْبْ
وقال الواحدى : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفلحى - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج فى السهل والوعر ، وفى الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها فى ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يُظَلُّ بِهِ الْفِضَاءُ مُعْطَلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارًا ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحواله فتیان على وجوههم آثار الضرب والطنن
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطنن إعجاما لذلك
السطر ، لندور جراحته فى كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كَتَبْتَ أَوْجَهُهُمْ مَشْقًا وَنَمْمَةً ضَرْبًا وَطَعْنَا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لِأَتَنِ مَشْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتريكة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبى دلف ؛ والمشق : مدالحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتاً له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض الضيق ؛ وهما صليقان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمَّمُ (١)
وَأَدَبُهَا طُولُ الْقِتَالِ قَطْرُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَمَهُمْ (٢)
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسْمِعُهَا لِحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٣)
تَجَانَفُ عَنِ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرِقُّ لِمَيَّافَرِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبها بالتربكة وهي: بيضة النعامة إذا انقلقت وخرج الفرخ فتركت. والأرقم: الحية الذكركر؛ والضمير في يديه وعينه: للفق؛ وضميم فاعل بمد؛ وأراد بمد يديه منه ضميم فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد. وقوله وعينه: أي ويفتح عينيه منه أرقم؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول: إن هذا اللقي في الشجاعة كالأسد؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مد هماً أسد؛ وإذا مد عينيه من تحت الحوذة فقد مد هماً أرقم.

(١) الضمير في «كأجناسها»: للخيل؛ والشعار: العلامة في الحرب. والمسمم: الذي سقى السم. يقول: إن هذه الخيل عريية وكل ما معها من الرايات والسلاح والملابس عري كذلك.

(٢) الطرف: النظر، والضمير في «طرفه» للفرس، وإن لم يجره له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب. يقول: وأدب هذه الخيل طويل تمرسها بالقتال والتغلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته. (٣) الوحى: الصوت الخفي، وفعلًا ولفظًا: منصوبان على نزع الخافض، والواو بعدها: للحال. يقول: إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ
بِرِحَالِهَا لِرِوَاكِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا
مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْعُبَابِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُجَبَّرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا
مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

(٤) التجانف: لليل، وفي التنزيل: «لئن اضطر في محصنة غير متجانف لإثم» أي مائل، وقال الأعشى:

تجانف عن جـو اليمامة ناقتي وما عدت من أهلها لسوائسكا
وميافارقين: بلدمن أعمال ديار بكر، يقول: إن خيلك تميل عن ميافارقين رحمة لها، لأن فيها قبر والده، وخشية أن تدوسها بموافرها لو هي سارت بجانبها.

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَّاكِبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِنَهَا الضَّعِيفُ الْمَهْدَمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجردها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علت ضعيفا ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لتعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للموضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورينا » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيصر الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستमित فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضميره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيخ :

لَمَّا فِي الْوَعْيِ زِيءُ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكَلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَعَلِّمٌ (١)
وَمَا ذَاكَ بِنَجَلٍ بِالْثَفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَحْزَمَ (٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لِحْمَهَا وَلِحَوْمَهُمْ فَاتَوَكَّ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ (١)

(١) الوعى: الحرب. والحصان: الذكرومن الخيل. والدارع: ذو الدرع. يقول: إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها، لأنها قد ألبست التعافيف صونا لها، فكل فرس منها ذو دروع من التعافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه من الحديد.

(٢) يقول: لم تحصنواهم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها، ضنا بفسهم أن تنالها أسنة الرماح، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله، ولك فعل الحازم اللبيب، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا، روى أن كثيرا أشد عبد الملك بن مروان:

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَيَسْتَضِلُّ الْقَرْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا (٣)
فقال له عند الملك: هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال:

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرَسَاءُ يُغْشِي الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتَلُ مُعَلِّمًا أَبْطَالًا؟ (٣)

(١) الوجيف: ضرب من السير سريع.

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها:

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالَ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَالَهَا
تَبْلِجَ لِمَا جِئْتَ وَاهْتَزَّ ضَاحِكًا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بِلَالَهَا
وقوله وأذالها: أى أطلها.

(٣) ملامة: كملمة: مجتمعة، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لئنها، ونهاها عطاشها: أى يغشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يخشى، وجنة - بالضم - الدرع، وكل ما وقلك فهى جنة؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس نفسه: أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه. والبيتان من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الكندى.

أَتَحْسِبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَدَّوْهُمْ (١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خِلْنَا سِيُوفَنَا مِنْ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسُّمُ (٢)
 وَلَمْ نَرِ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْمَلُ (٣)
 أَخَذَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ كَلَّ تَنْبِيَةَ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ (٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالجزامة ؛ ويريد التني بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، والثاني ما طرضوهم بمثله ، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أنتظن السيوف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : معنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأننا وأعظم أصلاً رغم جلالها ورفعها ونفاذها وهبتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيوفنا تتكبر . وتعجب بأن صرت لها سمياً فهي تتبسم في أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَنْبِيَةُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبري : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر وقال : قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه التتكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من العجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالاً لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها في التسمية ، فحقرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أي بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم تر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتمريض له في مجلسه بما لا يجب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ يَمِّنُ قَلْبَهُ شَيْمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، وتحرم من تشاء لأنك ملك في يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَعَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشيم : البارد . والشيم : البرد ؛ وقد شيم الماء - بالكسر - فهو شيم ، ومطر شيم ، وغداة ذات شيم ، وقيل لابنة الحس^(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سنة ، في غداة شيمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطمة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشيم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِمَعْنِي قُطَامِي نَمَّا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَيْمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأعانى فيه ، سقيم الحلل لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما ثبتت في الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إياد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو المعنى

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَالِي أَكُمْ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ (١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِعَرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ تَفْتَسِمُ (٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ (٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّمِّ (٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَتُهُ ظَفْرُ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعْمٌ (٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلًا يَا هَنَا هُ وَيَمُكْ أَلْحَقْتُ شَرًّا بِشَرِّ (١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .
 (١) براه : أعجله وأضناه : وأاكم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكبه ضرورة ، أو طى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمي ، وأعين طى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعني وغيري أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة في حبه ، فليتنا نقتسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيري ، لأنى أوفر حبا من غيري . وقال ابن جني : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لعزته ، فليت أنا نقتسم به كما تقتسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى مفضبة بالدم . يقول : إنه خدمه في حالي السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة والخلق . يقول إنه كان في الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما للرم خلقه .

(٥) يمته : قصده . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — فوت العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمك لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فرمك ، فكانت ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف -ين لم تدركه فقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ بِهِمْ (١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُؤَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ (٢)

أَكَلَمَا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَيْمُ (٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا (٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ (٥)

(١) الهمم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبس بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جنى : الهممة فى الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ بهمهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك فى شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك ما لا تصنعه عسا كرك للشجعان ، يعنى أن مهابتك فى قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يوارىهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئاً لم يكن يلزمها ، وذلك رغبتك فى أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفىك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفىه ما يكفى غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلماً طلبت جيشاً فارتد هاربا منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) المعترك : ملتقى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك فى مجال الحرب ، والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالحرب إشفاقاً منك وخوفاً من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللهمم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالنكسب . يقول ليس يحولك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ (١)
أَمِيدَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ (٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِبِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ (٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ (٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاطكك إلى غيرك ، وإنما أستعدي عليك حكمتك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جني : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ
وَإِذَا كَانَ عَدْلًا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِهِ فَقَدْ وَصَفَهُ بِأَقْبَحِ الْجَوْرِ .

(٢) قال ابن جني : سألته - أي التفتي - عن الماء « في أعينها » على أي شيء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأحنف في قوله/ تعالي « فإنها لا تعمي الأبصار » فقال : الماء راجعة إلى الأبصار وغيره من النعويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر الماء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أي من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى تبي ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تلتط فيها تراه فلا تحسب الورم شعما . وهذا مثل ، يقول : لا تظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعني : يجب أن تميز بيني وبين غيري بمن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بيني وبين غيري ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغي أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعري ، يعني : أن شعره سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكان الأعمى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكان الأصم سمعه . وكان للمرى إذا أشهد هذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَفَمُ^(٢)

(١) الشوارد : سواثر الأشعار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة ، وهذا أشد في المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وملهء جفوني موضع المصدر : أى أنام نوماً ملاءء جفوني . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلاك ، ومن جلالك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَفْضَى الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ

[أى من أجله . وقيل من جلالك : من عظيمك في عيني . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيها بعدها مضمرة] وأنشد الكسائي على قولهم : فعلته من جلالك - أى من أجلك - قول كثير :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالخَرْقُ بَيْنَنَا وَإِكْرَامِي الْقَوْمِ الْعِدَا مِنْ جَلَالِهَا

[الخرق : البعد] ووحد الضمير في « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملاءء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدي : ومعنى الاختصاص اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء^(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويحتلبونها استكراهاً .

(٢) مدده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراساً .

(١) جاء في اللسان : الخصم - بالضم - جانب العدل وزاويته ، يقال للمتاع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السعابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحباباً :

إِذَا حَطَّعَت فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جِرَارٍ تَدَاعَى خُصُومِهَا

أى تجابج جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجزار : الثقل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أو اخره خصومها : أى جوانبها

ظَهَرَتْ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَنْظُنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمٌ (١)
وَمُهْجَةٌ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمٌ (٢)
رِجْلَاهُ فِي الرَّكْعِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ (٣)
وَمُرْهَفٍ سِرَتْ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبَتْ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ (٤)
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْفَرِطَاسُ وَالْقَلَمُ (٥)

يقول: رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقه - ضحكي منه حتى افترسته
ربطت به بعد زمان : يعنى أنه يفضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويصف به .
(١) يقول : إذا كثر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصداً للافتراس . يريد
أنه وإن أبدى بشره وتبسمة للجاهل ، فليس ذلك رضاعنه ، وفي مثل هذا يقول :
أبو تمام :

قَدْ قَلَّصْتُ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ نَخِيلٍ مِنْ شِدَّةِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة
والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه يقول
رب مهجة مهة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
رجل واحدة لأنه يرفعها معاً ويضعها معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يفيك عن تحريك اليد
بالسوط والرجل بالاستحاث ؛ وقال ابن الأفلح : وفعله فى السرعة ما تريد أقدام
التي بها يستعمل وفى المؤاناة وللواقفة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
جنى : بين الموحيتين : أراد موحى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه
وتضطرب .

(٥) البيداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَمَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكْمُ^(١)

الضرب والظمن وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفني لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفني لتقدمي في فروسيها ، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها واستسها إلى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتي بما فيها ، والقلم عالم بإبداعي فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لمخش العقيلي يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب في قرطاس :

كَأَنَّ بَحِيثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحَطَّ زَبُورٍ مِنْ دَوَائِمِ وَقِرْطَاسٍ

(١) الفلوات : القنار ، والقور : جمع قارة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدي :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقُورِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورِ

مُكْتَتَبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمْطُورِ أَرْزَمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ السَّرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقيزان . قال ذو الرمة :

إِلَى ظُنَيْنٍ يَقْرَضُنْ أَقْوَاظَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش في الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب مني نجدها وغورها لكثرة ما تلقاني وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد

مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومرحوب أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدا وسرور السرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والقوارس : موضعان

يقول : نظرت إلى ظمن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ مُنْفَارِقَهُمْ
 وَجِدَانَنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُمْ عَدَمٌ (١)
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسٌ (٢)
 إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرُحٌ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ (٣)
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الشُّعَى ذِمَّةٌ (٤)
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ (٥)

(١) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعني لا يعنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .
 (٢) ما أخلقه بكذا وأقنه وأجدره وأحراره وأولاه : بمعنى ، وأهم قريب يقول :
 يقول : ما كان أحرانا بركم وتكرمتكم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم اي معنى لو تقارب ما بيننا بالحلب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .
 (٣) يقول : إن سررتم بقول حاسدنا وطمنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا في سرورنا في سروركم ورضانا في رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنْ لِقَلْبِكَ فِيهِ سُورًا
 وَلَوْلَا سُورُوكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا
 لِأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكَ مَهْلًا سِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رعيتم ذلك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى : المقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو المقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضعونها .
 (٥) يقول : كم تحاولون أن تجهدوا لى عينا تعيوننا وتتعلقون عليه وتمتدرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبَدَّ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيًّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ (١)
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْوَادِيمُ (٢)
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَاخِدَةَ الرَّسْمُ (٣)

(١) وذان : أى العيب والنقصان . يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقنى العيب والنقصان .
(٢) الغمام : السحاب . والصواعق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصواعق مهلكة وهى التى تسكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى الرجوة . من الغمام ، فهو يقول : ليت المدوح الذى يشبه الغمام الذى تصيبنى صواعقه - يعنى أذاه وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره
كما قصرت عنا لهاه ونائله (١)
ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَاعِقُ مِنْكَ

وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَفْدُ (٢)

وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سقمياً سمائكم
فحظى وميض البرق أو زجل الرعد
وأخذه السرى الرطاء فقال :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه
حظى وحظ سواى من أنوائه

(٣) النوى : البعد . وتقتضينى : أى تطالبينى ، وقد ضمنه معنى تكلفنى أو تجشمتنى ، ولذلك عداه إلى اثنين . والواخذ والرسم : ضربان من السير ؛ والواخدة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمى : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
(٢) الحيا المطر ، ورمى جمعد ؛ ورتاب جمعد : لبن ندى .

لَيْفِن تَرَكَنَ ضَمِيْرًا عَنْ مَيَّامِنِنَا لِيَعْدُنَّ لِيْنِ وَدَفْتُهُمْ نَدَمٌ (١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ (٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيْقَ بِهِ وَشَرُّهُ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِيْمُ (٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبارة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تخيم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في «ليعدن» لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير «تركن» للوخادة والرسم . وضمير : جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقك وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشعراء قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمنى إليه وقال الإمام التبريزى إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، ومعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسماف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، واتقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكميم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كما دته - : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وما القمَرُ بالبيدِ القواءِ بل التي نَبَتْ بى وفيها ساكِبوها هي القفر (١)
وأين هذا من ذلك .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف . الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَالًا فِيهِ وَالرَّخْمُ (١)
بَأَى لَفْظٍ تَقُولُ الشُّغْرَ زَعِنْفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجْمٌ (٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْمَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ (٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرخمة طائر أبيض على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالقدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البراة الشهب مع رفعها والرخم مع وضعها ودناؤها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدته ما شاركتني فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزعنف - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس . وهو مأخوذ من زعنفه الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تحرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش وردال الناس . وتجوز من جواز الدرهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تستبيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نوناً ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعمام : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الحساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) اللمة : الهبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة

وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالكَرْمُ وَزَالَ عَنكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأُمُّ (١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْفَارَاتُ وَأَبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ (٢)
وَرَجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ (٣)
وَلَا حَ بَرَفُوكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْتَسِمُ (٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين الهجين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجحك محبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عاقبته لعوده بعد ذلك إلى غزوم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الفارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الفارات عليها ، فكان الفارات كانت عليقة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ، ومبالغاتهم التى قد تفضى بهم إلى مثل هذا المذهبان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسناً

(٤) العارضان : شقا الفم ، وقيل جانباً اللحية ، وعارضاً الوجه وعروضاه جانباه يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل الفم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثفره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذلك ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسَى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَادِمُ (١)
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمُخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ (٢)
وَأَخَصَّ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَّمُ (٣)
وَمَا أَخْصَكَ فِي بُرْءِ بَتَمَنِّيَّةٍ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا (٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشبهه : بتشابهه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المهتد : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحرى :

عَدَا قِسْمَةَ عَدْلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرْوِ نَبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَأْتَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرُهُمْ

وقال سلوماء على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأفند شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام
فقال أبو الطيب (*):

قَدْ تَمَمْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلَنَّاكَ بَدْرَةَ فِي التَّمَامِ (١)
وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قُدْرَ الْكَلَامِ (٢)
كُنْتُ فِيهَا كَتَبْتَهُ نَائِمٌ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمٌ الْأَقْلَامِ (٣)
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامَ لَا رَقْدَةَ مَعَ الْإِعْدَامِ (٤)
إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَأَتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنْعَامِ (٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ بَدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَامِي (٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن النجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمَ التَّنَاءِ مِنِّي شِعْرًا فَاقَ حُسْنًا كَلْوَالِي فِي نِظَامِ
لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظَهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
وَلِي الرِّسْمِ مِنْ تَطْوِيلِ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فَإِنِّي مُوْتَقُ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلْوًا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

- (١) البدرية : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببدرية السخلة - جلدها -
- (٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
لسيف الدولة غرضاً يقصده
- (٣) كنى عن رداة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديثاً لأنك قلت في
النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتة حتى جاء الخط رديثاً أيضاً ؟
- (٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟
- (٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا مخاطبه كما مخاطب سائر الناس
- (٦) يقول : لا يفتنى عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
للجلالة قدره ، ولا يمنح منه أحد ما يطلبه ، لسعة مقدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكِرَامُ (١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ (٢)
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (٣)

(١) يقول: إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى
الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحف سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن
عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله
بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع
القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف
الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر
خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم
الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها
في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم: الجهد - عزم على الأمر عزمًا: أي أراد فعله - وقال الليث العزم
ما عمد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم: جمع عزيمة ، وهي ما يعزم عليه من
الأمر . والمكارم: جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول: إن العزائم إنما تكون على
قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذي يعزم عليه عظيما ،
وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها: فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرّمات
أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ،
وهذا كقول عبد الله بن طاهر:

إِنَّ الْفُتُوْحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامِ الْمَقَادِمِ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول: إن صغار الأمور عظيمة
في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظماها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته
فضلة عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التي ذكرنا من نفاذ
همته وجلالة قدره .

يَكْلُفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخِضَارِمُ (١)

ويطلبُ عند النَّاسِ ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم (٢)

يُفَدِّي أُمَّ الطَّيْرِ عُمراً سِلاَحَهُ نُسُورُ الْمَلَأَ أَحْدَاتِهَا وَالْقَشَاعِمُ (٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِبَقِيرٍ مَخَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ (٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداماً . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أم الطير ، أو عطف بيان ، وأحداها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . وروى الفلا : جمع فلاة ، وهي الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرِغْ بِيوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رِحْلَهَا أَمَّ قَشَعَمِ (١)

وأراد بأنم الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثاني . يقول : إن النسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الأتقوات ، لكثرة القتلى في وقائمه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للإنسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراع - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : حمل حصين بن ضمضم على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفرغ بيوتاً كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرحل المنزل لأن للسافر يلقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل المنة لحولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدِيثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ اَيُّ السَّاقِيَيْنِ اَلْفَنَاءُ (١)
 سَقَّتْهَا اَلْفَنَاءُ اَلْفَرْقُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا اَلْجَمَاجِمُ (٢)
 بَنَاهَا فَاَعْمَلَى وَالْقَنَا تَفْرَعُ اَلْقَنَا وَمَوْجُ اَلْمَنَابِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ (٣)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَاَصْبَحَتْ وَمِنْ جِثِّ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ (٤)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار يظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلمًا . وعبارة العكبري - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريد . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَآكَ يَوْمٌ لِلْعُقَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبُصَبُ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرَّمَاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الضَّرْبُ ما تَقَرَّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أي الساقيين لها هو الفناءم : أجماجم الروم التي سقتها بالدم ، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهي لا تدرى أي هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفناءم لأنهما استويا في السقيا وقد بين هذا المعنى في البيت التالي . وقوله أي الساقيين الفناءم : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفناءم : جمع غمامة ؛ والقر : البيض .

(٣) فأعلى : أي فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنابيا تسلب الأرواح ، واستعار للمنابيا موجاً متلاطماً لكثرتها : أي لكثرة القتل ، فكان المنابيا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كاث ، وهو خلف من موصوف : أي شيء مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَمًا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْحَطِيِّ وَأَنْدَهْرُ رَاغِمٌ (١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ (٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمام : جمع تيمة ، وهي العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويهاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جث القتلى كالتمام عليها حيث أذهبت ماها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لي : منه ، قل : ومن جث القتلى ، قبلت وقلت كما قال لي .
قال ابن وكيع : وقد لا ذاب أبو الطيب بقول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يَعُوذْهَا بِنَعْمَةِ طَالِبِ

(١) الطريدة : الطروذة ؛ أي ما طردته من صيد أو غيره . والحطى : الراح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أي التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفتوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالي : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والنصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالي شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهي إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالي ، فتكون الليالي فاعل « تفيت » والمفعول الأول
عذوف : أي من عادة الليالي إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعني أنت أفوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوَّارِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٌ
وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَهَدَى الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزي وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للنبي ، قال ابن القطيع : قال
لي شيبني محمد بن البراء التميمي : قال لي صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون
(٧ - المتنبي)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَمُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَقَ عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ (١)

فقال : صحفت يا أبا علي ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته - بالتاء - لأنني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت ، وذلك أن تفتيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « اللبالي » فاعله ونصبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « اللبالي » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا . وأما فساد المعنى فلو جعلت « اللبالي » الفاعلة لجمالها تفتيت كل شيء ولا تعرفه ، ثم نقضته بقولي : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفتيت ياسيف الدولة اللبالي كل شيء أخذته منها فلا تعرفه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يحزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازم : « لم ؛ و « لا ، ولا ، ولام الأمر » أي إذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما بهم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ما وعد به : أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طاب ، وعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمرا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجوازم ، وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها تغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو « لم » و « لا » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقبها للشرط ، فكانته يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترتب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراه عاقبة . وعبارة العكبري : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا - ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى المتأخر الذي لم يقع - صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فثبتته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبي تمام :

خرقاه يَلْعَبُ بِالْمَعْمُولِ حَبَابَهَا كَتَلْعَابِ الْأَفْعَالِ بِالْأَتْمَاءِ (١)

(١) من قطعة في وصف الحجر .

وَكَيفَ تَرْجَى الرُّومُ وَالرُّومُ هَازِمًا
(١) وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمٌ
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَائِيَا حَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ (٢)
أَتَوْكَ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْنَا بِجِيَادٍ مَا لَهِنَّ قَوَائِمٌ (٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابَهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَامُ (٤)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الأساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على أساس مثل عس وعساس : جمع الأساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطنك الذي أعملته فيهم ؟ فالطنن لها كالأساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالأساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا في الحرب حاكمة بينهما حكمت للمظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والجياذ : الخيل . يقول . أتوا مدججين في السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وطى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعافيف التي على الخيول .

(٤) البرق : اللامعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقولته نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبرة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وراء وسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة ، لأنها تلبس في أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفُهُ

وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ (١)

تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ لِحَدَاثِ إِلَّا التَّرَاجِمُ (٢)

الدبوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العائم والعائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ اليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله التي مع ثقيل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرت طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنَ يَرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحداث : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول الجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْحَدَاثِ لَيْلِي فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَمَجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي

ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي (١)

وقول سويد بن أبي كاهل :

يُسْمِعُ الْحَدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش بكل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجي في أماليه : أخليت : وجدتها خالية - مثل أجبنته - أى وجدته جيانا ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور هكفظ منسوباً إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفو الحكم : عند خلائنا وبلائنا .

فَلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ النَّشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ (١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ (٢)
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ (٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديماً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا الخالص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذى بعده أنكسر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرهما وقال له كان ينبغي أن تقول .

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقِفٍ ووجهك وضاح وثفركُ باسمِ
تمرُّ بك الأبطالُ كلُّى هزيمَةً كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ
ثم قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً للذَّةِ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسبأ الرِّقَّ الرِّوى ولم أقلْ نِجلى كرمى كرمة بعد إجنالِ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمِي هَزِيمَةٌ
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِاسْمِ (١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سبأ الحمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لثة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الحمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت اللوت في أول البيت أبعثته بذكر الردي ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطيق بين الصدر والعجز أحسن من يبق للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردي وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في اللوت شك لواقف * فلما عدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن اللوت قد أظله من كل مكان كما يحرق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة اللوت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتمس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعمل بمعنى مفعول ، والناء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارة المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عز ملك ، ولا يضعف نفسه ، بل كنت حينئذ وضاحاً غير متخوف ، وبساماً غير متضجر ، واتقاً من الله بنصره ، متيقناً بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَقْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِماً إِذَا تَفَيَّرَ وَجْهُهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً^(٢) تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٣)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ^(٤) وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٥)

(١) النهى : جمع نهيّة ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتمتة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر وورباطة الجأش لا يكتفى فى مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت فى تلك الحال وضاحا بسبما لا تكثر لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى فى تعليقاته على هذا البيت : فى آخره بعض التنافر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان فى ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) بريد بالجنّاحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبنا العسكر . ولما سماها جنّاحين ؛ جعل رجلها خوافى وقوادم ؛ والجنّاح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله فى طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جنّاحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلكت الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الروس ؛ واللّبات : النحور . بريد برعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حمله بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللّبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تمتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وعبرة ابن فورجة : - وهى فى عراض ما قلناه - إنما عن

حَفَرَتِ الرَّدَّيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفافُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمُ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نَثَرَتْ فَوْقَ الْمَرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترته ؛ ولما آرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعبر الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكانه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبارة العكبرى - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقلت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها خبرتك بأمرها ، فكانها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانها تسخطاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : الرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحياد : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقهم . يقول : نثرت جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدرهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدرهم إذا نثرت ، قال العكبرى : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكّم في الروم قتلاً وأسراً ، وبترجيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعلى الجبال . يقول : إنك تمسهم بخيلك في رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبارة بعض الشراح : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في رءوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أَنْكَ زُرْتَهَا
 إِذَا زَلْتِ مَشِيَّتَهَا بِبَطُونِهَا
 كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمِ^(٢)
 قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لِأَمِّ^(٣)
 وَقَدْ عَرَفْتَ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمِ^(٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمايك ، وأشار بذلك - أي كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاع مواضعها وانتاع أما كتبها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوه في رءوس الجبال ، وأدركوه في أبعاد غابات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخاء ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والأمامت : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلدم ، وهي الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعني أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نظروا إلى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان

وقال ابن الأفلح : تظن فراخ العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانها فأمدتها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل في صعودها الجبال جعلتها تمشي على بطونها في تلك المزالق مشى الحيات على بطونها في الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها في الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير في « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب في قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يجربه ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أي جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتَهُ بَابِنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ (١)

مَضَى شُكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْتِهِ الظُّبْيِ
بِمَا شَفَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمِ (٢)
وَيَفِيهِمْ صَوْتُ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ عَلَى أَنْ أَصْوَاتُ السُّيُوفِ أَعَاجِمِ (٣)
يُسْرُهُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَن جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمِ (٤)

شجاعته ، فيأتيه مقاتلاتهم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح . وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة . والصر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بجوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي الصر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزته من هؤلاء فلا يجترى على العود إلى الإقدام ؟ وعبارة العكبري : يريد أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ، الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالي ولا جعافري ولا عباقري . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم تقتلهم ، نجد في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجباء : أي ليست ذات لفظ يفهم والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكِ هَازِمٌ^(١)
تَشْرَفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَإِنِّي لَتَمْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
حَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمِيهِ الْغَمَاغِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجما هو واشتغل عسكري بها عنه ، وليس سروره جهلا بمحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجما برأسه غانم وإن كان مغنوماً: أى لايبالي بغيره إذا نجما هو ، لأن اللسوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبرى ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «سكن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلما كازعيم ملته .

(٢) الضمير في «به» : للملك : قال العكبرى : ولو كان بدل الماء «كاف» لكان أجود حتى يكون مخاطباً . وعدنان : أبو العرب : وريبة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطين المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقيدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونِكَ مِنْ أَقَاوِيلِي مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَإِنِّي النَّظَامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوعى : الحرب . يقول : إنى أمتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموماً فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادماً على ما أعطيتنى ، لقيامى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادما» : أى لست نادماً على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوعى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُقَمِّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ (١)
هَنِيئًا لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْكَ سَالِمٌ (٢)
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيغُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ (٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والفاغم : الأصوات المختلطة هي أصوات التحارين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :

وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقٍ لَمَّاعٍ وأخضرَ صَارِمِ
وطيارَةٍ بالرجل خوفًا كأنما تُصَافِحُ رَضْرَاضَ الحصى بالجمجمِ
(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يهضم - لا يعنى ولا يمنع - منك - شيء لا حسن ولا حديد ، ويروى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرؤوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئا ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئا : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئا بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلاستك لأنك قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلاء أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الهم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ما وقي » ظرفية زمانية ، وتفليغه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيائته للأشياء - أي أبدا - وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة ،
وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة
أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هَمَامٌ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامٌ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامٌ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامٌ^(٣)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامٌ^(٤)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول
مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ا والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء :
صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك أيام ؟ وهل تقاطرت
رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح
الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فرعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به
وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول :
هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل
مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسى من تجنُّبهُ عزيز علىَّ ومن زيارته لِمَام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أذى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه
لا يكتفى حتى يبلغ أقصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ،
والخطو : نقل القدم أو الزمام : ما تقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس
على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ،
حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال حده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرَّسُلُ أَمْنًا وَغِيظَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرَّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ ^(١)
 حِذَارًا لِمُرُورِي الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قَبْلًا مَا لَهْنٌ كَلِيَامٍ ^(٢)
 تُعْطَفُ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامٌ ^(٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ ^(٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرَّسُلَ عَمَّا أَنْوَالَهُ كَأَهْمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَسْلَامٌ ^(٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالي . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبري : « ليس » هنا تحتل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيوييه ، والثاني أن يكون في « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .
 (٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعروري الفرس : ركه عريانا : وقوله إلى الطغن : متعلق بمروري . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا هتنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أي قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها .

(٣) الضمير من « فيه » في المصراعين : للطغن المذكور في البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها اتقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذ زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبري أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فما صح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بمسالم . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدَّمَامَ طَوَاعَةً فَمَوْذُ الأَعَادِي . بِالكَرِيمِ دِمَامٌ (١)
 وَإِنْ نَفُوسًا أَمَمْتَنِكَ مَنِيعةً وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتَنِكَ حَرَامٌ (٢)
 إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِيكَ أَجْرَتَهُ وَسَيِّفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ نُسَامٌ (٣)
 لَمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الخِنَافَ تَفَرَّقُوا وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللِّطَافِ زِحَامٌ (٤)
 تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ العَيْشِ وَهوَ حِمَامٌ (٥)
 وَشَرُّ الحِمَامِينَ الزُّوَامِينَ عَيْشَةً يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيَضَامٌ (٦)

اللائمين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأئم في سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الذمام : العهد ؛ وطواعية : حال : أى طامعاً . وعاذ به عوذاً لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعية فليأذم بك يوجب لهم الذمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدواً : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت في حرمتك وراحيك لا يضيع .
 (٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام :

تمكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيفهم ، بل يتفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلطفون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته في الحرب وازدحامهم عليه في السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذلياً أو تختار الحرب خوف لقتل ، يؤول ذلك العيش هو الموت في الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر في البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المهجز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَكُمْ وَغَرَامٌ^(١)
 وَمَنْ لِفُرْسَانَ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ^(٢)
 كِتَابٌ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
 وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّغُوا^(٣)
 وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خِيُومُهُمْ وَعَزَّوْا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا^(٤)
 عَلَى وَجْهِكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمْ وَسَلَامٌ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) المن - هنا - : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والصبصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان النة ، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتاب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتاب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا - عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا في كنفك وظلك وحمایتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) الليمون : ذو اليمين والبركة . والنبارة : الحرب . وتوالى : تتناح والمراد بالصلاة والسلام : التمجيد . يقول : كلما سرت في غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي بعده - يؤكد البيت السابق .

وَكُلُّهُ أَنَايسٌ يَتَّبِعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُرُمَاتِ إِمَامٌ^(١) ،
 وَرُبَّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابٍ بِمَثَلِهِ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قِتَامٌ^(٢) ،
 تَضْيِيقٌ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فَضٌّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(٣) ،
 حُرُوفٌ هَجَاءُ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ ، جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤) .

(١) يقول : إن الكروام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أفتنه مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعين الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرمان - وكلا استدللت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان برئى عثمان :

ضَحَوًا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
 وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادٍ الرَّوَّاسِيُّ :
 لِمَنْ طَلَّلَ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بَيْطُنَ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنَ الذَّهَابِ^(١)
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمَلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِمَالِكَا
 قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُلْوَانُ - لَعْنَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٌ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
 (٣) البيداء الأرض الفقرة البعيدة . والنشر : خلاف الطي . وختام الكتاب : العطين
 الذى يختم به . وفضه : كسره . يقول : تضيق البيداء بهذا الجواب ولم ينشر ولم يفض
 عنه الختم ؛ يعنى أنه جيش كثير تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره ، فكيف إذا
 انتشر وتفرق للحرب والغارة ؟ وقد استعار الفرض والختم وهما للكتاب والجواب لما جعل
 الجيش كتابا وجوابا ، وهو تخيل بديع رائع :

(٤) الجواد : الفرس الكريم . والرمح الذابل : اللين الحسام : السيف القاطع
 لما جعل الجيش جوابا جعل حروف هجائه هذه الأشياء ؛ أى أنه ألف من هذه الأشياء
 كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء .

(١) هذا هو النص الصحيح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ،
 والذهاب : موضع .

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَنْعَمْتَهَا فَالَهُ سَاعَةٌ لِيُعْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحْلَ حِزَامٌ (١)
 وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَيْدَنَةٍ ، فَإِنَّ الَّذِي يَعْزَمَنَّ عِنْدَكَ عَامٌ (٢)
 وَمَا زِلْتَ تُفْنِي الشُّمْرَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، وَتُفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُهَامٌ (٣)
 مَتَى هَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامٌ (٤)
 وَرَبُّوْا لَكَ الْاَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبٍّ غُلَامٌ (٥)

(١) إذا الحرب : أى ياساحب الحرب ؛ ويروى : أخوا الحرب : يقال هوأخو كذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أنعمت الحرب ، أى أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصارها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه الهدنة ، وعناية أعمارها عندك عام لاتجاوزها ، لأن الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزها ، لأن الانكسار يسرع إليها بدوامتك الطعن وأمد مهادتتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيبتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، والهوام : الكثير الذى يلتمس كل شيء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهوام : الرؤس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ، (٥) الكاعب : الذى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم

ربو أولادهم لتسيبهم ، وقدصارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان لتسيب قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لتسيبهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العقوبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدونا وحزنا » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَصْبِ وَجَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنْزَتْ إِنْارَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَّتْ تَمَامٌ^(٢)

وقال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِيًا يُصْنِي فُوَادَ مَرَامِيهِ تَرُبِّي عِدَاهُ رِيْشَهَا لِيْسَاهِمِهِ^(٣)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحَسَامِهِ^(٤)

(١) يقول : جارك الملوك فيما نهجته من الكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وني بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم - من الملوك - إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أعمه لك من الفضل : يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبرة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة القتل فى الرمي - يقال رماه فأصماه : إذا أصاب ممتله . والمرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفره ، كالرامي يصيب فؤاد حرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام التى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحمّل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راس فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً؛ والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجمل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا
وَرُومَ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتٍ تُحَامِيهِ (١)
فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى
وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ (٢)
وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ
جَزَاءً لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ (٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحنى
وقد فصله النابتة أيضا فقال :
وإن تَلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِكَتِي ،
مُهْرِي وَمَا ضَمْتُ إِلَى الْأُنَامِيلِ ،
حِبَاؤُكَ وَالْبَيْسُ الْعِتَاقُ كَانَهَا
هَجَانُ الْمَا تَرَدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلِ (١)
وقال أبو نواس :

* وكل خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدي : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعني أنه وهبه العبيد بسلحها .
(٢) الضمير في «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهرى : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمي إقليميا : لأنه مقلوم من الأقليم الذى يتاخذه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيده من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبو تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :
طِوَالِ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ
وَقَطْرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بَحَارِ
وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطمى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكّة : ما يلبس من السلاح ، والحباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِمَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ (١)
وَلَا زَالَتِ تَجْتَازُ البُدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ (٢)

(١) أراد بالشمس التي في لئاه: وجهه . يقول : لازال باقيا بقاء الشمس ، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في اللدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جنى : أضاف السماء إليه لإعزازها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الحرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أذاعتَ غزلها في القرائب (١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر . وتعجب : أى تعجب . يقول : لازال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وقالت : سماء البيت فوقك مُنْهَجٌ ولما تُيسَّرُ أحْبِلًا للركائب

والحرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الحرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخرزبها لى ، فقالت : إني خرقاء : أى لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الحرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجيء البرد ، فبسبب هذه الملابسة سمي سهيل كوكب الحرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الحرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثانى عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنهج الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجبل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أى وقالت لزوجها : سماء البيت فوق حلقى ولما تيسر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأشدد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ^(١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتَكَ تُوَسِّعُ الشُّعْرَاءَ نَيْلًا حَاحَ دِيْبَهُمُ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا^(٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأشدد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
تُخَيِّرَنَّ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةَ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرْبَنَّ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كَلَيْفِي لِهَمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلِيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكُوكِبِ

يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة نخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه القم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تثلت لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إليك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيماً وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرْفًا عَظِيماً^(١)
 تَمِيمَتِكَ مُنْشِداً بَيْتِي زِيَادِ نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً^(٢)
 فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبَطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرِّمِيماً^(٣)

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاجِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتِ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي^(٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هي لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائي :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْمُكُ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا

يقول : تعطى الباقيين منهم - أى الأحياء - عطاء جزيلاً ، والمضامين شرفاً عظيماً بأن تنشده أعمارهم وتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم .

(٢) زياد : اسم النابغة الذبياني ؛ والنابغة : لقب غلب عليه . ونشيداً مفعول مطلق ، وضعه موضع الإنشاد .

(٣) الغبطة : أن تتمنى مثل حال للغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ، ورم العظم يرم زمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرميما : وصف الأعظم - وهى جمع - بالمفرد ، لأن فعلاً وفعولاً يستوى فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى « من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل لأن تنشده شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى مجلسه قول المتنبي :

وما الحُسنُ فى وجهِ الفتى شَرَفَ له إذا لم يكن فى فعله والخلائقِ
 وجعل رده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسى ، فأنشد ارتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابنِ الحسينِ فإنما بقَدْرِ العطايا واللها تفتح اللها
 تنبأ فى نظمِ القريضِ ولو دَرَى بأنك تزوى شمره لتألها

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهب والتصابي : ومرابع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ الِهُمُومُ عَلَى فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ الْاَوْامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعِيْنِي عُرْوَةَ بِنَ حِزَامِ (٢)
وَلَطَّالَمَا اُنْفَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَاُنْفَيْتُ بِالْعِتَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحِجَانَةٍ وَتَجْرُؤُ ذَيْلِي شِرْوَةَ وَعُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي؛ ويروى بالرفع عطفاً على ذكر؛ والراتع: جمع مرتع، الموضع ترتع فيه الدواب؛ أي ترحى كيف شاءت. ويروى مرايع: جمع مربع، المكان الذي يربعون - يقيمون - فيه، يريد ديار الأجابة والآرام: الطباء البيض. وأراد بهن النساء جمع رُم - على القلب المكاني - والحمام: الموت. يقول: إن ذكر الصبي ومراتع النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هي والموت سواء، يعني شدة وجده على فراقهن، فكانه مات قبل موته لشدة الوجد.

(١) الدمن: جمع دمنة، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم؛ ودمن خبر مبتدأ محذوف: أي تلك المراتع دمن؛ والعروضات: جمع عرصة، ساحة الدار. يقول: لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومي شوقاً إلى من كان بها كتكاثر لوامي في حبهن.

(٢) وكفت: أي قطرت؛ وسالت: يروى وقفت، وعروة بن حزام: هو صاحب عفراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين. شبه هطلان السحاب في تلك الدمن بيباء عروة بن حزام على فراق صاحبه. يريد كثرة ما يجري عليها السحب من المطر، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ عَيْنَ تَحْتَهَا حَبِيْبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِ (١)

ومثله لحمد بن أبي زرة:

كَأَنَّ صَبِيْنَ بَانَا طُؤُلَ لَيْلِيْمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِيْهَا الْمُقْلَا

(٣) الكعاب: الجارية دأ ثديها للنهود. يقول: طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هي - الكعاب: أي محبوبته - عتاني حتى ألحمتني عن الكلام، فانا أذكر من كان بهذه الدمن وارنحل عنها فيزيد وجدى وشوقى.

(٤) الحجانة: مثل الخلاعة؛ والمالجن: الذي لا يبالي بما يتكلم به، والشرية الحدة

(١) السحاب جمع، ولذلك وصفها بالفر؛ وترقا: هو ترقا، خفف، ورقأت الدمنة. جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقِيَابُ عَلَى الرَّكَابِ وَلَا نَمًا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ (١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَمَلَ الْحَصَى خِلْفًا فِيهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي (٢)
 مُتْلَاحِظِينَ نَسَحُ مَاءَ شُوْوثِنَا حَذْرًا مِنْ الرُّقْبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ (٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحبث ؛ قال شيبب بن البرصاء يصف إبلا سميت وحملت الشحوم :

كأنها من بُدُنٍ وإيفــــــــــــــــاز دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنهار (١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح في شرك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب - على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب - بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذى تعابنه القباب . يقول : ليس هذا الذى تراه هوادج الأحبة على الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ، لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، اللبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول - متمنيا - : ليت الذى خلق الفراق جعل أعضائى لأخفاف الإبل التى تحملوا عليها حصى حق تطأنى بأخفافها .

(٣) متلاحظين (٢) . حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدهما . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى : وإبقار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاحظين : رواء الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبري على صيغة الجمع .

أَرْوَاحًا أَنهَمَلْتُ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرِينٍ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ (٢)
 لَمْ يَنْزُ كَوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبَلَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ (٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارِ صَبْرَ ظَهْرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجِ حَرَامٍ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكاء خوفنا من الرقباء . والأكام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الأكام » والأكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والأكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريناها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تَدُوبُ فَتَقَطُرُ
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد يجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في الهدى صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبي بَكْرٍ تَسَامَى عَلَى كَانِ الْمَسُومَةِ الْعِصْرَابِ (١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلاخلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراجلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغبلية : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوني وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظلم في عدوها وسرعنها في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصديك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أتجنب ركوبها إلا إليك كما أتجنب قرجاً حراما على إتيانه - يعنى الزنا - وهذا من قول أبي نواس :

(١) المسومة : العلة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَوُلِدْتَ مَكَارِمُهُمْ لِغَيْرِ تَمَامٍ^(١)
أَكْثَرَتْ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ

عَلَمًا عَلَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْمَاءِ^(٢)

صَغُرَتْ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ لِكَأَنَّهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(٣)

وَإِذَا الْمَطَىٰ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ
وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلِيِّ فَقَالَ :

يَا نَاقُ وَيْحَكَ عَجَلِي تَصِلِي

فَإِذَا وَصَلْتِ بِنَا قِيَابَ قَبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بِمَدَهَا قَتَبُ

وهو معنى قديم متداول .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والناء فيه : للاسمية - كما في عجيبة ونحوها -
وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
اللولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) التوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء . يقول : لم تزل يعرف
بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعمًا مفضلًا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويمتدى إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
الحسنة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبارة بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
بجذف إحدى التامين - أى تتسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراًها
تختال على تلك الحيلول .

وَرَفَلْتَ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهْيَاةُ الْإِعْدَامِ (١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ (٢)
 إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ (٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ (٤)

واللام من «لكانه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكانه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، لحذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر اقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل رفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخرآ فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حرق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبخر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لعدم اثره ؛ وعبارة بعض اشعراج : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بمجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو الثرى لأن ثناءهم باق والمسال يغدو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، لحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوعى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكور ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَمَهُمْ بِلَا أَحْلَامٍ (١)
 وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكَشَفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ (٢)
 وَإِذَا سَأَلْتَ بِنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْدُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ (٣)
 مَهْلًا إِلَّا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْتَامِ (٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقى في بقى ، كذلك قال زهى في زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم بسم فاعله وللمعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر وتجت الشاة والناقة وأشباهاها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أزهاه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم بسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهبو العتبى والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
 أَلْبَجُ بَلَجًا مِنَ الْخُلْفِ إِذَا مَا مَشَى مِنْ غَرَابِ

قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب بنفسه ، قلت : أمقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت . ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقتك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وله : كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله في عمرو وحاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فزخم المضاف

إليه؛ قال الواحدي : وذلك غير جائز ، لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفاً ، والكوفيون يميزونه في غير النداء وينشدون :

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ ابْنِ حُرَّةٍ سِيدُ عُوهُ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أبا عرو؛ وقال المصكبي : ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترخيم المضاف ، وأوتقوا الترخيم في آخر الاسم للمضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء في أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبي سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالغَيْبِ تَذْكَرُ^(٢)

وقد جاء الترخيم في قول جرير :

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أي لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهي . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ، ولم في ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثاني أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من أبيات قالها زهير لبني سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترخيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع أصرة ، وهي ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكون الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرهما ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبي ، وهي مؤنثة في اللعنين .

(٣) قال الأعمى : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالي . يريد أن جبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة - بالضم - وهي القطعة البالية من الجبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا نَحَكَمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
 فَتَرَكَتَهُمْ خَلَالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّهَا غَضِبَتْ رُءُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
 أَحْجَارًا نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ بَيِضٌ فِي سَمَاءِ اقْتَامِ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، طي من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم، وغتمى : لا يفسح شيئاً والفتمة عجمة في اللنطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمُّ نَجْمٍ غَيْرِ مُسْتَقِلِ (١)
 * فَا تَكَادُ نَيْبُهَا تُولِي *

أى غير مرتفع لثبات الحر النسوب اليه ، وإلها يشتد الحر عند طلوع الشمري التي في الجوزاء . قال الواحدي : جل هؤلاء أغتما لأنهم كانوا جاهلين حين عصوحتي فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبري : يروى اللنية بدل الأسنمة ، وليس بشيء ، والأصح الأسنمة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في اللبتدأ والخبر . ومزج روى اللنية أراد بها اللنايا ، وليس هو بشيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيثين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة . والقتام : القبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف للمركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة في سماء من القبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلاء الهواء خوذا تلعب كالنجوم في سماء من القبار .

(١) اللل : الأرض القفرة ؛ وأفلنا : أى صرنا . في فل من الأرض - ومونه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْأَيْتَامِ (١)
 عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ (٢)
 يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَبْقَى مِثْلَكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ (٣)
 صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِعٍ
 وَسَقَى قَرْمِي أَبُو يَكَّ صَوْبَ غَمَامٍ (٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أي ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الأيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أي فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً في معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعني

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال صلت مسدخبر عهدي . وروى وخيله - بالجذر - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركة إلا على هذه الحال ، نخيله مقدمة بدأت تأخر عن التأخر : أي تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومثالك . أي غايتك التي تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أي لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول في الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقي العباسي ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كلاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أي وأنت حتى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحي صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيهِكَ الْقَمَقَامِ (١)
 فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أُرْعَنِ كَالْفِطْمِ لُهَامِ (٢)
 قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَائِيَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
 تَأَلَّهَ مَا عَلِمَ أَمْرًا لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبَ الْهَامِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛ فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
 عُمِّيَ الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع الماء ، من قولهم ققم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن : الجيش المضطرب لكثرة والغطم : البحر الكثير الماء ، والهام : الجيش الكثير يلتمهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتمهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم للمنايا وخبرتكم فرأتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للمنايا إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الروم . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولاءتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وطى : متعلقة . يمين . يقول : من حلف على أن عاقبة الحرب له — أى أنه ظافر لاعمالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تمكيد البطريق الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه (٩ — الثاني)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعٌ (١)
آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشِقِيقٍ فَأَحْنَتْهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ (٢)
وَفَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُفْنِيهِ عَنْ حَلْفِ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ (٣)
كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمْسُهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامُ (٤)
لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمَلَهُ تَحْمَلْتَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَيْمَمُ (٥)
أَبْنُ الْبَطَّارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا بِمَفْرَقِ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا (٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك يرد عليه ويهجو . وكأنه يقول : لو كنت بمن إذا قال وفي لم تحتاج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروي « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على ماتعه من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آلَى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأحنته : الجأء إلى الحنت ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فق - يعني سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فق . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعل : جمع فعل . يقول : وأحنته رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويفنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أي أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أي المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التاءين - : أي تتحملة ، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلِي صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِيمَمُ (١)
 نَوَاطِقُ مُخَيَّرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلُ مُخْفَاةٌ مُقَوَّدَةٌ - مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرْمٌ (٣)
 كَتَلٌ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنَهَا - بَانَ دَارَكَ قِنْسَرِينَ وَالْأَجَامُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكمم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشبتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعنى أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أى باشره . والصوارم : السيوف القواطع : والقيم جمع قمة ، وهى الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أى السيوف - كالألسنة تعبر عن تكذبهم ؛ ولما جعلها السنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت السنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصراع الثانى من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذى يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللقى ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « بار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي ردها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أى من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسران : من ألزمها اليباء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسران بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لذكرشة الضبي يرثى بنه :

وظنهم أنك المصباح في حلب
والشمس يفتنون إلا أنهم جهلوا
فلم تيمم سروج فتوح ناظرها
والنقع يأخذ حرا أنا وبقيتها

إذا قصدت سواها عاذاها الظلم^(١)
والموت يدعون إلا أنهم وهموا^(٢)
إلا وجيشك في جفنيو مزدحم^(٣)
والشمس تسفر أحيانا وتلتئم^(٤)

سقى الله قميانا ورأى تركتهم بحاضر قسرين من سبل القطر^(١)

والأجم : مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .

(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح في حلب ، متى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .

(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضياؤها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتحركهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان

(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدمك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .

(٤) النقع : العبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجدانا ورأى تركنها *

وحاضر قسرين : موضع الإقامة على الماء من قسرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم
أصكفا شداد القبض بالأسل الشمر
يذكر منهم كل خير رأيت
وشر فأنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الحير ويحتمون الشمر ، فإذا رأيت من يأتي خيرا ذكرتهم ،
وإذا رأيت من يأتي شرا لا ينهأ عنه أحد ذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرٌ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمَسِّكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نِقْمٌ (١)
جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَالْأَرْضُ لَا أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لَا أَمَمٌ (٢)

وبقعتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقع - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقعتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رووها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها المكان الواسع من الأرض ، وتفسر : من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقعتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحجب كأنها الحسنة تفسر أحيانا ثم تعود فتلتهم .

(١) سحب : خبر عن مهذوف يرجع إلى الجيش . وحصن الران : موضع من عمل سيف الدولة . وممسكة : أى بخيلة بالطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب نقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والماء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ما هم لو أنهم أمم (١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا بالبيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : اهدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة ؛ و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استقمامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عِلْمٌ مِنْهَا بَدَأَ عِلْمٌ وَإِنْ مَضَى عِلْمٌ مِنْهُ بَدَأَ عِلْمٌ (١)
 وَشُرِبَ أَحْمَتِ الشَّمْعَى شَكَا مَهَا وَوَسَمْتَهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ (٢)
 حَتَّى وَرَدَنَ بِسَمْنَيْنِ بِحَبْرَتِهَا تَنْشِشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ (٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراهية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تنفي ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء في أمالي ابن الشجري ما يأتي : قال الخطيب التبريزي : لو قال - المتنبى - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر في البيت ، قال ابن الشجري : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا في صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذي هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذي هو الراهية - مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعبارة يحرف عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء في الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار في هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبى غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) شرب : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهي تجمع شارب : الفرس الضامر . وخيل شرب : ضوامر . والشعري : يريد الشعري الجمانية ، نجم يطلع في فصل الصيف ، فهي تعد من نجوم اقيظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديدية المعارضة في فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما لحاظ من الاجم بالحكم . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعني لشدة الحر أحمت الشمس الاجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكي -

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محبأة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرِي هَنْزِيطَ جَائِلَةٍ تَرَعَى الظُّبَى فِي خَصِيبِ نَبْتِهِ اللَّمِّمِ (١)
 فَمَا تَرَكَنْ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَأْزَأَ لَهُ قَدَمٌ (٢)
 وَلَا هِزْبَرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَسَمٌ (٣)
 تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانَ وَالْأَكْمَ (٤)

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع ببلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما أم بالنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبارة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه للمال الراعى - الماشية - فى البلدا الحصيب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطاير والأسراب كالأر إذا ربت من شئ دخلت جحرها وفريقا توقلوا - صعدوا - فى الجبال واعتصموا بها كالبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلدًا ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطاير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازى إلا أهلكته وعبارة ابن القطاع : « ما تركن من هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبازى فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا - .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ما على كتفيه من الشعر . والهياة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع فائط ، المطنئين من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدم

وَجَاوَزُوا أُرْسُنَاكَ مُعْصِمِينَ بِهِ
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً
تَجْفَلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ
عَبَّرَتْ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ
وَكَيْفَ يَنْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ (١)
وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شِمِّمْ (٢)
قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدَمَا فَقَدْ سَلُوا (٣)
كَأَنَّ تَجْفَلَ تَحْتَ الْفَاكِرَةِ النَّعْمُ (٤)
سُكَّانُهُ رَمَمَ مَسْكُونَهَا حُمِّمْ (٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجمهم من القتل ، حتى كأن المواضع التي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تغدق بهم وترميمهم على حدود السيف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأسله أن يستمك الراكب بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس يعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توکید للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدوها .

(٣) الضمير في ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهاقنون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجفل - فى الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجفل ، والتجفل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل النائرة على العدو ؛ والنعم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتابع مسرعة كما تنهزم المواشى عند الغارة عليها فتنهزم وتجفل مسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمل : العظام البالية . والحلم بوزن صرد : الرماد والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلاً أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمماً فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمِ النَّارُ الَّتِي عُيِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرِمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تَصَفَّرُ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تَعْظُمُ مَفْشَرًا عَظُمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَنْطَا لَهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجارك الربع أم قدمه أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيها قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكرمهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللحمان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جنى : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزى : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والسيحون بالصلب .

(٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فاعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الماء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) الخليل : المحتاج للعدم والفقير المختل الحال ، والسغبة : الحاجة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلَقَى بِهِمْ زَبَدَ التِّيَّارِ مُقْرَبَةً ١
 دُهُمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنَهَا ٢
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِيدَتِ الْمَدُورَ بِهَا ٣
 تَتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ٤
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ ٥
 عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثِمٌ ١
 مَكْدُودَةٌ يَقُومُ لَابِهَا الْأَلْمُ ٢
 وَمَا لَهَا خِاتَمٌ مِنْهَا وَلَا شَيْمٌ ٣
 كَلَفْظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهَمٌ ٤
 أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصِرُوكَ عَمَّوْا ٥

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة - تل بطريق - جعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسببت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغبة للوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الخيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للقارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لدى الحافر كالشفة للإنسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : يياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالحيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خير آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم ؛ مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهورها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متمبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا التبع ينال من الملاحين لانها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجورور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوحك إليهم ، إلا أنه ليس لها خالقة الخيل ولا طبايعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى مجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كدمة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كاللدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك «ع» ، من وعيت ، و «د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَدْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرْتَهُ وَسَمَّ رِيْتَهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُظَنَّ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ^(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرِيقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ^(٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصباح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سدت عليهم مذاهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والفترة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالفترة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نُصِرْنَا بِذِي لَجْبٍ أَرَبَ مِنَ الْعَوَالِي

(الأرب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهمزت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولد فى الصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرفية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأبنا كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شَمْشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ (١)
لَا يَأْمَلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ (٢)
تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانَ سَابِقَةً (٣)
تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا (٤)

فَلَا سَقَى التَّمِيثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ (٥)
لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخِمُ (٥)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالردوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطى لهم ضربة عز قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادم ؛ وألته بينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا انثنى : حكاية اليمين ، وينأى يبعد . يقول : ترك بيمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى - وقد طابق بينهما - والمهجة : الروح . وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرقمه . يقول : لياسه من نفسه لا يأمل . أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يقتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى تضاعفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تملطخت بالدماء التى تسيل من الأسننة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسننة فى هذه الدرع كديمة المطر متابعا .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) التميث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه : أخطأه ، والرخيم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسور فى الحلقة ، يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتُ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالْفَقْمُ (١)
 مُقْلَدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا الْقَمَمُ (٢)
 أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
 فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ (٣)
 يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ (٤)
 نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحُلْمُ (٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تجاهد به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلهما ؛ فقله : لا تستدام الخ استئناف ، قال الكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ماقتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كما أردت صفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسات دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرؤوا من كبر السن . فيهلكون شياناً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يريد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)
ابْنُ الْمَعْقَرِ فِي نَجْدِ فَوَارِسَهَا
بِسَيْفِهِ وَلَهُ كَوْفَانُ وَالْحُرَمُ^(٢)
لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَاخُتُمُوا^(٣)
وَلَا تَبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَّ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزبته من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقنضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يديرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهداه في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عفره : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيجاء للقراطة وإفناءه إيهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تمييز . يقول : متى رأيتهم وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يدا .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخلق به ألا يسمع ، فالصم حينئذ يحمده حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله

فى صباه :

كُنِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمَكِ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادٍ أَنْجَمًا (١)
وَحَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنَجِّلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا (٢)
وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَتَهُ يَا جَنَّتِي لَطَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ (٣)

(١) كفى : دعى وتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . ووبك : أصلها وبيك ،
فحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل
أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث
وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أطلعت عن المطر ؛
وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي -
استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : تركى عدلى ، فقد أرانى الهم - المقيم على فؤادى
الراحل الذهاب مع الحبيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وطى هذا يكون
«الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم :
«الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى
الإلامه واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم
المقيم على فؤادى الراحل الذهاب مع الحبيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك
أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى
وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهَرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجَدَى لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجِدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستعنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى
أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعًا بابتداء مضمرة
أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) حَيَالُ : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ،
فإن الحيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى عملا من
لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وحفوق . عطف آخر على «هم» ، والحفوق والحفقتان : اضطراب القلب ،
واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أُبْرَقَتْ تَرَكَّتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حَبٍّ عَقْمًا^(١)
 يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي لَوْلَاكَ مَا
 أَكَلَّ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا^(٢)
 إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُو فَيَأْتِنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُعْدِمَا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والتصية واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشَقِيهَا أُمَّ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ الْمَعشُوقِ ؟
 والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينية في وداع محبوبته :

عَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلِهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ حُبِّهَا فِي جَهَنَّمِ
 (١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : عقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة .

(٢) قال ابن جنى : داهية : اسم التي شبب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجير ، لعظيم ما حل به من بلاؤها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جنى لترك صرفها في البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقاؤه ، فالعنى . ضعفت حتى كأني قد كسرت عظامي .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره في مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسي ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلوقد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عدمتها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلوقد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كده وحبسته

عُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابِتٌ شمسُ النَّهَارِ تُثْقِلُ لَيْلًا مُظْلِمًا (١)
 لَمْ تَجْمَعِ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لَتَجْمَعَنَّ لِي لِعَرْمِي مَفْنَمًا (٢)
 كَصِفَاتٍ أَوْجَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي بَهَّرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصْفِيهِ وَأَفْحَمًا (٣)
 يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أُعْطَاكَ مُعْتَدِرًا كَنْ قَدْ أُجْرِمًا (٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحقق والمماق والبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلاً تبعج له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعها في هذا السكلاً فأوجعته كبده .

(١) نقوى: ثنية « نقام ، وهو السكيب من الرمل ، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى السكيب من الرمل نقالاً لأن المطر إذا أصابه نقاه وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : المغازة . وثقل : تحمل ، يصف الحبيبية يقول : هي عصن - يعني قامتها - نابت على كثيبي رمل « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظلمًا . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف التضادة في شخص مماثل حسنه إلا لتجعاني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزمني من عشقها وهوها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقوله « في متشابه » أراد شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والفرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهوها ؛ والمغتم : الغنيمة ، وهو ما يقتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصديه الإنسان من كسب أو هبة . ويروي « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبية .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهز النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طاقاً لدى الندى ، جهماً عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفيا فلم يقدروا على وصفها فأنتطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفهام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يتتدرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - النبي : ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَّوَضِعًا

وَيَرَى التَّوَضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَّعَظَّمًا (١)

ذَرَرَ النِّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّهَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحْرَمًا (٢)

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَصْنُوعِيُّ جَوْهَرًا

مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُنْمِي مَنْ مِمَّا (٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمتهم : أى كاسبهم ، قال أبو خراش المذلي يصف عقابا شبه فرسه بها :

كأني إذ غدوت ضمنتُ بُزِّي من العقبان خائفةً طلوبًا

جريمة ناهض في رأس نيق ترى لعظام ماجمعت صليبيا (١)

(١) التَّعَظَّمَ : إظهار العظمة ؛ وضده التَّوَضُّعُ ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التَّعَظَّمَ موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه وارتفاع رتبته في تواضعه ، وانضاعها في تكبره والمعنى : يرى العظمة في أن يتواضع ، ويرى الضعة في أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعّال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى : ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعّال ، يقول : نصر فعله على القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه يجرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن يذكر تبعاده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجوهرة : الأصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ، يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونفسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائفة : أى منقضة . يقال خانت العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائفة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض : فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طيرا كلكته وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةٌ ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَ (١)
وَيَهُمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ (٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوم . والفاظ مستكرهه فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردى المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سما : صفة لدى الملوكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للمدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لاهوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبتها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لاهوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولاهوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لاهوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من اله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون وزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلم : صلة « يهم » يقول : ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفىك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفىك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى : وليس للمعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فىك كل عضو منك أن يتكلم * أفاد المعنى المراد ، فبقي ذلك الباقي لقوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظُنُّ أَيْ نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلَمًا^(١)
كَعَبْرَ الْعِيَانِ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهَمًا^(٢)
يَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ نَقِمَ تَعَوُّدًا عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمًا^(٣)

واللغني أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعني به القوة الناطقة - وكان هو اللوجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والغني : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أفي في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالإله حتى أحلم بك ؛ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة السراح : أنا أبصرك وأظن أفي أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استمهم متعجبا بما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والغني : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا ؛ أي كما لا يرى الله تعالى في النوم ؛ كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر للمبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على للمبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قدماته في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما أعياه من المددوح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعابن كالتنوم المظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسَ مَاذَا عَانِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذْ كَارُ مِثْلِكَ تَرَكَ إِذْ كَارِي لَهُ إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في اللصراعين « مركبة من « ما » النافية العاملة عمل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئا ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدَّتْ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحٌ

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمُقًا

وتبعه أبو تمام فقال ،

مَازَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمُّومٌ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب الضبرى :

حِرَاءَ تَأْمِكَةَ السَّنَامِ كَأَنَّهَا جَلَّ بِهَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْمُونٌ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَيَّ عَمَرَ الْفِدَاءِ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخَلِيمُ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، وللتعجب : للعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكارك بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكار إذكارا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَضَّضَتْهُ بَرَكَاتُ التَّقَاضَى

(١) تمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارتفع فهو تامك ، وناقاة تامك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أُمِّي حِينِ أَنْتَ فِي زِيِّ مُحْرِمٍ . وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ (١)
وَأَلَّا تَمَّتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا . تَمَّتْ وَتُقَاسِ الذَّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ (٢)
فَثَبَّ وَائْتَقَا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْمَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي النَّفَمِ (٣)

وقال في مـ صباه :

ضَيْفُ أَلْمِ بِرَأْمِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمَمِ (٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريمة غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الميجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفِ نَزْلِ . وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ إِنْ لَفَا رَحْلِي

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحى . واللهم : جمع
لمة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ^(١)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرَقِي^(٢)
 « جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
 إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
 الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمره ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
 ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللمم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من
 الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
 اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً - من باب فرح - إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
 لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضا : تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض
 الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفعٌ
 وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكأنها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
 إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
 من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح في قوله *

* لأنت أسود في عيني من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون في نحو قول الراجز :

* أبيض من أختِ بنى إياض^(٢) *

(١) لقينى : أى الغوانى المذكورة في البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الغوانى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الغوانى بمعقٍ

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقوله . .

لقد أتى في رمضان الماضى جارية فى دِرْعِها الفضايض

تقطع الحديث بالإيماض أبيض من أختِ بنى إياض

بِحُبِّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبِ تَمْدِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلْمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْت أبيضهم سِرْبَالِ طَبَاخِ^(١)
وسمعت العروضى . يقول : اسود هبنا : واحد السود ، والظلم : الليالى الثلاث فى
آخر الشهر التى يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالى الظلم . على أن ابن جنى قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود
فى عيني كلاماناما ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضى ، غير أنه لم يجهل الظلم : الليالى .
(١) يريد بقائلته : حبيته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعد .

مثلُ الغزالِ زين بالْحُضاضِ قَبَاءَ ذاتُ كَفَلِ رَضْرَاضِ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أباض
معروفة بالبياض ، وبنو أباض قوم . والحضاض : نوع من الحلى والقباء الضامرة البطن
فعلاء من القب وهو دقة الحصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق فى لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن نقرها
ويحتمل أن تكون هى المحدثه وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الخلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم - أى نظرت - شغلهم حسن عيניהم
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا
أنت ابنُ هندی فأخبر من أبوك إذا لا يصلحُ الملكُ إلا كل بذاخ
إن قلت : نصر فنصر كان شرفنى قدماً وأبيضهم سربال طباخ
ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق ، وفى الخزازى لكم أسفاخ أسفاخ
مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منحول وقوله . واشتد أكلهم
أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم
- بفتح الهزمة - جعل الأكل بمعنى المأكل ، وقد يكون معناه أنهم إذا شربوا لا يجدون
الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالتوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُهُ بِرِئْسِهِ لَا أَسَائِلُهُ ، وَلَا بَدَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيْقُ دَمِي (١)
تَنَفَّسْتُ عَنْ وِفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ (٢)
قَبَّلْتُهُمَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمُعِهَا وَقَبَّلْتَنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمِ (٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوأى وشيبي : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالسا وتقديره : هوأى إذ كنت طفلا ، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في الحالين على هذا القول : المصدران - هوأى وشيبي - والتقدير : تغذيق بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة وقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخمار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمي أي تقلني .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم « شعبته إذا فرقت » وللملثم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسراً على فراقك عن وفاء : يعني عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أي أنها كانت منطوية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا يلتئم « لا يجتمع » وكان تنفسها عن هذين . والمعنى : إنا افترقنا بالأجساد « لا بالقلوب » لأنها كانت معي على الوفاء . قال الواحدي : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم في كل وجهها .

(٣) يقول : بكيتنا جميعاً حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقييل ؛ يعني أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغطت الأسعار واشتد القوت فسربال طبابخك نقي ، للؤمك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطبابخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

ثياب طبختك عند الشتا بيض تلالاً لا تدينس

وقد ركب لم يمزها طارق وكأبك من جحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاتِهِ مِنْ مُقْبَلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبًا لِأَحْيَا سَالِفِ الْأُمِّ (١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَتَمَسَّحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٢)

تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لها » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « مايمزج بالشىء » سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى ممزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى القم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوبا » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حيا به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أُسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ متهبأة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو فى الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَحْصٍ كَانَ بِنَانَهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ (١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر الموسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَلَتْ لَهَا الطِّفْلَ بِالْعَنَمِ الْمُسُوكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة عديدة الجمرة ، جعل التنبى عنها عين ظبي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالغنم : أطراف بناتها حمرة بالحضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قَرَأَ أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمِّ يَنْدَبُ شَجْوًا بَيْنَ أَنْزَابِ

يبكى فيلقو الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

(١) رخاصة الأنامل ليناها .

(٢) الموسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمَكَ فَيُنَافِئُ غَيْرَ مُنْصَفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتَ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا لَبِزَكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرَهُ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبِي
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ (١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمٍ (٢)
وَصِرْتَ مِثْلِي فِي تَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ (٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي (٤)

ومثله لابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأْوَاءَ الدَّمَشْقِيَّ بِقَوْلِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَزْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأمهله . ونصب « حكمتك » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حكمتك : أى أن تحكى غير منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديتك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حكمتك علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديتك بالناس كلهم من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة لى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء : ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجهه . وهذا كما يقول الناشئ :

لَفْظِي وَلَفْظِكَ بِالشُّكُوبِ قَدْ ائْتَلَفَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي فَقَلْبَانَا لَمْ اِخْتَفَا

(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل

زيد بصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه

وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنفت من الألم ما أجنفته إذن

لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك

وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب

لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكأنه قال :

وكسك حلة السقم كما كسافر.

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشىء اليسير بعد الشىء . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زجيت الشىء تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى

كيف تدافعها . وزجيت أيامي : دافعتها بقليل من القوت أجزئى به . وأكتفى ويقال

تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنَزُّرُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرَفَهَا هَمِي (١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَيَّ جِدَّتِي بَرَقَةَ الحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلْمُ (٢)
أَرَى أَنَا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الكَلِمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال: الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أتقع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ المَيْشَةِ بِالمَنَى وَلَكِنْ أَلْتِ دَلُوكَ فى الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى: والعرب
تستعمل البنوة والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعنى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَحْتُ خِلاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِى أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (١)
والجدة : النعى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لامة فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى النعى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* عَلَقْتَهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا * (٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يدح بها النعمان بن النذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه وهى
التى أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالعَلِيَاءِ فَالسُّنْدُ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات حمر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسه القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بده نسر ،
فاختار النصور فكان آخر نسوره يسمى لبداء .

(٢) وماء باردا : أى وسقيتها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ قَاصِرًا مِنْ مَرُوءِهِ لَمْ يُبْذَرْ مِنْهَا كَمَا أُثْرَى مِنَ الْقَدَمِ (١)
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمِّ (٢)
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَاتَ مَمْتَحِمٍ (٣)

يقول: أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم ،
وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
السيد الجبري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقْرِ
قال العكبري : وهو من قول الحكيم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
بطبع البهائم . لأننا نعلم أنها متى حلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
(١) رب مال : معطوف على « أناسا » - في البيت السابق - والروءة . أصلها
الهمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
وهي النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة
عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر؛ وهذا المعنى من
قول أبي تمام :

لا يحسبُ الإفلالَ عُدْمًا بلُ يرى أن القُلَّ من المروءةِ مُعْدِمٌ
(٢) النصل : فصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلي : يتكشف . يقول
سيصحب السيف مني رجلا مثل حده في المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ،
وتمت ، قال ابن جني : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت هماله عيناها

وجمـــــــــــــــــله غيره عجزاً وصدرة لما حططتُ الرجلُ عنها واردة
ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهماله من هملت العين
إذا صبت دمعها .

لَأَنْزُرُكُمْ وَجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً (١)
وَالطَّنِينَ يَحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا (٢)
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (١)
حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٢)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحِجَةِ (٣)
كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّحْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَا تَأْوَانِ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم: كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقوم: أى أقوم نفسى، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فمفعول «أقوم» محذوف، ولك أن تقرأها أقوم: أى أقتم، وقد ورد قتم يقتم- من باب خضع - بمعنى اقتتم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدائد الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا أنزكن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يحرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللهم: الجنون. يقول: والطنين يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنعها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلم الذى هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزلت منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلى: إني أرقْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبى زيد الطائى النصرانى الشاعر الإسلامى من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبت الليل مشتجراً *

والمشجر: الذى يضع يده تحت عنقه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الذبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي حَتَّى أَدَلَّتْ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَلْدَمِ (١)
شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَاقِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ (٢)
وَكَلَّمَا نَطَّعَتْ تَحْتَ الْعَجَّاجِ بِهِ أَسَدُ الْكُتَّابِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٣)

يقول : هي عابسة فآحمة أفواها لما أصابها من جراح الرياح ، فكان الصاب قد شد على لجمها فهي تجد ممراته ، ومصوب : يروي معصور ، ويروي : مذكور .
(١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أي أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجي على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعني بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
(٢) شيخ : إما بالجر على التبعية لمنصلت ، وإطلاقاً بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهي ما يحسن فعله ولا يجرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائي بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالي بالعواقب ؛ مستحل للحرام ، سافك للدماء وهذا بالهجاء أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أسماءه ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يُضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
وَمَجُوزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جِيلَ الْكَلْبِ لِلْأَمِيرِ جَمَالًا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيهاً بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسبار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسبار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه .
جديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : النبار والكتائب : جمع كتبية ، الفرقة من الجيش . ورامته : يريد رامت عنه : أي زالت عنه ولم يزل هو عنها ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرَمِ

تُنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجُرِّ بَارِقِي وَتَكْنِي بِالْدِيمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ (١)
 رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَأَتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلسَّاءِ وَالنِّعَمِ (٢)
 إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ (٣)

وقال الجوهري : يقال رابه يرمه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورمت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جنى والواحدى : والنطح إنما هو للكباش ، ولا يستعمل في الأسود ، ولو قل كلما صدت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولعان . والديم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسبه من السماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحقائق لو قاله أحد فى بويه أوفى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وحماتها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ وياهس : يروى : حوباء ؛ أى ياحوباء ؛ والحبوباء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنم : الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهالك والحروب وأتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيبى : قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت حياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قلتها بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى المزحاة ؛ وأتركى حياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال لتبني : حياض غير الردى بالحاء أو قال : وأتركى ورد خوف الردى الخ . لم يحتاج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يعمض معانيه حتى لا يفهما إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر الحرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِيَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنِمْ (٢)
مِعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدًا
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَعَجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخوا المجد والكرام؛ قال العكبري : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةِ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
وَإِنْ نَجَّوْتُمْ لَوْ قَتَّ غَيْرَهُ فَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارٌ
(١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فِيهِتَكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَوَانَ فِيهِ نَوْعٌ امْتِنَاعٍ ، فَإِذَا ذَبِحَ وَوَضَعَ لَحْمَهُ عَلَى الْوَضْمِ كَانَ عَرْضَةً لِكُلِّ أَحَدٍ ، حَقِّ الطَّيْرِ وَالذَّبَابِ . وَقَوْلُهُ : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ . يَقُولُ : لَا يَمَلِكُ الْمَلِكُ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ كَاللَّحْمِ عَلَى الْوَضْمِ ، وَأَسْيَافُنَا عَطَاشٌ إِلَى دَمِهِ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَمْ تَشْبَعْهَا مِنْ لَحْمِهِ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقْتُلُ وَيَلْبِقُ لِلطَّيْرِ وَلَا يَمَلِكُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : يَرِيدُ أَنْ يَمْلُوكَ عَصْرَهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظما : العطش ، ومثلت : اتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لمعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رأى فى النوم مائلا له لهجر النوم خوفا من أن يراى فى النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعُوتَهُ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
(٣) معاد : مبتدا ، خبره ؛ غدا ، وكل رقيق الشفرتين : أى كل سيف رقيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإفقاد نار الحرب .

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصِدِي بِهِمُ وَالْهَمُّ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ (١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من
تهوره فقال (*)

أَبَا عَبِيدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ لِنِي خَفِيَّ عَنْكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي (٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَّبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَهْجِ الْجَسَامِ (٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فليست أقصدهم بسوي ،
وإنما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا في عصيانهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء في الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التتبي اللاذقية سنة نيف وعشرين
وثلثمائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أنتدري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؛ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراك الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؛ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؛
وعذته على ذلك ، فأنشده يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبري : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهجاء : من
أساء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتي في الحرب ومقدار ما طبعت عليه من الجراءة
والبأس ، ومن ثم تلومني على ما أنا مقدم عليه لظنك بي العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه من الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِئِلِي تَأْخُذُ النَّكْبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مَلَاقَةِ الْحَمَامِ (١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا نَلْخَبُ شَعْرَ مَفْرَقِهِ حُسَامِي (٢)
وَمَا بَلَفْتُ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي (٣)
إِذَا أَمْتَلَّتْ عِيُونَ الْخَيْلِ مِنِّْي فَوَيْلٌ فِي التَّيْقُظِ وَالنَّسَامِ (٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع (١)
قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلي ، والمهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .

(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : الموت .
يقول : مثل لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) المفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم يرز إلى محاربا لخصب شعر رأسه سيفي .
(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
انقدت له اتقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحري :

لعمري أبا الأمام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها نبي مقودي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل . يريد فويل لهم .
يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأنهم يخافونني
أشد الخوف ، فلا يكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجمع بن هلال قال :
غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن
زيد مناة ، فلم يصب شيئاً فرجع من غزاته تلك فر بمساء لبني تميم عليه ناس من بني
مجاشع قتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخاً . إلى آخر الأبيات . قال
المرزوقي في قوله إن أمس ما شيخاً : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخاً طاعنا في السن
هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بني كلاب: أشرب هذه الكأس سروراً بك، فقال:

إِذَا مَا شَرِبْتُ الْخَمْرَ صِرْفًا مُهِنًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكِرْمُ (١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقَوْنَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ (٢)

* * *

(١) صرفاً: أى خالصة غير ممزوجة. والذي من مثله شرب الكرم: هو الماء. يريد أن شرابه الماء، لا الخمر.

(٢) يقول: حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم: أى كأنها ندامام، لأنهم لا يخلون من صحبتها، ويسقونها ما يرونها من الدماء، فهم سقاة رماحهم، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء. هذا: والندامى جمع ندام، والندام: جمع النديم، وهو الشريب الذى ينادمه؛ ويقال له النديمان أيضاً؛ قال النعمان بن نضلة العدوى، ويقال للنعمان بن عدى، وكان عمر استعمله على ميسان:

فَإِنْ كُنْتَ نَدَامَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لِللَّعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَفَادُمُنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ
ولمناسبة حبذا: فقولهم حبذا الأمر: أى هو حبيب، قال سيبويه، جعلوا حب مع

ذا بمنزلة الشيء الواحد، وهو عنده اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم ذاحب، وجرى كالمثل، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى المؤنث «حبذا» ولا يقولون «حبذه»؛ ومنه قولهم: حبذا زيد، فحب: فعل ماض لا يتصرف، وأصله «حبب» على ما قاله الفراء - و«ذا»: فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جمل شيئاً واحداً، فصار بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء؛ و«زيد»: خبره، ولا يجوز أن يكون بدلا من «ذا» لأنك تقول: حبذا امرأة، ولو كان بدلا: لقلت حبذت امرأة قال جرير.

يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ وَحْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مِنْ كَانَا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :

وَأَخْرَجْنَا لَنَا بَمَثَ الطَّلَاقِ آيَةً لَأَعْلَنَ بِهَيْدِهِ الْخَرْطُومَ (١)
فَجَعَلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَيْمِ (٢)

• • •

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلعوثي :

مَلَامِي النَّوْمَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ (٣)

وَجَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ بِيَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أحياناً (١)

(١) الألية : اليمين . والتعليل : التهجئة التي ، وقال السراج في قوله لأعلن : إنه من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخرطوم : من أسماء الحجر ، قيل لأنها إذا نزل الدن انصبت في صورة الخرطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها أخذها بخرطوم شراهم - أي أنوفهم - كما قيل :

ولقد شربتُ الحجر حتى خلتُها أفضى تكش على طريق المنخر

« كشيخ الأفضى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلد لها لا من فيها فإن ذلك من لحبها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأئح حلف أن أشرب وإلا فأمر أنه طالق فجعلت ردى أمراته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النومى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومى المراق - في تفريقه بيننا وظلمه إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
وفيها يقول :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلتنا ثم لم يمين قتلانا

فَلَوْ لَمْ تَقْرَ لَمْ تَزُو عَنِّي لِقَاءِ كُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِي (١)
أَمْنِعَةً بِالْمَوْدَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي بِفَيْدِ وَلِيِّ كَأَنَّ نَائِلَهَا الْوَسْمِي (٢)

وحاربنى فيه ريبُ الزمانِ كأنَ الزمانَ له عَاشِقُ
وقال البحتري :

قَدْ بَيْنَ الْبَيْنِ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا عَشِقَ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّبْرِ

(١) زواه : نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عنى لقائكم وطوته عنى ، ولما خصمنى بسببكم . هذا : والحصم : المحاصم ، يستوى فيه الجمع والواحد والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهى خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر فى السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ، والولى : المطر الثانى ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به وصلها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت على رجوعهم إلى الوصل مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذى الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُمْرِعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَاتُ مِنْ وَسْمِي نُعْمَاكَ شَاكِرٌ

(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولىة منك : أى معروفًا بعد معروف) . واللقى من قول بشار :

قَدْ زُرْتَنِي زَوْرَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِيٌّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بِيضَةَ الدِّيكِ (١)

هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبراً مقدماً ؛ والظبية مبتدأ مؤخرًا : أو تجعل « الظبية » : قاعلاً لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يَهْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لِاحْرَاكَ بِهِ وَهَنْ أضعفُ خَلْقُ اللَّهِ أَرْكَانًا

والريان : أطول جبال أحاء والجمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد فى البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن كان يعطى شيئاً ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل إن بيضة العقر هى بيضة الديك بيضها فى السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها فى عمره

تَرَشَفْتُ فَأَهَا سُحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ (١)
فَتَاةٌ نَسَاوَى عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَبْسِمُهَا الدُّرَى فِي الْحُسْنِ وَالنِّظْمِ (٢)

(١) الترشف: المص، والسحرة: السحر. والظم: ماء الأسنان وبريقها؛ وإنما خص
السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح
لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ النِّقَامَ وَرِيحَ الْخُلْزَامِي وَنَشَرَ الْقَطْرُ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرَ الْمُسْتَحِرَّ
وقال الحارثي:

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بِإِبْلِيَّةٍ بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنِ مِرْآحِبِهَا
والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلبها، لذلك - قال:

• تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ •

وقه ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة:

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانُ
وَأَلِّمُ فَأَهَا كِي تَزُولُ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلَّقِي مِنَ الْمَيْمَانِ
وَمَا كَانَ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوِي لِيَشْفِيهِ مَا تَرَشَفُ الشَّفْتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ بِشَيْءٍ غَلِيْلِهِ سِوَى أَنْ يُرَى الرَّوْحَانَ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول: إن كلامن قلاذتها ونطقها ونفرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن
والنظم، فهي درية العقد والكلام والنفر. وهذا معنى متداول، قال البحرى:

فَمَنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقَطِهَا
فذكر شيبين، وقال اللؤلؤ بن أميل:

وإن نطقتُ دُرٌّ فَدُرٌّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرُدُّرًا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يربها معطيها ببر يتلوها،
وقيل: إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلق العتوق، مثل
لما لا يكون.

وَنَكَمَتَهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَمَّةٌ صَهْبَاءَ فِي الرَّيْحِ وَالطَّقَمِ (١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَغْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوَدِّعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْلُو عِقْدِهِ مِنْ تَفَرُّهِ وَحَسْبِئِهِ وَدَمَوْعِهِ
فزاد ذكر الدمع على التثنية .

(١) النكمة : راحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندك : موضع بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع ينسب إليه العود ، قال هكذا تقول العامة ، والذي ذكره أهل المعرفة « قامرون » موضع ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلَ إِنْ خِيَالَ سَلْمَى إِذَا نَمْنَا أَلْمَ بِنَا فزارا

كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمندل أو بقارعتي قمارا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخْجَدَتْ يُبَلِّغِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بَأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عِزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو ساعة تمضي من الليل » ومناسبة بيت كثير روي أن إحدى اللذيات قالت لكثير فض الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِّبْ ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل « تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفْتَنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وَأَطْعَمَنَّهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدِّهْمِ (١)
يُحَاذِرُنِي حَتَّى فِي كَأَنِّي حَتْفُهُ، وَتَنْكُرُنِي الْأَفْصَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيثان : النكهة والحر ، لأن العودمر اللذاق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها راحة الفم ، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - التنبي - قال : استوت نكهتها والندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدم : السود . يقول : جفتنى بهجرها كأتى لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ؛ وإنما قال هذا لأن نساء العرب يملن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رأته امرأته يطحن فأزدرته :

تقول وصكّت وجهها بييمينها أتبلى هذا بالرحى المتعاس
فقلت لها لا تعجلى وتبئى بلأنى إذا التفت على الفوارس (١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه فادرة ناقضة عادة أمثالها ، بجفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدم » يريد إذا زويت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وتنكر يوم الرزوع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكرته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنا بها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أست أرد القرن يركب رذعه وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشمت هول ما يهاب محيآه الألد المداعس
لعمر أبيك الخبير إني لخادم لضيبي وإنى إن ركبت لفارس

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأته ، وللتعاس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، تفيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبئى ، وبأنى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتمد فيه حرب أو كرم ، ويركب رذعه : يريد بصرع منكوسا رأسه أسفله ، والغراران : الحدان

طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لِحْمِي (١)
بَرْتَنِي السَّرِي بَرِي الْمُدَى فَرَدَدَنِي
أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي (٢)

قال الوجدى : الحنط لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرنى الذى منه حنطى لو قاتلنى
لحذرنى كأتى حنطه : أى كأتى أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرنى حذر من تيقن هلاكه من
جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة فى وصف شجاعته وقوله : وتنكرنى
الأفنى : أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحارزه ،
ومتعرضاً له يهلكه للتنبى ، ولما سمي عدوه أفضى : سمي قوة نفسه وشجاعته بها ، لشدة
تأثيره فى عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريج . يقول : إن الرماح تنصف قبل الوصول
إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفها لما كان السبب
فى قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سبباً فيه ، وعبارة التبريزى :
أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة ، فإذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى
تنصف الرماح ، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأرى .

(٢) يرتى : أى هزلتى ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحت حتى يدق ، والسرى
جمع سرية ، ومن ثم أنثا ، وقال برتنى وهى سير الليل ، والذى : جمع مدية ، وهى
السكين ، وجرمى : أى جسدى ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من
الضمير فى «رددنى» أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمى : بدلا من الياء فى «رددنى» ،
وإنما أبدل «جرمى» من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
ولا يجوز جعله فاعلاً لـ «أخف» ، لأن أفعال التفضيل لا يرفع الظاهر إلا فى مسألة الكحل
يقول : أذهبت السرى لى جعلتنى فى خفق على للركوب كنفسى الذى يخرج من فى .

وياس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تهرك واضطرب
وهاب : يروى «خام» بمعنى نكص وجبن والحما : السورة والشدة ؛ والألد : الشديد
الخصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍ لِأَنِّي إِذَا نَظَرْتُ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ (١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِيْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي (٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة؛ وزرقاء: اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، تدرك بصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتكم الشجر أو أتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أقسم بالله لقد دبَّ الشجرُ أو حميرٌ قد أخذت شيئا بجر

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفاً أو يخصف النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينها فإذا فيهما عروق سود من الإمد ، وكانت أول من اكتحل بالإمد من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية، والاعشى في قصيدة هينية فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما على : أى أنهما لا يسبقان على فإذا رأيت الشيء يبصره علمته بقلبي . وروى ابن جني شأواهما على . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا نظرت عيناى فغايتاهما : أن تعرف ما علمته بقلبي ؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى » ؛ وروى أيضاً ساواهما على ؛ والشأو : الهمة أى همة عيني أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذى بنى السد بين بأجوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كأنه بسطها لعلمه بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؛ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْتَقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
 وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْفَةِ الَّتِي يَبْلَدُ بِهَا تَبَعِي وَلَوْ ضَمَنْتَ شَتِي (٢)
 يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعَيْرِنِيهَا بَدْرُ النَّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
 إِذَا بَيْتَ الْأَعْدَاءِ كَانَ أَسْمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ اللَّجْمِ (٤)
 مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِرْزُ وَإِنْ يَبِينُ بِهِ يَتَمَّهُمْ فَالْمَوْتِمْ الْجَابِرُ الْيَتِيمِ (٥)

اللفظة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقته فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برتني السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة المتكررة التي لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى للمدوح المذكور الذي دق فهمه وأبدع في دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالنيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضمنت : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمع بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعدوبته .

(٣) قحطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدوح ؛ والعرنين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرنين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرنين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كاليسدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرفهم ليلاً . والصرير والقمقمة : من مرادفات الصوت ؛ والعوالي الرياح : يقول : إذا وافى أعداءه ليلاً أخفى تديبه ومكره وتحفظ من قبل أن يفتن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعا أصوات اللجم متحركة فى أحناء خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طضم رماحه لإسراعه ولطف تديبه . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبته عرياناً .

(٥) يئن - مضارع أن يئن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ وللموتيم اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، ومعز الأذلاء ؛ يرفع قوماً ويضع

- وَأَنْ تَمْسَ دَاءَهُ فِي الْقُلُوبِ قَتَانَهُ فَمُسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الدَّمِ (١)
مُقَلَّدُ طَاعِي الشُّفْرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْمَاءِ لِأَنَّهُ جَائِرُ الْحَكْمِ (٢)
تُحْرَجُ عَنْ حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ
يَرَى قَتَلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جِسْمِ (٣)
وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَمَمَدَ تَرَكَهُ لِأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمم - أى يتم الأجزاء - فهو الموت وهو في الوقت حينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .

(١) القنائة : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - فتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والخرج ؛ ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .

(٢) الطاعى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حذاء . والماء : الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .

(٣) تخرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأمنا وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكانه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتخرج من هذا كما يتخرج من ذلك . (٤) قال الواحدي : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل وروى ابن جنى : كجده بالخاء وقال : أى كجد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلْمَ
(٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّىٰ لَوْ أَرَادَ تَأْخِرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبِيعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ (١)
لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضَبَةٌ

بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنِ صَاحِبِ الْجُرْمِ (٢)
وَرِقَّةٌ وَجِبْهَةٌ لَوْ خَشِيتَ بِنَظَرَةٍ عَلَىٰ وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَىٰ أَثْرُ الْخِثْمِ (٣)
أَذَاقَ الْغَوَايِ حُسْنَهُ مَا أَدَقَّنِي ، وَعَفَّ لِحَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ (٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للعزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً لأن العزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء للعزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد ترك العزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله
ولك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو عزم في بادي الرأي لم يكن تركه إلا أمر يقتضيه العزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء في غير مواضعها .

(١) في الحرب : عطف على « مع العزم » والتقدم : التقديم يقول : هو صاحب الحرب وفي الحرب أبدا ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقدم والمعنى لا أخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهي رميم . قال الواحدى : أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم : يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم القدى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه بعد تنكيه بالمجرم لا يجترى أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه
(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحي .

(٤) الغوايى : جمع غانية ، وهي الشابة التي غنيت بجمالها عن الحلى ، وقيل التي غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التي غنيت ببيت أبيها فلم يقع عليها سباء . وأسكن « الغوايى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : الهجر واللقاطمة ، يفتح الصاد وضمها - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تشقه

فَدَىٰ مَنْ نَقَىٰ الْعَبْرَاءَ أَوْلَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبِيُّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ (١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْمَعْجَمِ (٢)

وَأَرْهَبَ حَتَّىٰ لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمٍ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهن ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الموصول بعده ، والعبراء : الأرض . والأبى : بمعنى الآبى وهو الذى يابى الدنيا . والجائد : الفاعل من جاد يجود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفى هذا المدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك المعجم والمعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نقاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صال من غضب أبو دُف على بيض السيف لذب في الأغساد
هذا : ويقال فحم وغم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أطفخ في فحم : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هل غيرُ غار هدَّ غاراً فانهدم قد قاتلوا لو ينفخون في فحم

* وصبروا لو صبروا على أمم *

يقول : لو كان قتلهم بغى شيئاً ، ولكنه لا يغى فكان كالذى ينفخ نارا ولا فحم ولا حطب ، أفلا تتقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كالفحم . قال امرؤ القيس :

وإذ هي سوداء مثل الفحيم تفتش المطائب والمنكبا (١)

(١) وإذ هي سوداء : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطائب : جمع المطيب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيْجَتُهُ أُبْنَةُ الْكَرْمِ (١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا بَنَ ابْنِ يُونُسَ
لَسَهَوْنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرَّغْمِ (٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتخرق في الكرم ، فلولا أننا رأينا صاحبا لقلنا كريم هيجته الحمر فحركته إلى
الجود وابتنته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحًا وَهْتَزَّ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعمك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر - ولا ينفك أحد من طاعة الدهر - وأطعمتك
حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
خذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُومِ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ

أراد المسكون ، وأنشد جميع النحويين :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وِرَائِنَا وَكَفْ (١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الحزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ مُحَمَّدٌ بِالْمَكِّ وَنَحْنُ الْمَصَالَتُ الْأَنْفُ

والمكيثون : جمع مكث فعيل من المكث وهو البث - الانتظار - والمزاد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئا . والأف : جمع
أنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يهابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الحزاة » طبعة « السلفية »

وَقِنَّا بِأَنْ تُعْطِيَ فُلُوْا لَمْ نَجِدْ لَنَا نِلْنَاكَ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ (١)
 دُعِيتُ بِتَقْرِيطِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو نِنَائِي عَلَيْكَ أَسْمِي (٢)
 وَأَطْعَمْتَنِي فِي نَيْلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
 بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أُطْعَمُ فِي النُّجْمِ (٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيمي الصلاة »
 بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالمطف على الضمير في « أطعناك » وحسن المطف
 على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خلناك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أو لم
 يكن . وقال الجوهري : وهمت في الشيء - بالفتح - أم وما : إذا ذهب وهمك
 إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم - بكسر الهاء - : غلط
 وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك
 قد أعطيتنا .

(٢) التقريظ : المدح . وقوله : الذى يدعو ، أراد يدعوني ، فحذف المفعول .
 يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك ، والذى يدعونى يظن أن اسمى
 نينائى عليك فيقول يامثنى فلان - يامادح فلان - وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك
 بين الناس حتى سمونى مادح فلان ، وصار الذى يريد أن يدعونى ، ينادينى بهذا اللفظ ،
 لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر
 الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شيء
 عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجميل قد ملأت البلاد بذكر بئنة وصار اسمها لك
 نسبا وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنوب ، وقد نقل المتنبي هذا من قول
 البحرى

وما أنا إلا عبدٌ نعمتك التى نُسِبتُ إليها دون رهطى ومعشرى
 (٣) يقول : قد نلت بمجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طعمت فيما لا ينال ،
 لأن من نال ما أراد طمع فيها وراه بما لا يناله ، ولم يزل فى هذا الطمع حتى صرت
 أطعم فى إدراك النجوم حتى أنا لها كما قال البحرى :

لَمْ لَا أُمِدُّ يَدِي حَتَّى أَنَالُ بِهَا زُهْرَ النُّجُومِ إِذَا مَا كُنْتُ لِي هُضْدَا

إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني فيكل ذهباً لي مرة منه بالكلم (١)
أبت لك ذمي نخوةً بمنيةً ، ونفس بها في مازق أبداً ترمي (٢)
فكم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قرأه مكمن المسكر الدم (٣)
وقائلة والأرض أعني تعجباً على أمرؤ يمشي بوقري من الحلم (٤)
عظمت فلما لم تكلم مهابةً
تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم (٥)

(١) القرن : الكفء في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جأرة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ؛ فاجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) بمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعماء يورثه عيباً ؛ والمأزق : المضيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفك عن انقائص ونفسك التي ترمي بها أبداً في مازق الحرب بإيثار ذمي لك : أي لا موضع للدم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : الخبا . والدم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاخنتي وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أي ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعني ، وتعجباً : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أي أتعجب تعجباً . وعلى أمرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أي بمثل وقري : أي ثقلى : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجباً يمشي على أمرؤ ثقيل حمله كثقلى .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والحلمة : معترضة ، وعظماً : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظماً . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظماً عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهَمِّمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدِيمُ (١)
وَأَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ (٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عِبُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمُّ (٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتَهَا أُمَّمٌ تُرْعَى بَعِيدٍ كَأَنَّهَا غَمُّ (٤)

(١) أحق - أي أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافي: الدارس الذاهب - من عفت النيار : درست - والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكي عليه هو همم الكرام التي قد درست وذهبت: أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن أقدم أحدث الأشياء عهدا بها - أي بالهمم - أي أن دروسها قديم، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جنى : سأله - أي للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست فصار أحدثها عهدا قديما . وعبارة التبريزى : أحق عاف بأن يبكي عليه همم الكرام لأنها قد عفت كما تعفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدا بالهمم : أي أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملككم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطباع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لكلِّ هم من لأمور سمّة والسنى والصبحُ لا فلاح معه

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعيد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَخْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلْسُهُ (١) وَكَانَ يُبْدِي بِظُفْرِهِ الْقَلَمَ (١)
 إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي فَمَا (٢) أَنْكَرُ أَنِّي عَقُوبَةٌ لَهُمْ (٢)
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرٌ وَعَلِمَ (٣) لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَّةٍ قَدَمٌ (٣)
 يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالَ بِهِ (٤) وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبَهْمَ (٤)
 كَفَانِي الذَّمُّ أَنَّنِي رَجُلٌ (٥) أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ (٥)
 يَجْنِي الْغِنَى لِلنَّامِ لَوْ عَقَلُوا (٦) مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْمَدَمُ (٦)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلاً رثاً حافياً طويلاً الأظفار .
 (٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحترى :

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثلها الحسد

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنتهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهمة : جمع بهمة ، البطل الذى لا يدرى من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاء الشيء : صرفه عنه ؛ وأنى : فاعل كنى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شئ أملكه وأصونه يبذل المال دونه وأبخل به بأجل غيرى بالمال .

(٦) اللئيم اللئيم : الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والمدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللئيم لو علم بجنى عليه ما لا يجنيه اللئيم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد فى حاجة ؛

هُم لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَمِيمٌ (١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَا لِي يَهَبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ (٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَهَا أَلْمُ (٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن الثام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقبى ، فضلاء عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللئيم المكثر ، كما قال حاتم الطائي .

إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مَعْبُدٌ
 وَقَالَ الْآخَرُ :

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غَيْبَهُ غَدًا
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أُمْسَكْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ
 وَقَالَ الْخَزَوِيُّ :

إِنَّ رَبَّ الْمَالِ آكَلُهُ وَهُوَ لِلْيُخَالِ أَسْكَالٌ

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتئم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجملة «وهو يبتسم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة ، لأنها - لسرعتهما - تقتله قبل أن يدرك أهما . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بِمَدِّ قَوْلِهِ نَدَمٌ (١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْبَيْضُ لَهُ وَالْقَيْدُ وَالْحَشْمُ (٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُهُمْ (٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدَأُ خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : وإنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيعمله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبارة ابن جنى : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أى هذا المدح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الخيل الطوال ، جمع سلهب وسلهبة ، يقال : فرس سلهب وسلهبة للذكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيف والحشم : أتباع الرجل الذين يفضون لفضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهي القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم - بالقاف - أن ينكسر الشيء فيبين ، وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظيبا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - ما يلبس في المعصم من الحلوى - قد انقصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِيجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَدَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٌ (١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهباً : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعي : أضلوه نهباً لا يدرسون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن بري إلى أن النبه هنا الشيء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمطف لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نبه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ أُسْتَمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ اَلْحَنَّا صَمَمٌ (١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَابِيبَهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخَاقُ النَّسَمَ (٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتنتساع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أُرْعَى سَمْعَكَ - أى اصغ به إلى واستمع منى ؛ ومعناه اجعل سمعك الكلامي بمنزلة الموضوع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والحنا : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجب دعوة الداعي إذا دعان » وصلاً ؛ وحذفها وقفاً اتباعاً للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفاً ووصلاً في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلاً أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقيون وصلاً ووقفاً اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من المكارم ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسَم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، وإنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى فخذة واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَىٰ مِنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ۖ إِنَّ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صَيَّغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ ۖ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَأَخْلَدَمُ (٢)
 مَا بَدَّلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ ۖ وَلَا تَهْدَىٰ لِمَا يَقُولُ فَمُ (٣)
 بَنُو الْعَفْرَنِيِّ مَحْطَّةُ الْأَسَدِ الْأَسْدُ ۖ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ (٤)

(١) مخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بأصاحبي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهي الخللخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى
 صفت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدى . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدى فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرني : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرني : الأسد القوي ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرني» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لمحطة - وروى
 الحوازرمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أي أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبيلة :

كَأَبْنِهِمُ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ ۖ أَسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ

وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُنْخَدِرَاتٌ مَا هَا ۖ إِلَّا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا آجَامُ

وقال أيضا :

أَسْدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا ۖ أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأَسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نَحْوَرِ الْكِمَاةِ لَا الْحَلْمِ (١)
كَأَنَّهَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمٌ (٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا (٣)

وانتريد إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجا التيمى يصف إبلا

حَمَلَتْ أَثْقَالِي مَصِّمَاتِهَا غُلِبَ الذَّفَارِيُّ وَعَفْرَنِيَّاتِهَا (١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كفى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلام عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بلوغهم أن يُرَضِعُوا السيفَ مُهَجَّةَ البطلِ

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نقيم الدين بعد أعوجاجه سوياً ولم نخرج لجمع الدرهم
إذا أحكم التنزيل والحلم طفلنا فإن بلوغ الطفل ضرب الجماجيم

(٢) الندى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحترى :

عريقون فى الإفضال يؤتشف الندى لفاشيتهم من حيث يؤتشف العمر

(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحداً جاهرُوا بعداوتَهُ ، لأنهم لا يخافون
عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياءً ونبلا .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ . يقال غلب غلباً
أى غليظاً .

تَظُنُّ مِنْ قَدْرِكَ أَعْتَدَادَهُمْ أَهْمٌ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)
 إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحِكْمُ^(٢)
 أَوْ حَلَفُوا بِالنَّمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ^(٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحريري :

زاد معروفك عندي عظيماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
 تَنَدَّأَسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 وقال الآخر :

وَمَنْ تَكَرَّهْتُمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ
 « المحل : الجذب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) النموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا بيننا يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقسام قول الأشر النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيَّتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ
 لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ
 تَعْدُو بِيضِ فِي الْكَرْيَةِ شُوسِ
 لَمَعَانُ بَرَقِ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسِ
 وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ
 لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ
 تَعْدُو بِيضِ فِي الْكَرْيَةِ شُوسِ
 لَمَعَانُ بَرَقِ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسِ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشزب : الضواصر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقيّة أعراضهم . وفي الكريّة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجري . على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ نَهَا حُزْمًا (١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَأَقِيمًا أَحَدُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا (٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضِهِمْ وَأَوْجُوهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ (٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفُورُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ (٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطْمٌ (٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عربيا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلمهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخذاهم حزمًا لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبهت بالناقة إذا حملت . والمهجع : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أي كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم . يصفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمجان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ
 دُجِيَ اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجِرْزَ نَاقِبُهُ

وقول الآخر :

فإن كان خطب أو أمت ملية كفى خابط الظلماء فقد المصاحح
 (٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والغور : منخفض بالشام ، بجوار بلد المدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفيء الحار . وقال بعضهم : المراد بالغور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقظام : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتت

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بَاقٍ تَخُونَهَا اللَّجْمُ (١)
 كَانَهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا حَيْشًا وَغَى هَازِمٌ وَمَنْهَزِمٌ (٢)
 كَانَهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفٌّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ (٣)
 نَاعِمَةٌ الْجِسْمُ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ (٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا، مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلىق: أراد فرسان خيل بلىق ، والبلىق : التي فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلىقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه . وقال ابن جنى : تخونها اللجم : فهي تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرقة والانغماس مما ذكر في البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كَانَهَا : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كَانَهَا - أى الطير واللوج ، لأن الريح تضربهما معا فتتابع الطير على أثر اللوج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى في الحديث « حفت الجنة بالسكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه - وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فمداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألفز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبْدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ (١)
 تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوْضَ حَوْلَهَا الدَّيْمُ (٢)
 فَهِيَ كَمَاوِيَةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرْدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ (٣)
 بِشِينِهَا جَزِيئًا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ (٤)
 أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِيعَ فَمَدْحُكُمْ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ (٥)
 وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِي تَسِيمُ (٦)
 أُعِيدُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مِيَمٌ (٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها نبات كفى عن استخراج ممكها وصيدها منها بالقر، وهو شق البطن.
- (٢) جادت : من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر ، والدائم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .
- (٣) الماوية . المرأة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للغشاء . شبه البحيرة - مع ما يحقق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد .
- (٤) شينها : يعيها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفاهم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهله لثام خساس .
- (٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر : أي أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى في العقل : يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .
- (٦) العهاد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أطار بعضها في أثر بعض : ومنه : أي من المدح : والمطرة التي تسم : هي الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذي يسم الأرض بالنبات . شبه مداخه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تفتت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم : هذه القصيدة .
- (٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفي هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المنيث بن العجلي :

فُوَادٌ مَا تَسْلِيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرٌ نَأْسُهُ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجَثُّ ضِحَامٍ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَّى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا أتى تمام :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَأَلْمَاهُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتدأ محذوف أى فؤادى فؤاد . والدمام : الحمر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ لست كالتاس أَرْضَى بما يرضون به ويلهينى السكر ، ثم قال - المتنبى - : وعمر مثل ما تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلا لرجوت أن أدرك أغراضى بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهيئة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى تمام :

وَكَانَ الْأَتَامِلَ اغْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدِّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان ابن ثابت :

لَأَعْيَبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الآسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْمَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ (١)
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلْكُ مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ (٢)
بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانَهَا إِلَّا الطَّعَامُ (٣)
وَحَيْلٍ مَا يَحْرِ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنَا فَوَارِسَهَا ثَمَامُ (٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظْمُ الرَّجَالِ لَّهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجثة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جثة الإنسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جثة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جثته إنما يقال قتله ، وقيل لا يقال جثة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما واثباته إياه في الأرض حتى عدن - أي ثبت - فيها .
(٢) المعهود في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جنى : وهذا عادة له - للمتنبي - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقِظْتَ أَيْضًا فَنَامُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيْقِظْتَ هَاجِمَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أي مع أجسام . ويحر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحمر حرازم . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرياح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر :
يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِيْلِي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الحِيفَاطُ بِفَيْرِ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيِّقِلِهِ الحِطَامُ^(٢)
وَشِبَهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بمود ثمّام ما تأود هودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أي أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليلي خليل
لك وإن كثرت تملته ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالي ولا حرم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذي يعمل السيف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان في الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذي صقله لا يقطعه ، يعني أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغير غاؤم ؛ قال الأزهرى : وصعدت العرب تقول للرجل
الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبي مهدي الأعرابي ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدي : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك - فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدي : يا طغامة لقد أحنيتني
في المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجَهُ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فَعَلَيْهِ مَيِّمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَاكُ بَرَاكِ
« قال الجوهري : يقال في الحرب براك براك - كقطام - أي ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فذلك ألفت الحساس ، لأنهم
أشبهها في اللؤم والحسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْقَلُ إِلَّا ذُو مَحَلَّةٍ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقِتَامُ (١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّهُ لِرُتْبَتِهِ أَسَامُهُمُ الْمَسَامُ (٢)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَلَا فِي بَوَاطِنِهِ ظِلَامٌ (٣)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ (٤)
 وَمَا كُلُّهُ بِمَمْدُورٍ بِبُخْلِ وَلَا كُلُّهُ عَلَى بُخْلِ يُبْلَامُ (٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقوام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيش .
 (٢) ريع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذ ارعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك - فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيتهم ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدير أمور الناس محتاج إلى من يديره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة بلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .
 (٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتعبدون من يصبوا اليهن ويعطى قلبه بحبهن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران هو أو غفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من المهمل وضعفه واهتمامه لمسا فأت من عمره - فإن حياته هى اللوت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منصفة مكدره ؛ فالإنسان لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من المهمل حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواحد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن العسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولادته الكرام ؛

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكِرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا اللَّكَّامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاتِنِهِ وَأَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَمَامُ^(٥)

والذي لا يلام على بخله من كان أباه لثاماً بخلاء؛ لأنه لم يتعلم غير البخل، ولم ير في
 في آباءه الكرم والجود، فيكون هذا من قول أبي تمام :

إِكْلٌ مِنْ بَنِي حَوَاءَ عُدْرٌ وَلَا عُدْرٌ لِطَائِيٍّ لَتِيمِ

وقال ابن جنى : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مُقْتَدٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أرمثل جيراناً في سوء الجوار
 وقلة المراعاة ولا مثلي في مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على
 الإقامة بينهم . وقوله لثلي : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : المثلث ؟ على الاستفهام
 التعجبى .

(٢) يقول : كل ما تشتهى وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير
 موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » : يقول هلاكاً نقص
 أهل الأرض في الأرض ، وتمام الأرض - أى كمالها - في أهلها؟ يعنى أن
 هذه الأرض كاملة في أحوالها ، وأهلها ناقصون في أخلاقهم ، فهو يتمنى أن
 يكون كمالها في أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطنائها ليس
 يجدى شيئاً .

(٤) أنا : أشرفاً وطالاً . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال
 له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر - وهو جبل اللكام - والثانى
 من حجر - وهو الممدوح - وقدم الصخر على الفخر صنعة وحداقة . لما استعار للفخر
 جبلاً عطفه على الجبل الحقيقي .

(٥) التمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللهُ ابْنَ مَنْجَبَةَ سَقَانِي بِدَرَّةٍ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامٌ^(١)
 وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
 فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٣)
 تَلَدُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُوذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْدُ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطن المدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء ، والنجبة : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدر : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفظام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن برة .

(٢) من : عطف على ابن منجبة . والدوام : يروي الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خصائه

(٣) السلك : الحيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ملبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أوكرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المرودة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالقرام هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة القرام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَأَصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ (١)
 يَرُوعُ رَكَاتَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذَرِي أَشِيخَ أُمِّ غُلَامٍ (٢)
 وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ (٣)
 وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ (٤)
 أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْجَمَامُ (٥)

كان غراما . . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهي مع هذا تملذه كالمشوق لذيد مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يعذبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هويها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون ليلي العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلي قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يزعج ويخيف ؛ والركاة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويروى : فما يدري .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحية ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا آخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخبر وما كلُّ العطاءِ زينُ
 وليسَ بعار لامرئٍ بَدَلُ وجهِهِ إليك كما بَعضُ السؤالِ بشينُ
 وكقول البحترى :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي لِئِنَّكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبُنِي - لَوْ لَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ
 (٥) الأيادي : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُمَدُّ عَامٌ^(١)
تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهِمُ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّقَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ المَطْوَقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَمَلَكَ جَوْهَرًا أُبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة المدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشمل جميع العام . ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير فى « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استدرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القرينى » :

نُعْرَضُ لِلسِّوْفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وروى :

* تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهِمُ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . والمراد بما فى ذراهم : السيوف لأنها تقلد فى أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجِدُوا لَأَعْطَوَكُمْ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا (١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ (٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التَّوَامُ (٣)

(١) يمتمهم : قصدتهم . وتجيدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حتى لو قصدتم سائل يوم القيامة لأعطوه صلواتهم وصيامهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَوَأَسَأَهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التاهية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وأخذه بعضهم فقال :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّى لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلاء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف في العدو - الجرى - ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حلِيم ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتمل إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك - وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتثقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم - الذى وقعت فيه الحلة فثقتبه وأفسدته - فلا ينتفع به :

فإِنَّكَ وَالكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاص ، جمع جفنة ؛ ومكلمات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصْرَهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَّاهُ وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرِكُ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكللة^(١) *

والشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوام : جمع التوام - طى غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندما ضرب التدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعم مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يفلهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول المعطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَجْرَحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا ، وقد أخرج العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما طى
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُدَامٌ (١)
إِذَا مَا الْعَالَمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا أَفِدْنَا أَيُّهَا الْخَبِيرُ الْإِمَامُ (٢)

محذوف ضمير الشأن . والدمام : الحرمة والعهد . يقول : متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك وبشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعونك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجبا عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رعايته، وأنت لا ترضى أن تقول هولك وتدعوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أى فلن هذا المسألة ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، فحذف للدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويروى فى رضى - بالياء - أى إذا دعونك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه . والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد العجل الذى يسمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى مرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراه واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .

أَتَيْتَكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفِ تَظَنِّ بِنَى الظُّنُونَا

والخبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الخبر والخبر واحد

أحباب اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو خبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تحبير الكلام : أى تحسينه .

يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا بِهَذَا يُفْلِمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِّ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأَعْطَيْتَ الَّذِي لَمْ يُفِظْ خَلْقُ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتمهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المفلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدي : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجممة غابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمِعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالدمْعُ مِنْهُمْ (١)
 وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ (٢)
 وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولَانَ عَنَّا ظَلَّتْ أَيْكِي وَتَنبِسُ (٣)
 فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَكَلَّمُ
 ظَلَمٌ كَمَتَّئِهَا لَصَبٌ كَخَصْرُهَا ضَعِيفِ الْقَوَى مِنْ قِفْلِهَا يَتَعَلَّمُ (٤)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبا ، وتهم الوشا بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهه بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكتم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرّك في جفنك كيف تقدر على كتابته ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم السكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلت أيكى من الوجد ، وهى أضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والحصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تكصرها ، وجعل ظلها إياه بشكليه مالا يطبق حمله كظلم متنها لحصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالمعظم ، والحصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر سمن اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهٌ يُعِيدُ الشُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ^(٣)
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا
وَلَكِنْ جَيْشَ الشُّوقِ فِيهِ عَرْمَرَمٌ^(١)

متنہا ممتلیٰ بظلم خصرہا بتکلیفہ حملہ ، والصحیح فی هذا المعنی قول خالد بن یزید
الکاتب .

صَبَا كَثِيبًا يَنْشَكِي الْمَوَى كَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو نسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر
الراس . يقول : تريك للنهار ليلا بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول
بكر بن النطاح :

بَيْنُضَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَمْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَّ جَنْلُ أَسْحَمُ
فَكَانَتْهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَانَتْ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
« جنل : كشيء . وأسعم : أسود » وقول أبي تمام :

بَيْنُضَاهُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النِّهَارِ فَيُظْلَمُ
« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لِحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْمَوَى فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ
نَضَاضُوا وَهِيَ صَبْغُ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى الْأَخْلَامُ نَأْمُ
قلوباً عهدنا طيرها وهى وقع
بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
ليهنجتها ثوب الظلام المجرع
ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا للتأخرين منهم ، وقد جعل الموى قلوبنا نحوم
حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله
ثوب الظلام المجرع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع فى الشيء : أن يكون فيه
لونان مختلفان »

(٢) العرمم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وتركت دارها خالية ولكن
قلبي ليس خالياً مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فيها الارم
له لا يفارقه .

أَنَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(١)
بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْقَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمٌ^(٢)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي أَخْلَدٍ مِنْ دَمِي
لَمَا كَانَ مُحْمَرًا بِسَيْلٍ قَاسِمٍ^(٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والأنايف : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفمولة من نثيت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : ما بقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقتها وأرت فيها كما أحرقت الشوق والحب قلبى ، وكأن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبداً : إذا حزن ، وامرأة عاب وعبرى وعبرة : حزينه . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يقولُ لى النهدي هل أنت مرد فى وكيف ردافُ القرأُ أمك عابر
يُذكرنى بالرحم بينى وبينه وقد كان فى نهدي وجرم تدار
نجوت نجاه لم ير الناس مثله كأنى عقاب عند تيمن كاسر^(١)
والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطر كأنه يساعدى فى البكاء . ولكن دمه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهما له .

(١) عابر : ثاكل ؛ وتدار : تقاطع ، والنهدي : رجل من بنى نهدي يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّارِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغَمُضَ تَطْعَمُ (١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصِ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ (٢)
 مَحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُورًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتَمِّمُ (٣)
 وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْفَمَا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْفَمٌ (٤)

(١) المجععة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى - أبعدنا بهمزة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتمام بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينام ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتمام بعد مفارقتنا ؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية المدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملحنى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه المدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفى من مفارقتة أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على المدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتمنى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنومُ ممكنٌ : غرٌّ غيرى لا تُنمُوهُ فَلَسْتَ بالمستهم

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا تيممه وتامته تيمه تيماء فهو تميم بالنساء ، وتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زراراة :

تامت فؤادك لو يخرُجُ نك ما صنعتُ إحدَى نساءِ بِنِي ذَهَلِ بنِ شَيْبَانَا

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفافة كما يصبو المحب إلى محبوبه .

(٤) الضيفم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر

بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْقَصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَتَبَخَّسَهُ وَالْبَخْسُ نَبِيٌّ مُحَرَّمٌ (١)
يَجْلُ عَنْ الْقَشْبِيهِ لَا السَّكْفُ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مُحْذَمٌ (٢)
وَلَا جِرْحُهُ يُوْسَى وَلَا غَوْزُهُ يُرَى وَلَا حَدَّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلُمُ (٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ (٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمحذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت العليل آسوه أسوا - والآسى : الطيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حد عزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا السكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى محذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتلم ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى ناف فى اللفظ والمعنى جميعا . قال :

الآترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا للذى نقصه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَعُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبْرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ (١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي

أَنْتَى أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا (١)

(١) الرمع : الرقص بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمع الأذيال ، وذلك إذا كان يطبل نوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقبلي :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بِمَكَّةَ يَرْمَعْنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا

« المهديبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار : المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبورة والجبورة مثل الفروجة ، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدی يعاتب رجلاً كان والياً على أضاح ؛

فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْنِكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطَّرِفِ

« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو في العدد كالحصى وللتغطرف ؛

المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته وغمامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب همياً واختيالاً ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :

مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا نَمَّ لَيْسَ لَهُمْ

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرِحًا

حُمْ إِذَا سَمِعُوا خيراً ذُكِرَتْ بِهِ

جَهلاً حَلَى وَجِبِنًا عَنْ عَدُوِّهِمْ

ويقولون أذنت له : أي سمعت له .

عَهْدٌ وَلَيْسَ لَهُمْ دِينَ إِذَا اتَّخَمْنَا

عَنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوِّهِمْ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

لَبِئْسَتْ اتَّخَلَّتَانِ : الجهل والجبين

وَلَا يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَانُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ (١)
 أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يَسْرِ تَبَقَّاهُ مُعْدِمٌ (٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عِنْقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُجْرَمُ (٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَيَادِي أَيَادِيًا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَيْلُ مُنْجِمٌ (٤)
 سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يَهْوَمُ (٥)

(١) ولا يشتهى يبقى؛ يريد أن يبقى خذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يجب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الحمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى العدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جنى ؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئا يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يخرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تميز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والويل ؛ المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأنجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابع من قطر المطر حين يكون كثيرا دائما المظللان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الحسة تقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لا بد منه للإنسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرَاهِمًا (١)
 وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لِأَثَرٍ فِيهِ بَأْسُهُ وَالْفَكْرُومُ (٢)
 يَرُومِي بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَعْمَادِ تَنْضَى فِقُوتِهِمْ (٣)
 إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ
 مَذُ الْغَزْوِ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمِّمٌ (٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أمجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكريمه ويسرهما ، فلو كان مايسر الإنسان بضره لضربه الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومرئية . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فمليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أي بدم مثل الفرصاد في حرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم ؛ إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتامى : السيوف التي تفارق أعمادها ، جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنضى : تسلك . وتوتهم ؛ مضارع أيتهم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت أعمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف يتيم أولاد من يقتله بها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جنى : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو ، حذف المضاف وقال الإمام التبرزي ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « في » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أي في اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هو سار — يعني الممدوح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرهما ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله في قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال بسروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس في هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يفزو ولا يمنعه (١٤ — التني ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن اللفظ ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، وكان يريدنا أن تنبسط في هذا الموضوع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبنى أن نجد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح اللغز ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للفتنبي وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فمرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما حذف الميم وحلت « من » بالذال ، وضمت للميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الميم - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيت « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تلياً لـ « من » ، والرفع بهما « أجود » ، لحذف نون « من » منها تلياً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منيد » وفي تكبيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن الماء ماء أبي وجدِّي وبيري ذو حقرت وذو طويت^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العشاء من فزارة في ماء وهم مخلطون متجاورون ، والآيات .

وقالوا قد جنت فقلت كلاً	وربي ما جنت وما انتشيت
ولكني ظلمت فكذت أنبكي	من الظلم البين أو بكيت
فإن الماء ماء أبي « البيت »
وقبلك رب خصم قد تمالوا	على ما هلمت ولا دعوت
ولكني نصبت لهم جيبيني	وآلة فارس حتى قرئت

بِشْقِ بِلَادِ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقُ
بِأَسْيَافِهِ وَأَجْلُوهُ بِالنَّقْعِ أَذْهَمُ (١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ
نَسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ (٢)
وَمِنْ عَاتِقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ
أَسِيْلَةٌ خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتَلَطَمُ (٣)
صُفُوفاً لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثِ حَصُونِهَا
مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ (٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيسكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره - وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يتبعوا الضم بالضم .

(١) النقع : الغبار ، والأبلق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه - يريد سواد الغبار ولعان السيوف - والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ« يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والسكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحنف : الهلاك ؛ يقول : يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكم من كتيبة للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حاتفها (٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانة أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخد أسيل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها - لأنها سبيت - فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا ؛ أى برزت صفوفا ، لأن عاتق - ههنا - في معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الحيل السنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و« ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى انى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع اللوصولات ولا يتغير لفظها . وتمالوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتفصصوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما ناديت أحداً ولا استصرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء في الحوض .

تَغِيْبُ الْبَلَايَا عَنْهُمْ وَهَوَّ غَائِبٌ وَتَقَدَّمُ فِي سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ (١)
أَجِدُكَ مَا تَنْفَكُ عَانَ تَفْكُهُ عَمَّ بِنِ سُلَيْمَانَ وَمَالَ تَقْسَمُ (٢)

تتخذ منه الرماح ؛ يقول ؛ برزت هذه العواتق صفوا لهذا اللمدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يفرزم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أجدك جدك ومعناه ؛ أجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكك ، وجملة « عان تفكك » خبر « تفكك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي ؛ لا يجوز وحجة الكوفيين إذا كان سطره متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم ؛ « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دى » قال الشاعر .

فلو أننا على جُحْرٍ ذُبْحِنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ اليَقِينِ (١)

(١) قبله ؛

لممرك إننى وأبا زباح على حال التكاشر منذ حين

لييفضى وأبفضه وأيضاً يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ونسبها لعلى بن بدال ابن سليم . والتكاشر : يروى التجاور ، والتكاشر الباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي بمنه ودمه بسرة قال المتلمس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤَدِي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْقَمُّ (١)
 عَلَى مَهَلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ (٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُفْحَمٌ وَمِثْلَكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلِكَ خِضْرَمُ (٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمَمُ (٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لانظير له ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الخفة . قوله : وما لم تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينة للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والقم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هي عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها في الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الشانى ؛ المنفض ، وأصله الهمز ، ولكن لينة للضرورة . وللنعم ؛ الـاكت القدى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعبب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تهرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جحر لعل من الشجاع منا من الجبان يجرى دمي وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَىَ الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفرايس من أرض قنشرين فسمع زبير
الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَايسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مَهَانٌ فَمَسَلَمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَبَيْنِكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي حَلِي مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ بِمَا تَقْنَمِينَ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملتي على إيثارك بالزيارة واختصاصك
بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر وللملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ،
كما قال أبو تمام .

لَيْسَتْ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
هذا؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول ؛ زرتك بزيد ، وزرتك
زيدا ، وأزرت زيدا إياك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكة
لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يقدونك بأنفسهم
(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا
فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا محذولا ؟ والفرايس موضع بالشام . وقوله :
فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلقف : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي
على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق ؟
وهذا كالتعريض لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

وقال في لمة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلْتُ فِي مَشِيئَةِ قَدَمَا وَلَا أَشْتَكْتُ مِنْ دَوَارِهَا أَلْمَا^(١)
لَمْ أَرِ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهَا يَفْعَلُ أفعالَهَا وَمَا عَزَمًا
فَلَا تَلْمَهَا حَتَّى تَوَاقِعِمَ بَا أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَيْتُكَ مُبْتَسِمًا^(٢)

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبي الحسين على بن أحمد المري
الخراساني ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال بمدحه :

لَا أَفْتِخَارُ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مَذْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ^(٣)

جواري أقبل إليك الخير والرزق وكثمت عندك المال ، مما تمنينه أنت من الصيد ،
وأكسبه أنا من المال والفضيلة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما في مشيتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة في
تحركها ، ولا يأخذها في دورانها دوار فتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، و«يروى» في
مشية» تصغير مشية .

(٢) تواقعها : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جني : هذا البيت يناقض الأول ،
لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام المدوح ، وليس
بمريب في صناعة الشعر لأنه مبنى على الحال .

(٣) يقول : لا نفر إلا لمن لا يظلم ، لاستناعه وقوته على دفع الظلم ، وهو إمامدرك
ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يفعل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول
لا افتخار - بفتح الراء - كما يقال : لا رجل في الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفي بـ«لا»
إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل في الدار ولا امرأة ، ولكنه أجاز به غير
عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل «لا» بمعنى «ليس» كبيت الكتاب :

من صدّ عن نيرانها فأننا ابن قيسٍ لا بَرّاحٍ^(١)

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل
وفرسانها وشعراتها في الجاهلية وأول القصيدة :

يا بُوَيْسَ لِلجَّحْرَبِ التّي وَضَمْتُ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَأَحُوا

وبعد البيت :

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْجِسَامُ^(٢)
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِمَيْشٍ رَبٌّ عَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجِمَامُ^(٣)

وجعل « من » فكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
الإنسان فيه ، إذ العازم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يعد همة ما حال الظلام دون طلبه ،
لأن ذا الهمة لا يوقفه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضوى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ،
وإلا كان حسدًا . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل
فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
قول الحكيم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
عدم ؛ ومن قول تأبط شرًا :

هَما خَطْبًا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخُرِّ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِها التَّخْيِيلُ وَالْمِيرَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا أبرح » حال مؤكدة لقوله
أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والأبراح مصدر . برح الشيء من
باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من آيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شرًا .

أقول للحيان وقد صفرت لهم وطأى ويومى ضيق الجمر معور

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى يَمِيرَ أَقْتِدَارِ حُجَّةٌ لَأَجَى، وَإِلَيْهَا اللُّثَامُ^(١)
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ التَّهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِلْمَرْجِ بِمَيِّتِ إِيْلَامُ^(٢)
ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أُضِيقَ بِهِ دَرْعُ عَازِمَانِي وَأَسْتَكْرَمْتَنِي الْكِرَامُ^(٣)

(أراد خطئان ، خداف النون ، طلباً لاختفة)

(١) اللثم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
(٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفي - شاعر إسلامي ادرك بني أمية - .

إذا ما علا المرء رام المُلَا ويقنع بالدونِ من كان دوناً
وأين هذا من ذاك ؟

(٣) زمامي ؛ فاعل ضاق ؛ والدرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أي ضغفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الدرع وإتما

هُمَا خَطَا « البيت »
وبعد :

وَأُخْرَى أُصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنهَا لَمُورِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جُوجُوٌّ عَيْبُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
فَأَبَتْ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكُ آيِبًا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتَهَا وَهِيَ تَصْفِيرُ

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى عسلاً ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو تقتلك ، فكره أن يستأسر وصب مامعه من السسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فحكى الحكاية في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللموت خزيان ينظر » تجلي لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ الْأُنَامِ (١)
 أَقْرَارًا أَلَدَ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنِي وَظَلْمِي يُرَامِ (٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ (٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْمُبَارِ إِذَا سَا رَ عَلِيٌّ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَنْقَامِ (٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَهَذَّبُ الْأَصِيدُ الضَّرْبُ بَالِدِي كَيْ الْجَمْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ (٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعاً — في قولهم — ضاق به ذرعاً — نصبوه ، لأنه خرج مفسراً محولاً ، لأنه كان ؛ في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛ فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعاً » مفسراً ، ومثله ؛ طبت به نفساً وقررت به عينا . يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعاً وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتنى الكرام . أى وجدنى الكرام كريماً صبوراً على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت كريماً فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت أحمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أحمصيه . يعنى أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة ابن جنى . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ، والأُنَامُ وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤،٣،٢) الهمزة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام المطلب ، وبشرق يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق المعجمى ، والقنا الرماح والشام : الشام ، وأصله الهمزة ، والقمام السيد ، يقول ، لا أستلذ اقرار فوق شرار النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبغى مطلباً مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول . لا أبغى مراماً بالم أذفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرياح كما يخص الجو بالغيار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه — التنبي — فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها . . . وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبراً . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا هُ وَ مِنْ حَايِدِي يَدَيْهِ الْفَمَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالَ سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عِيُونِ أَهْدَائِهِ أَفْبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأْتَهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقيل فلان جعد الدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من الترى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو سراوة : أى صار سرباً ورجل سربى : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة اسم للجمع ، وليس يجمع عند سيويه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :
تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراوة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة . والمهام الذى ينفذ ما يهيم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء إلا ما يريد ولا يصيب أحداً إلا بإذنه ، وقد تحرق فى الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى صار التهام - السحاب - حاسداً لهما لتصوره عنهما فى البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجوداً ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ، يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال براء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلاً ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى هو الإكثار .

(٣) السوام ، اللاشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، رهو فى عيون أعدائه أفصح من ضيفه فى عيون ماله الراعى لأنه ينجر إليه للأضياف فهى تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ مُنَاخُهُ بفيضٍ إلى الكوماء^(١) والكلبُ أبصر

لَوْحَى سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لِحَمَاكَ الْأَجْلَالَ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَامِعٍ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيهَا الْأِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ^(٣)

فقوله في عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد في الدار أحسن منك . قال ابن جني ، ويمكن أن يكون « في عيون أعدائه » ظرفاً لحسن ، فالعنى هو في عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسناً في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رآته الإبل لأنه يذبحها للأضياف فهي تكرههم؟ فجوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسناً وقبيحاً ، وفي الأول قبيحاً لاغير (١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يحسر عليك تهبياً . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محمياً من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يقدونك بنفوسهم من الموت لوقبل انقضاء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم بها بونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » - في البيت السابق - أى ولحماك سيفوف عوار - مجردة - من الأعماد ، ديتها استحلال قتل النفوس ، فهي لا تخرج من شيء ، ولكن زيتها الإحرام أى امرئ كالحرم في الحج ، فإنه يكون عارياً من الثياب .

(٣) يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله - وهو افتتاح الكلام - ثم قيس - وهى قبيلة المدوح - ثم السلام الذى يكتب في أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم - بالرفع - أجرى « الباء » كعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا والله لا يُبْدِنِى لِمَا بى وَلَا لِلْمِائِمِينَ أَبْدَأُ شِفَاءً^(١)

(١) لاسلم بن معبد الوالى ، عاصر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكت إبلى وحق لها البكاء وفرقتها المظالم والمداء
وكان سبب هذه القصيدة أن مسلماً كان غالباً ، فكتبت إليه المصدق - أى عامل الزكاة - وكان رقيع الوالى عريفاً فظن مسلم أن رقيعاً هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيع ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزنة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية .

إِنَّمَا مَرَّةٌ بَنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ جَمْرَاتٌ لَا تَشْتَمُهَا النَّعَامُ (١)
لَيْلَهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامٌ (٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَقْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ الْفَا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالحنف - خفضه بالباء وأراد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتصريف والتأنيث .

(١) الجمرات : كل قبيل انضموا فصاروا جيلاً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حلفت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حلفت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعيس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخعي :

لَنَا جَمْرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كِرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نُعْمِيرٌ وَعَيْسٌ يُقْبَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَةٌ قَوْمٌ بِأَسْمِهِمْ غَيْرُ كَذِيبِ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وهدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتمها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات هب - والنعام تشتم جمرات النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضم النون التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغباب وهو معنى حسن ، وقد أخذ الحيفي بيص فقال :

نَفَى وَاصِحَ النَّشْرِيقِ عَنِ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانٌ قُدُورٍ أَوْ مَجَاجَةٌ قَسَطَلٍ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل النعام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ماجاء ليل النعام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن اللحن تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَفْتَكُمْ رُبَاتٍ قَصْرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
 وَنَفُوسٌ إِذَا انْتَبَرَتْ لِقِتَالِ نَفِدَتْ قَبِيلَ يَنْفَعِدُ الْإِقْدَامُ (١)
 وَقُلُوبٌ مُوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّؤُ عِ كَانَتْ أَفْتَحَامَهَا أُسْتِسْلَامُ (٢)
 قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانِ قَدْ بَرَاهَا الْأَسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ (٣)
 يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّهُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَا آتٍ نَطَقَ بِهِ التَّمْتَامُ (٤)
 طَالَ غِشْيَانُكَ الْكِرَائَةَ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ (٥)

(١) الانبراء التعرض للشيء ، ونفذ الشيء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لاتزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضاً أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلك له ، قال كثير :

فقلت لها يا عزَّ كلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لا لستراسلهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراها : هزلها وأخجلها . وأراد براهها : أى الشطبة والحصان ، فاكنتى بضمير الأول ، كفى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخليل ؛ والتمتام ، الذى يتردد لسانه بالثناء . يقول : إن خليلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمام بالثناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخليل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرائه : جمع الكريمة ، والكريمة من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَّنْتَ الصَّفَاخِ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَّنْتَ الصَّفَاخِ الْأَقْلَامَ (١)
وَكَفَّنْتَ التَّجَارِبَ الْفِكْرَ حَتَّى قَدْ كَفَّنَكَ التَّجَارِبَ الْإِلْهَامَ (٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُلَامَ (٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِقَرِهِ إِنْغَامَ (٤)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّهُوسُ وَلَكِنْ فَضَّلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامَ (٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانقلا كاقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد ما لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفتها حتى لا تحتاج إلى التفكير فيها ، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لا تلهم سواه ، فكفناك الإلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحترى .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كِتَابِ آرَا نِكَ جُنْدًا لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيَوْدُ الْأَعْدَاءَ لَوْ تَضَعُ الْجِدَّ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْأَرَاءَ
(٣) البراز . البارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك فخراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة من ساقه الفقر إليك . أى دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرؤوس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَرْحَامٌ وَلِلْعَطَايَا أَرْحَامٌ^(١)
 خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
 وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَرْزُكَ عَلَى الْقُرْبِ ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
 وَمِنْ أَنْتِغِيرِ بَطْنِهِ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجِهَامِ^(٤)
 قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَا بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
 هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفئام التي حوله لتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
 لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
 التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيبته . وهذا
 إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
 وهذا كقول البحترى :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِهِ عُدْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرِ
 (٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلتمام : الزيارة .
 يقول : من إصابة الرشد أفى لم أزررك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
 كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسحب : العطاء ، والجهم : السحاب
 الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
 إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
 فيه - أما ما يكون فيه للماء فإنه يكون ثقيل الشيء :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
 - للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك
 وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيته عن المرور
 بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَنْتُمْ (١)
 لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ (٢)
 كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ التَّقَى لَوْمٌ (٣)
 رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَتَذَتْ قَلْبِكَ السَّاعِي الْجِسَامُ (٤)
 إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَذَا لَا يَسَّ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْسَامٌ (٥)

(١) الأثام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلقى أنثاماً » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سيلاً إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصمة الله إياك .

(٢) الدنيا . النقايس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شئ سوى الدنيا ؛ أما عليك شئ محرم تتقى عاقبته ؟ وكان هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له ، فلا يتبها له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على الممالك وكل شئ ، لا يتفكر فى عاقبة شئ إلا ما كان من دينية أو شئ حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى الممالك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجابه ابن جنى — الذى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى توى الدنيا صار كأنه لا حرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شئ سوى الدنيا ، فكأنه لم يهرم عليه شئ .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة تمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، اسكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأ كد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وتباعدك عن الأثام رفما قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القرىض . الشعر ، من قرض الذى . إذا قطعة ، كأن اللراء يقطعه من فكره ،

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاعَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامَ^(١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفْئُهَا حِلْمًا^(٢)

(١)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . النصص ؛ والتقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله المنذر حين أراد قتله في يوم بؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أُمَّ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدَ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكناً من استراض المكان أى فسح واتسع » وهدى يهدى هذاه وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكماً » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراعة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . والبطش : الأخذ بغبلة وقوة . يقول : لا أحداً . الحوادث السارة ولا أذى الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها ، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازاً .

(٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَمَا أَرَمَى (١)
(٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
(٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هى أبدى ؛ أى أبدأه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أربى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحمدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذِي زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بَزَادٍ
وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلَهَا تُكْرِى
« قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و«من» - من مفجوعة - : زائدة ، ومفجوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التى شربت بها : كأس اللوت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وجه التراب : يجوز أن يكون حبا لادفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس . وكئاس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجية ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قلع ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » . بيضاء لثة للشاربين « وقال ية ابن أبى الصلت :

مَارْغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِيًا قَلِيلاً فَاَلْمُوتُ لِأَحْمِيًا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدِيمًا^(١)
 وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كَلَاهُمُ مَضَى بِلَدِّ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

(٥)

(٦)

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَأْفِقُهَا
 مِنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأَسُّ وَاللَّزْهُ ذَائِبُهَا^(١)
 (١) الشكل : القعد . وقدم : قديما . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها
 خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيغنا وتغربت عنها فذاق كل
 واحد منا شكلا صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول نظر إلى بيت
 الحماسة :

فِيبِكِي إِنْ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبِكِي إِنْ دَنَوْنَا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
 كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
 أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
 وقد نفي في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رِبْعَكُمْ وَلَا طَلَّاهُ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ

(١) قال ابن بري : عبطة : أى شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أى موت
 عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أى ذا عبطة وذاهم
 فحذف المضاف أيضا ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقِيَّ مِنْ حَبِيبَةٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الذَّاقِ
 تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فِرْقَةٍ أَوْ لِأَشْتِيَانِ
 فَيَبِكِي [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

٧ عَرَفْتُ اللَّيَالِيَّ قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
٨ مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
٩ أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
١٠ حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
فَلَمَّا دَهْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(١)
تَغْدَى وَتَرَوِي أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَنْظَمَ^(٢)
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمَتَّ بِهَا عَمَّا^(٣)
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٤)

(١) بقول : كنت عالما بالليالي وتفريقها بين الأجابة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتنى هذه اللصيبة لم زدنى بها علما ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : من نظر بين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمرثية : يعنى أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتنظما لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثانى تفسيرا للمصراع الأول فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع وتنظما ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وربها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » لليالى والأحداث : يعنى أن منافع الليالى في مضره غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع أيها المخاطب وتنظما ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ربها وشبعها في جوعنا وظمنا قال : وروى : نجوع ونظما ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تنظما بالتاء خبراً عن الليالى ، والمعنى غذاؤها وربها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا روى ولا تشبع من إهلاك الأتفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالاضر كأنه قال : منافعها في ضر غيرها .

(٣) الترحه : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزنى عليها فكأنى مت بها عمما ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإننى بعد موتها بالسرور أعده مما فاتجنبه وأحرمه

على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِيٍّ وَ لَفِظِي كَأَنَّهَا (١١)
وَتَلْتَمِسُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ (١٢)
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا (١٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَاءَ وَالنَّمَا (١٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « محروف »
للتجريد . والأغرية : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه
بياض والفراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من
كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه
تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفاً به
لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جنى : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب
الأعصم .

(٢) المهاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه
على عينها حتى صارت أنيابها وما حول عينها سودا بمداده - حبه - هذا :
ويقال لثم فها - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة -
وقيل لجليل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى لَأَنْبَنُ الحَىَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
نَفْرَجْتُ خَيْفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمَتْ فَعَلْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَلْتَمَسْتُ فَأَهَا آخِذَا بَقْرُونِهَا شَرِبَ الزَّرِيفَ بِيَرْدِ مَاءِ الحَشْرَجِ (١)

(٢) رقا الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول :
لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت
عنى بعدما أدى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عني إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

(١) الزريف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على الصدر الشبه
به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب الزريف للماء
البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز
صغير لطيف .

١٥
١٦
١٧
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدَّرَضَيْتُ بِي لَوْرَضَيْتُ بِهَا قِسْمًا^(١)
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَى وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٢)
وَكَنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ اسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

طى ، ولكن الذى اذهب ذلك السم كان اشد عليها من السم ، كما قال
أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
مِنَ الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرًّا مِّنَ الْكَرْبِ
ومثله له :

أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ فَاقِرَةٌ نَجَّتَكَ مِنْ فَاقِرَةٍ^(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتني هي بموتها
وفاتني ذلك الحظ لأنني لم أدركه وكانت قد رضيت بي حظا من الدنيا لو كنت
أنا قد رضيتها حظا لي

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والعمام : السحاب . والوعى : الحرب ، والقنا :
الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء
الأعداء صرت أستسقى السحاب قبرها فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب
في الدعاء للقبور بسقيا السماء - يعنى تركت الحرب وجدأها واشتغلت بالدعاء لها :
قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وَبَرَّغَمِي أَصْبَحْتَ أَمْنَحُكَ الْوَدَّ وَأُهْدِي إِلَيْكَ صُوبَ الْعَمَامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها
فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أف موتها
أعظم من فراقها .

١٨

هَيَّبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فِيكَ مِنَ الْمِدَا

فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحَمَى (١)

وَمَا أُنْسِدَتْ الدُّنْيَا عَلَى لِيضِيْقِيهَا وَلَكِنْ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى (٢)

فَوَا أَسْفَا أَنْ لَا أَكِبُّ مُقْبَلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلْنَا حَزْمًا (٣)

١٩

٢٠

(١) يقول : اجعليني واحسيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلك فكيف أخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عِنكَ الْمَوْتَ يَا حَمَزَ إِذْ أُنِي رَجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفٌ قَوَاصِبٌ (١)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لَوْ كُنْتُ تَمْنَعُ خَاضِ نَحْوِكَ فِتْيَةً مِثْلًا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ (٢)

(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « فوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . واللدى : أراد اللذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هي لفة في تثنية « اللد » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنِي كَلْبِيبٍ إِنْ عَمِيَ اللَّذَا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ (٣)

وقول الأشهب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وَأَنْ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ (٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواصب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشيفار : جمع شفرة والشفرة ما عرض من الحديد وحده ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بني كلب ، بمن اشتهر من بني تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبي حنص عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) جدده :

هو ساعدُ الدهر الذي يُتَقَى بِهِ وماضِرٌ كَفَّ لَا يَنْوُءُ بِسَاعِدٍ

وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي (٢١)
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
لَكُنْتُ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا (٢٣)
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَنْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

كَأَنَّ ذَاكَ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا (١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا (٢)
فَقَدْ وُلِدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا (٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِلخَالِقِ حُكْمًا (٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِلْمَكْرُمَةِ طَفْمًا (٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى (٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكتب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامه وعقلا . يتأسف لعيبته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لولم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لولم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تقرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربية لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يفادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعام شىء إلا طعام المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشعراء : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شىء أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شىء أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

(٤٧) كَانَ بَيْنَهُمْ عَالُونَ بِأَنِّي
 وَمَا أَلْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْقَارِ فِي يَدِي
 (٤٨) وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
 (٤٩) وَجَاهِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي
 (٥٠) إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدَهُ
 جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِيمَا (١)
 بِأَصْعَبِ مَنْ أَنْ أَجْعَ الْجُدَّ وَالْقَهْمَا (٢)
 وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْفَشْمَا (٣)
 وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَانَ الْقَرْمَا (٤)
 فَأَبْعُدُ شَيْءٌ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا (٥)

(١) اليتما : مفعول لجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أي فهم لذلك يخضونني .

(٢) الجدد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أي فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدوني :

إِنَّ الْمَقْدَمَ فِي حِذْقِ بَصْنَعَتِهِ أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ
 وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أي بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكنني إن لم أقدر على الجمع بين الجدد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال ؛ يعني أعظم أعدائي بسيفي .

(٤) القرم في الأصل : البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفتلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحي أعدائي يوم الحرب بسيفي : أي أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وخيلى قد دلفتُ لها بخيلى تحيةً بينهم ضربٌ وجميع (١)

(٥) فل : يروي بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وفل السيف : ثلثه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالخيلى : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا مشى مشيا لنا - وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجه ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنِ لَمِنْ قَوْمٍ كَانَ نَفُوسَنَا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا (١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زَيْدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا (٢)
فَلَا عَبَّرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعْزِنِي وَلَا صَحْبَتُنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا (٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فسار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء: مبتدأ، خبره: يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يمكن لدى طالبه عزم: يعني لا يدرك شيء ألبتة إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فاعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف: الاستكفاف من الشيء . يقول: إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكأن نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار: أي تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال: كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ النية ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهة: جمع كراهية ، فيلغة بمعنى مفعولة . يقول - للدنيا - : أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فليست أبالي بك؛ ويانفس زيدي قدما - أي قدما - فيما تكرهه الدنيا من التعرز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى: وإن شئت قلت في كراهيها - أي في كراهة أهلها - يعني زيدي قدما في الحروب ، وهي - الحروب - مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول: لا مرت بي ساعة - لحظة - لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتي نفس تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَأَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوْائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْعَمَالِمِ (١)
 وَلَسِكِنِّي بِمَا شُدِّهْتُ مُتَمِّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَبْحٍ مِثْلُ كَاتِمِ (٢)
 وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ (٣)
 وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أُسْتَشْفِي بِلَثْمِ النَّاسِمِ (٤)

(١) أنا لأمي : أى أنا لأم نفسي إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائم : أى وقت لوم اللوائم . والمعالم أى معالم ديار الأحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لأمي : أى فأنا لأم نفسي فى تصور محبتي ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائم على فرط جزعى وبكائى علمت بما عرأنى من ذلك فأنا لأم نفسي على تهتكى واستسلامى للوجد والعبرة ، يذكر وقوفه فى ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهك ستره ولم يعلم .

(٢) شده الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : الذى تيمجه الحب - أى عبده وذلكه - يقول : ولكننى من فرط دهشنى ذهلت عن إدراك ما خاضرنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكتمان ، وعبارة الواحدى : ولكننى من فرط دهشنى وذهورلى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائم إبلنا ، لأنها وقتت ولم تبرح .

(٤) الناسم : جمع المنسم ، وهو الخنف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلثم - تقبيل - أخفانها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطَوْلِ القَنَا مَحْفَظْنَ لَا بِالتَّامِّ
 حِسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مِسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ النِّوَاعِمِ (٢)
 وَيَبْسِمْنَ عَن دُرٍّ تَقْلَدْنَ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِهَا سِمِ (٣)
 فَمَالِي وَلِدُنْيَا طِلَابِي نَجُومَهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبِيعَ بِحَدْيِ أَنْ مَشَى فِيهِ الخليل

(١) القنا : الرماح . والتأم : جمع تيمة ، العودة . يقول : ديارهن منبعا لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعود .

(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و«مسن» يتخرن . يقول : لنعومة أبدانهم ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الوَشْيِ نَعْمَةٌ فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الجُسُومَ وَشَاهَا
 وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ الأَخْرُ :
 رَقٌّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْمَلَةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
 لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةٌ فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

« العارض : الحد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن نعورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكان تراقيهن حليت بشعورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ التَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ العِقْدُ مِنْ تَنَائِيَاها

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأرقام : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمفه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائبها وخطوبها ؟ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشقوق الأرقام عن الخطوب المهلكة والنوائب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ (١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُرَاحِمِ (٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُوحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ (٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِأَيِّمِ (٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل . هنا - تقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حملك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلماً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكيم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك ، ولدك ، وزوجتك ، وعبدك : فسبب صلاحهم التمدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذي كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء القتولين عليه . يعني أن تراحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى : من المحلم أن تراحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي تراحم الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ
 وَلَا يَبِيْتُ لَهُ جَارٌ قَلِي وَجَلِ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا إثم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو مغزى قوله : « الردي الجاري عليهم » .

إِذَا صُنْتُ لَمْ أُنْرِكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أُنْرِكْ مَقَالاً لِعَالِمٍ (١)
 وَإِلَّا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ (٢)
 عَنِ الْمُقْتَنَى بَدَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ أَجْنَابِ الْحَارِمِ (٣)
 تَمَنَّى أَحَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْفَنَائِمِ (٤)
 وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُنْظَمَةٍ مَسْذُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ (٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فإذا صال أو قال أو في طى الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذى لا يجارى ولا يشق له قبار .
 (٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وقت لى القوافى - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضعت عزيمتى فى قصد المدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزيمتى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كالسقوية لى طى ذلك .

(٣) التلاد والتلید : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التالدا كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبارة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام مايقنتيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبارة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلادا له يهب التلاد ويجعل بذله تلادا له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - بحذف إحدى التاءين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والفنائم : السحائب ، وأراد بكينها ثقالا : أن مائها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاته منه ، لأن عفاته منه فى أمان من نوايب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاته يغيرون على أمواله ويترقبون فى نعماته ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلهاذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنى ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثله .

وَذِي لَبِّ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمَثَارُ بِسَالِمٍ (١)
 تَمْرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ (٢)
 إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
 واللبب : اختلاط الأصوات . والثار : الذى أثاره الخوف من مكنه . قال ابن فورجه :
 المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبراة والكلاب ، فلا الطائر
 يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « الثار » ، فإن الجيش الكثير يشير
 ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الرب :

بجيشٍ لهُم بِسَمَلُ الْأَرْضِ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدَنَّ مَنَازِلًا
 وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
 نار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثِقَّةٌ بِالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقدآ - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
 معتاد ، فلم نسبة إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
 جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة
 غباره أو من كثرة عقبانه التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضؤؤها إليه إلا من خلال
 ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
 التنقى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُرُّ شَفُّ عَمَاؤِهَا بِنَفِيرِ احْتِيَالِ
 رَبِّمَا تَكُرُّهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأُ مِرْلُهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
 والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
 الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْتِ الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفَرُّ مِنَ الْبَنَانِ
 يريد هنا أنه لكثرة اشبائك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
 منافذ ضيقة فيقع مستديرا .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالنَّهَامِ^(٢)
 أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةَ^(٣) ضِرَابًا يَمْشِي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاغِمِ^(٤)
 وَطَعَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفْنَ الرَّدِينِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ^(٦)
 حَمْتَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
- سُيُوفُ بَنِي طَفِيجِ بْنِ جُبِّ الْقَمَاقِمِ^(٧)
 هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكُرَى فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَخْسَنُ مِنْهُ كَرُهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٨)

(١) حافاته : جوانبه . والنهام : جمع مهممة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولعانها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لثقله ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخنق عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر للعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طعن : عطف على « ضرابا » . والقطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « حمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطفنج بن جبب : جد المدوح — قال ابن جنى : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطفنج — في الأصل — بضم النعين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقمام : جمع قمام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قمام » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حمى على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طفنج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعددون

وَمُحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ (١)
وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ (١)
حَيِّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَاهِمٍ أَقْلُ حَيَاءٍ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ (٢)
وَلَوْلَا أَحْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ (٣)
سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِمُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ (٤)
إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُحْتَرَمِ الْعِيدَا
وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ (٥)

في للكلام فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الغرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حييون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصَدُورِ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاجٍ (٣)
قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . يقول: ذهب النوم عنِّي في مسيرى إليه - المدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلا عن يقصده . هذا : ويقال : سریت سرى ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النَّضِيرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أُسْرَتِ إِيَّاكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي (٥)
اخترمهم الدهر : أهلكم واستأصلهم . ومشكى - من أشكيت الرجل : إذا

كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّن زَادٍ قَادِمٍ (١) كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ
 عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ (٢) وَكَأَدَّ سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي
 بِهَا عَلَوِي جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ (٣) وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً
 وَأَجَلَسْتُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ (٤) بَلَى اللَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ
 وَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً (٥) وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ

أزلت شكواه - والمهزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أرضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمرام : الغاضب ؛ والمرامة : الغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم . يقول : إنه بمن طى الأسرى فيطلقهم من الإيسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - يذل - المرغام : أى الذى راغمه وبناضيه .

(١) يقول : نقضت الناس لما بلغت نفص القادم حثالة زاده لاستنفاة عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا الملقى مثل قول أبى فراس :

أَيامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمْرِي
 (٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم
 أتانى وعيد الأدياء « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجملة « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدهى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون في ذلة وخوف كما بين ذلك في البيت التالى .

(٥) الفلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتاً يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ (١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالاً :
حَيِّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَا أَمْسَى الْأَنْامُ لَهُ مُجَلًّا مُنْظَمًا (٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضًا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكَتُ الْأَحْرَمًا (٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر
أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمَنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ مَهْمَهُ وَالْقَمَامُ (٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبني في الجود فجذته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا
تعريض بالدين يبارون المدوح في الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان
الذى تباريه في الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له
عليك ، وكأنك لم تقاوم في الحرب ، لأن من غلبك في الحرب لم تنفعك
محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت
للغلبة له .

(٢) الخطاب في « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : في محل نصب على التمييز « من »
زائدة . وقوله أمسى الأنام له : في موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها في موضع
حذف على الصفة للقسم ، فيكون الضمير في « له » عائدا على القسم ، لا للقسم .
(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من
شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَمَ .

(٤) همه : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والحجر أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ (١)
 فَطَّمِ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَّمِ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ (٢)
 سَتَبِكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمَهْرِي صَفَائِحُ دَمُّهَا مَاءُ الْجُسُومِ (٣)
 قَرَبْنِ النَّارِ ثُمَّ نَشَانِ فِيهَا كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ (٤)

(١) الغامرة : الدخول في المهالك ؛ والنمرات : الشدائد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طم الموت في الأمر الهين كطمه في الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الامور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » ؛ وفرسي مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : سبكي حزننا على فرسي ومهري سيوف دمها الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها من قتلها فتكون دماء قتلاه التي تنظر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلاً - قال الواحدي : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذي ترده الشاربة ، والنار تهلك وتنفى ، وقد أتمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحبث وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطما - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هي رواية ابن جني وتروى قرين - من القرى - : ما يقرب به الضيف - أى جعلت النار قرين لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحبث قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للقرى - للالقارى - فكس موجب القرى بأن جعل النشاء - النشاء - للقارى .

وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلِصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ (١)
يَرَى الْجَبْنَاهُ أَنَّ الْمَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّبِيعِ اللَّثِيمِ (٢)
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ (٣)
وَكَمَّ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ (٤)
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْمُلُومِ (٥)

* * *

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخث . والكلوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأيدى الصياقل جراح منها .
(٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن اقتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
(٢) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفا كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الحسف والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهي تغنى كيفا كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للعقول ، وهذا المعنى من قول أبي تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرحجين تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التي جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد إستنباط العلم بجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعمور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بفي حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوماً ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً ، فأهجمهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى الثَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ^(١)
 يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخْوَكِ نَمِّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ^(٢)
 يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْأَمْفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ^(٣)

قريحته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصفرُ الأبصارُ صورتَهُ والذئبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصفرِ

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفأة واعتراضاً عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضاً ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إن المحبةَ أمرها عجبٌ تلقى عليك وما لها سببٌ

ثم قال : إنى نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فمشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب وثم : هناك . ورنأ إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطررت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جنى : يرميه بأخته وبالابنة وثم إشارة إلى المكان الذى يحلوفه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجنين ؛ وقال العروضى : شيب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالابنة وبأخته وهو يقول ينو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند الجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن الجوس أصابوا فى حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان فى جماعة من نساء بداعين ، فقلن له : ليتنا بناتك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عيب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال فى أخرى :

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بغيرِ البِيضِ وَالأسَلِ
وكقوله أيضا :
دِيَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُولِ القَنَا يُحَفِّظَنَّ لَا بِالتَّمَامِ
وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ *

ثم قال لحييته : أنت قاسية القلب ، وأخوك - على بسالته - إذا لقي العدو كان أرحم منك لى وأرق منك على ، ثم أراد اللبالغة فى ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين الجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية فى الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمى .

* تَحْشَى عَلَيْهَا أُمَّهَا أَبَاهَا *

وقال أبو تمام فى مثل هذا :

بِأبَى مَنْ إِذَا رَأَاهَا أَبُوهَا قَالَ حُبًّا : يَا لَيْتَ أَنَا بَجُوسُ
ومثله لعبد الصمد بن العذل فى جارية كان سميها بنته .
أَحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ عَلَى مَحَبَّاتِ البِنَاتِ
أَرَانِي مِنْكَ أَهْوَى قَرَصَ خَدِّ وَرَشْفًا لِلنَّكَايَا وَاللَّنَاتِ
وَالصَّاقَا بَبْطُنٍ مِنْكَ بَطْنِي وَضَمًّا لِلقُرُونِ الوَارِدَاتِ

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَحْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفِتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْجُوسِ إِذَا التَّقِينَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : الجوس واليهود وإنما عرفا على حد يهودي ويهود ومجوسى ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان مجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين في باب الصرف ، وأنشد :

أصاح ترى بريقا هبَّ وهنا كنفار مجوس تستعمر استعمارا^(١)

(١) قال ابن بري : صدر البيت لامرى القيس ، وعجزه للتوأم اليشكري . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض للناس بالشر - ينازع كل من قال إنه شاعر - فأنى فتادة بن التوأم اليشكري وأخويه الحارث وأبشرريح ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فإلط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أصاح ترى بريقا هب وهنا *

فقال ابن التوأم

* كنفار مجوس تستعمر استعمارا *

فقال امرؤ القيس

* أرتت له ونام أبو شريح *

فقال ابن التوأم

* إذا قلت قد هدا استطارا *

فقال امرؤ القيس

* كأن هزبه بورا غيب *

فقال ابن التوأم

* عشار ولة لاقت عشارا *

رَاعَتِكَ رَائِعَةَ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعر البياض التي تروع الناظر ، ورواها ابن جنى : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً تَدْعَى الشَّبَابَ وَتَهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأَسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضاً ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فلما أن علا كنفى أضاح *

فقال ابن التوأم

* وهت أعجاز ريقه لجارا *

فقال امرؤ القيس

* فلم يترك بذات السرّ ظيبا *

فقال ابن التوأم

* ولم يترك بجلهتها حمارا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم
دويمية ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أرتت له : أى سهرت من أجله
مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله
بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها ففى
تكثر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد
بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاح : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله :
وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما .
تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير
الظباء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظيباً به ولا حماراً إلا وهو هارب أو غريق . والجلهية
ما استقبلت من الوادى إذا وافته . »

لَوْ كَانَ يُمَكِّنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَّمُ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَبْعَمُ (٢)
وَالنَّهْمُ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْمَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْتَقِي فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة - أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإني حدث السن ، ولكن الشيب جارطى عاجلا فستر شباني فكأنه تلمم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ وبعمم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) نهم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى طى المرء أذهب جسم العظيم أسد وهزله حتى يأتي عليه من الهزال ، ويشيب الناصى قبل الأوان حتى يصير كالمهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن المهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَسِكِنْ لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحرى :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْيِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِيهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن ميكال :

الْعَقْلُ عَنِ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عَقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ تَبَدُّوا الحِيفَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ (١)
لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ (٢)
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ (٣)
يُوْذِي القَلِيلُ مِنَ اللِّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ (٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْمَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ
(١) نَبذ الشيء: ألقاه وطرحه؛ والحفاظ: المحافظة على الحقوق والعهود؛
وأولاه كذا: أنعم به عليه. وعاف: من العفو عن الإساءة. يقول: إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة: الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم، فمطلق من الإيسار ينسى إحسان مطلقه، وعاف عن سوء يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها. قال ابن جنى: الندم على كل حال غير مستحسن:
قال الحطيئة.

مَنْ يَقِلُّ الْخَيْرَ لَا يَنْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ (١)
(٢) يقول: لا تتخضع بكماء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأبغيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك.

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه، لأنه يصير مهيبا فلا يتعرض له،
قاله ابن جنى: أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين وكان له أن
يتقدم عليهم، قال العكبري: وهو منقول من كلام الحكيم: الصبر على مفض الرياسة
ينك به شرف النفاسة.

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الحسيس الحقير؛ واللثام جمع لثيم،
ضد الكريم. وضيم الفعلين الآخرين: للقليل يقول: إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينها

« شوق » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جنى: ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز. أي لا يندم جزاء عليه
وجاز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء.

الظلمُ من شيمِ النفوسِ فإن تجرد
يحمي ابن كئيفلغ الطريق وعرضه
ذَا عِفَّةٍ فَلَمِلَّةٌ لَا يَظْلِمُ (١)
مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ (٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى
بِقَيْضٍ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهي الخليقة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى في خلق النفوس . يقول . إن الناس جيلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فأما تركه الظلم لمة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدي : إنما قال هذا لأنه - ابن كئيفلغ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرس . ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :

وَأَمَحَّتْ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا
لِلنَّاسِ بَارِكَةٌ طَرِيقُ مُعْمَلٍ
وقد أبدع ابن الرومي في مثل هذا إذ يقول في امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلِ وَمُدَابِرِ
كَأَجْبَرِي الْمِنشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلِ وَلْمُدْبِرِ
مُتَنَارِعِيهِ فِي فُلَيْجِ صَنَوْبِرِ
إِن شِئْتُ فِي أَسْتِي فَأَتِنِي أَوْ فِي حَرِي
فَتَلَقَّ مِنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَكَبِّرِ
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكَ الَّتِي خَلَقْتَ لَهُ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيْمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لِأَبِي الْإِسْمِ كَقَدِيرِ
تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًّا لَمْ يُوْتِرِ
حَتَّى بَدَأَ عَلَّمَ الصَّبَاحَ الْأَزْهَرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِيهَا
فَإِذَا أَصَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ
مَا زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي
أَزْمِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْمَلِ
رِيَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيْبَةِ أَعْجَبِ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةَ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمِخْلَقَتَيْهَا خِضْرِمٌ (١)
 وَأَرْفُقُ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مَظْلُمٌ (٢)
 وَغِنَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَبِشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمٌ (٣)
 وَأَخَذَرُ مَنَاوَاةَ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَمْرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ (٤)
 وَمِنَ النَّبَلِيَّةِ عَدْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ (٥)
 يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْيَابِهِ تَحْتَ الْمَلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ (٦)

عَبَلٌ إِذَا قَلِقَ النَّسَاءُ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْمَرِ

(١) السَّالِحُ: للواضع يعلق عليها السلاح؛ والشفر، والشافران: حرفا فرج المرأة. ويريد بمخلقه: الفرج والرحم: والحضرم: البحر الكثير الماء؛ شبه المني - لكثرة في رحمها - بالبحر.

(٢) وارفق بنفسك: يريد لا تتحكك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص - لأنه أعور قصير - وأصلك ذنيء لثيم.

(٣) يقول: أنت مكذبة فيكون غناك في مسألة الناس، وليس وراء طبشك حقيقة، وإنما ذلك نفخة نفخت فيك، ورضاك أن ترى ذا فيشلة - ذكر - من عبد أو ممن مائل العبد: وربك الذي تعبدته درهم يعني أنه بخيل.

(٤) المناوأة: للمعادة، وأصله المناوأة، لأنه من النوء وهو النهوض؛ والسكر جمع كمر، وهي رأس الذكر، يقول: لانعاد الرجال فإنك لاتقدر عليهم ولا لك بهم طاقة: وإنما قدرتك وإقدامك على «أبور العبيد» يصفه بالأبنة.

(٥) العذل: اللوم؛ ويرعوى: يكف ويقلع، وعن غيه: فالني نقيض الرشد، ويروى: عن جهله.

(٦) الملوچ: جمع علج، وهو في الأصل: حمار الوحش، لاستعلاج خلقه وغلظه، ويقال للرجل القوى الضخم من كفار المعجم - غير العرب - علج وهو المراد هنا. يقول: يمشي القهقري حبا للاستدخال، أي أن الملوچ كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على غير العادة، فإن من عادة الركوب أن يمشي إلى قدام، وهو بخلاف الركوب لأنه يلجم من ورائه . . . هذا: وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع. لأنه يريد اليدين والرجلين، ولكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على اللغى على حد قول الأفشى:

أَرَى نَارَ جَلَا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثنوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانية يقول :
فلان لعوب - أي أحق - جاءت كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
اليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكور فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابهم : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبيه - كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه - » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقه ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ^(٢)

جمع الترية واللبة بما حولهما ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذف من المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدما ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف أقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل - القيد - يده .

(٢) التراب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها ترية .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزيد بن الصمق

« انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجَفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرِمٌ (١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّمُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ (٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبداً يحرك جفونه يستدعى العلاج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفرعن التحريك : هذا : وقال المكبرى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقه وليس من حق الفعل أن يمطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق وللغنى ولذلك عملاً فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيْتُ لَا تَأْوِي وَلَا نُفَاشًا (١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكن عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيراً ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بقهقهة القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لا بد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح أكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه عيشين بشيئين ، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجبوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهماً ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والنعَم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلاً فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول النعم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْبَلِي مُفَارَقَةً الْأَكْفُ قَدَّالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدِي يَتَعَمَّمُ^(١)

وبلسانه درهما ، فشرد الظبي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجة ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيبين بشيبين ، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيبين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن عجيبها بمعنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مَهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَةِ الْحَى إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَامُ لَنَا إِلَى حَامِيْنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ
فَحَسَبُوهُ فَالْقَوَهُ كَمَا ذَكَرْتَ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ^(٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أي ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقلية يقلاه : لغة طىء ، والقلى : البغض . وقال ابن سيدم : قليته قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جنى : قلاه وقلية ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قليته في الهجر قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى في البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر في الأمر وكن حكيماً معنى ولا تقبل بمن سعى بي إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصابت ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَامِيْنِهِ أَوْ نِصْفَهُ قَدِيْنَهُ تَمَّ الْحَامُ مِيْنَهُ
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسماً وتسعين فيحمامتها تكل للمائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ (١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدٌ مِنْهُ لِيَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ (٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لثلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعمم على يده لتصفه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَا

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » الصدرية . و « ناطقا » نصب على الحال ، وأفضل المضاف إلى الفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتحقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تحقير المرئي ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكتا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد ؛ وإن جمعت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يجز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والبتداء محذوف ، والتقدير وهو يقسم لحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة في محل نصب بالناسخ ، لأنها في الأصل خبر ابتداء ، كما في قولك : هند أحسن ماتراها . أحسن ماتكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل في البتداء الأول لفظا ، وفي جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنا أحسن ماتكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : ص . ب من الحيات فيه سواد تويياض

وَمِنَ الْعِدَاةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤَلِّمُ (١)
 أُرْسِلَتْ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفْرَاهُ أَضِيقُ مِنْكَ مَاذَا أَرْعُمُ (٢)
 أُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبًا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهِيَ فِيكَ تَكْرُمُ (٣)
 فَلَسَدٌ مَا جَاوَزَتْ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَأَشَدُّ مَا قَرَّبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ (٤)

وفاعل « يود » ضمير الدليل ، والعماد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الدليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الجلية أقرب إلى المصافاة من الدليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْبُودَةَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ اللَّوَابِي (١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتتفع - يربدا تضر -
 وصداقته تدل على مناسبتة فتضر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

هَدُوْكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْقِ

« الوامق : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتقاء الضرر والبيت مبني على الذى قبله : أى أن عداوة الذليل الذى يطوى كسجه
 على البغض تظهر ما أضر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يساثره العداوة ويتربص
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سعتها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالأنجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحررض فيها سديف بن ميمون بن العباس على بني أمية .

وَأَرغَتَ مَا لِأَبِي العِشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُرَارَ قِيمَتِهِ (١)
وَلَمَنْ أَقَمَتَ عَلَى الهَوَانِ بِيَابِهِ تَدْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَ عَاكَ وَتُنْهَمُ (٢)
وَلَمَنْ يَهِينُ المَالَ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمَنْ يَجْرُ الجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ (٣)
وَلَمَنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الكِمَاءُ بِمَازِقِ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الكَمِيرُ المَعْلَمُ (٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان بريغ كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويديره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ العَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٍ (١)

« يدروني : كيربغوني ، ويقال فلان يربغي أو يديرني على أمر وعن أمر : أى

يرادني ويطلبه مني » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبي العشار ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقوله « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبي العشار خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يرار » والأخذعان : عراقان في صفحتي العنق قد خفيا

وبطنا ، ويقال لأقيمنا أخذعك : أى لأذهبن كبرك . والوجع : اللكز والضرب ، ومراده بوجع أخذعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقت يبابه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ المُلُوكَ وَفُودَهُمْ نَتِفَتَ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والسال مكرم يرضن بمنله ، فالضمير عائد على السال ، ولك

أن ترجمه للمدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .

(٤) الكمأة . جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه

سمى موضع الحرب مأزقا . والمعلم : الذى وسم نفسه بسيماء الحرب . وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الأَسْوَدَ الأَسْوَدَ الغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا

البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندي

كسالم والسلام ، قال ابن برى : هذا وهم قبيح - أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين

العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أُطْرَ القَنَاةَ . بفارسٍ وَتَنَى قَقْوَمَهَا بِأَتَمَرٍ مِنْهُمْ (١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفُوَادُ مُشِيعٌ وَالرُّمُحُ أَسْمَرُ وَالْحَسَامُ مَصْمَمٌ (٢)
أَفْعَالٌ مِّن تَلِيدِ الكِرَامِ كَرِيمَةٌ وَقَعَالٌ مِّن تَلِيدِ الأَهَاجِمِ أُعْجَمٌ (٣)

واجتاز ببعلبك نخل على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَ هَسْكَرِ المَمَامَا وَلَمْ يَثْرُكَ نَدَاكَ بِنَا هُبَامَا (٤)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فثقتها بذلك ، يريد شدة طعنه وتناحه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقي هو والسكاة في مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .

(٣) الفعّال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبه
كرمت أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم في مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان رومياً . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أهمم من أى جيل كان ، قال الراجز :

سَلُومٌ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الأَعْجَمِ (١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ بِسَلْمِ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقِهِ صَوْتٌ مِثْلَهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أُعْجَمِ

فإنه عنى بالأعجم : حماسة سمع صوتها .

(٤) الهمام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أعجم وتقوم أهمم

وَصَارَ أَحَبَّ مَا تَهْدِي إِلَيْنَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَدَاعِكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَنَّ تَفْقُدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْقُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمُقَامِ^(٣)

يقول : زلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيمُ وليس الله شافِ هِيَامَهُ بِفِرَاءِ مَاغَى الْحَمِّ وَأُنْجِدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتحتم في الأرض لا ترحى ، يقال ؛ ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَأَشُونَ أَنَّ صِبَابِي بَمَرَّةٍ كَانَتْ تَحْمَرُ فَفَجَلَّتْ
وَأَنِّي قَدْ أَبْلَتُ مِنْ دَنْفِهَا كَمَا أَدْنَقْتُ هِيَامَهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ^(٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري ؛ الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بمضه بعضا . والأيدى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لستنا نرتحل عنك لأننا ملنا تفقدك إيانا بالإحسان ولأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى ؛ تتابعت ؛ والقيام ؛ السحاب : وهذا تنمة لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه - إقامته - واحتياسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملك نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكرهه المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغاما ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عننا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف ؛ فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واحتقبل ؛ برأ من مرضه

وكان مع أبي العشاء ليلا على انشراب ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال :

أَعْنُ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوًا وَيَسْرِي كَلْمًا شِنْتُ النَّمَامِ (١)
وَلَكِنَّ النَّمَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامِ (٢)

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرا آدم في شهر ربيع الآخر

سنة ٥٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمْتُ خَيْرُ مِيَمٍ (٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلِ إِذَا لَمْ أَبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ (٤)
سَجِيَّةٌ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الضَّمِيمِ مَرَمِيًّا بِهَا كُلُّ مُخْرَمِ (٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو ؛ السير السهل . يقول ؛ الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذني ، وكذا النمام لا يسرى بمشيقتي ؛ ويريد بالريح والنمام ؛ المدحوخ على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته - يعني أن الذي يفعله ليس يفعله بإذني ومشيقتي إنما يفعله طبعا طبع عليه - كما بين في البيت التالي .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها ؛ خبره ؛ والتبجس ؛ التفجر .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أي لي فراق ؛ وقال العكبري : فراق خير لبندأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق . وأم ؛ أي قصد ؛ ويمت ؛ قصدت يقول - عند ارتحاله - : هذه الحالة التي أنا فيها فراق ، والذي أفارقه - يعني سيف الدولة - غير مذموم - وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر - يعني كافورا - وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أي فيه ، يقول ؛ لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لي

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق في الجبل . يقول ؛ هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتي سجية - طبيعة - نفس التي هي أبدأ خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضميم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ
 وَمَا رَجَبَةُ الْقَرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ
 عَلَيَّ وَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَنِيمِ (١)
 بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصَّمِّ (٢)
 هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُقْتَمِعِ (٣)
 هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأَشْهُمِي (٤)
 وَإِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَقَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ (٥)

(١) الشادن : ولد الفزال ؛ والضنيم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى عنهم ا فالباكي بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكي بأجفان الضنيم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنيم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحَدِّثَ لِيَنَّ قَارِقَتَهُ نَدَمٌ

(٢) القرت : الذي يملق في شحمة الأذن . ومكانه : فاهل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذي يطبق للفاصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذي أشكوه من الضدري كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الضدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكفى بالحبيب للقتل : عن المرأة ؛ وبالحبيب المصمم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدي : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أي سيف الدولة - ولم أهجه لحي إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرمي ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالهجر بالانتقام ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والغنى أن حبي إياه منفي عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرميني وهو وراء جنة - ستره - من حبي تمنعني من أن أرميه .

(٥) يتعاده : ينتابه ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم في أحادية أسرع إلى تصديق ما توممه لما يجد من مثل ذلك في نفسه . وعبرة الواحدي : للسبي يسى الظن ، لأنه لا يأمن من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، قكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي بِشَهِدِ اللَّهِ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي قَاتِمَتِي

وَعَادَى مُجِبِّهِ بِقَوْلِ هَدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٌ (١)
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرَفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلَّمَ (٢)
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ (٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بروشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حاراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

(٣) يقول : وأصغح عن خليلي هلما بأني متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى وأعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَزَيْبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْيٍ وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ (١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أُظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ (٢)
بِالْحَزْمِ وَالْحَسْبِ أَسْدِيهِ وَالْحِمَةُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَالٌ يَرْعَى مِنْ رَحِمٍ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُؤْتَرَةً تَرْمِي عُدُوتِي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتَمٍ
إِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
ومن روى

وأحلم عن خلي وأعلم أني متى أجزاه يوماً على الجهل أندم
يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق في شيء

(١) رجل نيزب : وذو نيزب : ذوشر ونميعة ؛ والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) القرم ؛ الحقد والنيل . والحلم : أحد شق القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ بَدَلَ الْإِنْسَانَ لِي جُودَ عَابِسٍ
 وَهُوَ مِنْ الْفَتْيَانِ كُلِّ تَمَيِّذٍ
 خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
 وَلَا عَفَّةً فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ
 وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 فَدَى لِأَبِي الْمَسْكَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
 حَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (١)
 نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْعَرِيِّ الْقَوْمِ (٢)
 بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ (٣)
 وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ (٤)
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ (٥)
 سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ (٦)

(١) يقول: إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها، وقال ابن القطاع: صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بمجود التارك؛ ولا معنى للتارك، وإنما هو الباذل، ومعناه؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكانته.

(٢) السميذع، والسميذع؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع. والنجيب - الفاضل الكريم - ضد اللثيم - والسهمري؛ الرمح القوي الصلب وصدرة؛ مقدمه مما يلي السنان. يقول: أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم.

(٣) خطت؛ جابت وقطعت؛ والضمير من تحته؛ للسميذع. والعيس؛ الإبل البيض والسكبة؛ الحلة في الحرب - من قولهم كبه لوجهه؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب؛ طعنته في السكبة؛ طعنة في السبة، فأخرجتها من اللبة، فقيل له كيف طعنته في السبة؟ هي حلقة الدبر - فقال إن رمحه كان قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته، والخميس الجليل من خمس فرق. والعرمرم؛ الكثير. يقول: قد سافر كثير أو قطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها.

(٤) يقول: ليس بهفيف السيف والرمح، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماهم، وإنما عفته في كفه، لا يأخذ من مال أحد شيئاً، وفي فرجه لا يقرب الرنا، وفي فمه، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا أكل إلا من حل.

(٥) يقول: ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه
 (٦) فدى: خير مقدم؛ والكرام: مبتدأ مؤخر والأدم: الأسود. جعل الكرام

أَعْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّصَنَ وِرَاءَهُ إِلَى خُلُقِ رَحْبٍ وَخَلَقِ مُطَهَّمٍ (١)
إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةَ نَفْسَهَا فَقَفَتْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ (٢)
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْمَذْرُوعُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكْرُمِ (٣)
وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على آره . يعنى أنه
إمام الكرام وسابقهم .

(١) أعر : أى يأدهم أعر ، فهو نعت لأدهم ؛ ويعجد : متعلق بأعر ، وشخصن
رفعن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . يقول : إن هذا الأدهم أعر غير أن
غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأعر تنظر منه إلى
خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفه واحدة في مجلسه - وهو يتعاطى سياسة -
الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقولوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة .
وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضعيف
المساعى ، قليل التكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير
معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى حسنه ولؤم أصله
إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من مجنأ على ورود
المعركة ؛ أى أنه يموت الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى :
والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى
أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة التندلية
فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين . من باب التغليب . يقول : إذا
سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام انقاه الهواء والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ هَذَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْأَدَمِ (١)
وَيَوْمًا يَنْفِطُ الْحَالِدِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ (٢)
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَنْظُمُ (٣)
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِضْرَ مَا مِيرَتْ نَحْوَهَا
بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمُتِيمِ (٤)
وَلَا تَبَعَتْ خَيْلِي كِلَابٌ قَبَائِلِ كَانَ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَمَلَاتٍ دَيْلِمَ (٥)

فهو حينئذ ثابت في المركبة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرق (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتوثيقى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم
(٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى حرب الأعداء فأنتعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون للمعنى ؛ أى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لتعمق والتفيط لسكانى فيشققون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم : الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم ؛ جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُضِيِّنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْزَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ (٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب: إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا اتَّبَعْتُ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ (١)
وَمِمَّا بِهَا الْبَيْدَاءُ حَتَّى تَفْمَرَّتْ مِنَ النَّيْلِ وَاسْتَدْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ (٢)

وقال ابن جنى ؛ سألت أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أريد بالديلم الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأمكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذى يقفو الآثار - يقبها - والمنسم . خف البعير . يقول : إن الذى اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن المسير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويحلبوا الحيل ، ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]
خَصَفْنَا بِآثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرَا

(٢) فممرت : أى شربت قليلا من النمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستدرت . نزلت في ذراه : أى في كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : وممنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا - يعنى سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصار آثار الحيل والإبل كالسمة لها - أى العلامة - حتى وردت النيل - نيل مصر - ففصرت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحسب الأحباء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشمت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والده خان همدان حرض ووسيع - ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبني أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يَجْرُونَ البرود جراً صُهَبَ السَّيَالِ يَبْتَغُونَ شِراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلا .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر نقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نجدتها فى « الفضليات »

وَأَبْلَغَ بَعْضِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْ مِي (١)
 فَسَاقَ إِلَى الْعُرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَعَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجْمَعِمٍ (٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا
 حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيِكَ فَأَخَذَكُمْ (٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِي فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفِّي فِيهِمْ كَفُّ مُنْعِمٍ (٤)

أَخْنَأَ فَسَمَّاهَا النَّطَافَ فَشَارِبٌ قَائِلًا وَآبِ صَدِّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أوكثر - » وسماه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلغ : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصديه : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدرت بظل أبلغ يعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن الفرات - وزير الأسود حو لم يكن للتنبي مدحه قال ابن جنى : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جنى يحاول دائماً أن يوجه مدائح للتنبي في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء التنبي ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف . والمجمعيم : من قولهم جمعهم كلامه ؛ إذا عماء وستره
 ولم يأت به على الوجه الذي يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بلان ولم ينفضه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جنى ؛ هذا التنبي يشهد
 بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - نخذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو جرمان ؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعصان أو ذم وهجاء بالبخل والجرمان ، فأنت الحكم
 فيما تختار ؛ يعني إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيتى في قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بى وذنوك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُنْظَمٍ (١)
 لِمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا سُرُورَ مَحِبَّةٍ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ (٢)
 وَقَدْ وَصَلَ الْمَهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنُقٍ وَمِنْقَمٍ (٣)
 لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّابِئُ الْخَيْلَ كُلَّهُ وَإِنْ كَانَ بِالنَّيْرَانِ غَيْرَ مُوسَمٍ (٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم . قال الواحدي : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلوهمه وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) المصم : موضع السوار من الزند ، يريد أن «المهر» الذى أهدها إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخييل ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة — كما كشف عن ذلك فى البيت التالى — هذا : والمهر هو الصغير السن من الخيل ، و«الأنى» مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع اللؤث : مهر ومهرات . قال الريح بن زياد العبسى يمرض قومه فى طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتله لما قتل حذيفة بن بدر الغزارى :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
 مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوَى الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَمُحِبَّاتٍ مَا يَذْفَنَ عَذُوقَهُ يَقْدِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (١)
 (٤) أراد بالحيوان الرابئ الخيل : الإنسان ؛ والموسم : العلم . يقول : لك الخيل

(١) المحببات : الخيل تجنب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوقا ولا عذوقة — بالذال والذال — أى ما ذاق شيئا .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَبَّزْتُ نُثْنَيْهَا أَنْتَظَارَكَ فَأَعْلَمُ (١)
 وَلَسِكُنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَأَنْتُ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (٢)
 رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدَّتْ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمَسْلَمِ (٣)
 وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فَوَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلِمِ (٤)

* * *

وقال يذكر حُمَّى كانت تشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمَْا بِحَيْلٍ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلمة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان وإنما خصها بالذكر لكان ذكر اللهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقاى في الدنيا لجلت ثلثي ذلك القدار مدة انتظار عطاتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالُ يُحْلِدُنَا إِلَى الْأَشْيِبِ أَنْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكَبِيرِ (٢)
 البادر : السريع ؛ والمتغنم : الذي يغتنم الشيء . يقول : ما فات من العمر

لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرک ، فجدلى بحظ من يستعمل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضًا مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذابا إلى هوائك وموافقة لرضاك لأنى قدت نفسى إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك في كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعالم : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار وإخطاره بنفسه في طلب المعالى - ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولا أنه لا مطمع للأثم فيه بأن يطبعه أو يخذعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِيَامٍ (١)
 فَإِنِّي اسْتَرَيْحُ بِيَدِي وَهَذَا وَأَنْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ (٢)
 عِيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرَّتْ عَيْنِي وَكُلُّهُ بُغَامٌ رَازِحَةٌ بُغَامِي (٣)
 فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاةَ بِظَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدْيِي لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ (٤)

الغنى ملوم كما يحل من لو مكا ووقع فعال لوم كما فوق الكلام : أى الجراحات ، فالكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني وازكاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الياء» من ذراني ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بنير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمالكها ، ودعاني مع الهجير أسير فيه بنير لثام يقي وجهي ، لأنني قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحق فيهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به ويغتمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمدد ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتى صوتها ، كما تقول : إن فملت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلقى ، ومنطقى الفصيح : بغامها ، وقال التبريزى : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برقى النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مأه ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ حَيْرَانًا حَمْدُ حِوَارِمٍ كَرَامًا إِذَا عُدُّوْهُ وَفَوْقَ كِرَامٍ
 يَمْعُدُونَ بَرَقَ الْمُرْنِ فِي كِبَلٍ مَهْمِهِ فَمَا رَزَقَهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامٍ

يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي رَبِّي وَسَيِّفِي إِذَا احتَاجَ الوَاحِدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
 وَلَا أُمِّسِي لِأَهْلِ البِخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قَرِي سِوَى مُخِّ الدَّمَامِ (٢)
 فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامِ بِابْنِسَامِ (٣)
 وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِمَلِي أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ (٤)
 يُحِبُّ العَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الجَاهِلِينَ عَلَى الوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفازة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة لىامن بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سىفى يعنى : لا أستصعب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخر « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أمسى ضيفاً للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للنام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ، وىروى مخ - بالحاء المهملة - وهو صفرة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مخ . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بىض النعام شربته ولم آت بخيلاً .

(٣) الحب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعها يبشون يوجههم وكشهم منطو على الحبت عاملتهم بمثل ما يعاملونى به ؛ فهم يكاشرونى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودنى لم أكن على ثقة من مودته لعملى أنه من جملة الخلق . حكى عن التنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافر وأنشده يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدهما فى وجهى إلى أن تفرقتا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحمقى - لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رائق اللون وبى المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبقارها - أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » ، قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَنفُ مِنْ أُخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (١)
 أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ النَّامِ (٢)
 وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسُ أُعْزَى إِلَى جَدَّةٍ مُهَامِ (٣)
 عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَذْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكُهَامِ (٤)
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطَى بِلَا سَنَامِ (٥)
 وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَقَنْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٦)

(١) آنف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
 وقال آخر :

لئن فخرتَ بأبائكَ لهمُ شرفٌ لقد صدقتَ ولكنِ بئسَ ما ولدوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقع من الفضل

بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يعن عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم

يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبنا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم

السيف الذى فيه فلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة

الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضياً .

(٥) المطى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد

الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياها فى ذلك

الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل :

فى المنبت السوء « شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبيء المرعى

متى الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحُبُّ بِي اللَّطِيءُ وَلَا أُمَامِي (١)
 وَمَلَسَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنِي يَمَلُّ لِقِيسَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ (٢)
 قَلِيلٌ عَائِدِي سَقَمٍ فُوَادِي كَثِيرٌ حَاصِدِي صَمْبٍ مَرَامِي (٣)
 عَلِيلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ (٤)
 وَزَأْرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ (٥)
 بَدَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبْتُهَا وَبَاتَتْ فِي ظِلِّي (٦)
 بِضِيْقِ الْجِلْدِ عَن نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ (٧)
 إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّ لَتَنِي كَأَنَّهَا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ (٨)

أى لا عذر له في ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
 (١) الحجب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير في الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه في العام مرة واحدة ، لأنه أبدأ كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إنى بمصر غريب فليس يعودنى بها إلى القليل من الناس، وفوادي سقيم لتراكم الأحزان على ، وحصادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطابى - صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير اللدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهجوم
 (٥) وزأرتى : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلا - يقول : كأنها حية إذ كانت لا تزورنى إلا في دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز في جنبه علمان . والحشايَا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تبيت في الفراش ، وإنما تبيت في عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده طى من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

- كَانَ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ (١)
 أَرَأَيْتُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٢)
 وَيَصْدُقُ وَعَدُّهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْفَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ (٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ (٤)
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشُّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ (٥)
 أَلَا يَأَلَيْتَ شَمْرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٦)

النسل ، وإنما خص الحرام للفاقية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب النسل. وقال ابن الشعري: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع: سال انسكب : أى باربعة أدمع . يقول: إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تسكره فراقه فتبكي باربعة أدمع . يريد كثرة الرضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من اللوقين ، فإذا غلب وكثر جرى من اللعاطين أيضا . اللوق . طرف العين مما يلي الأنف ؛ واللعاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق ولا يفتن ، كمن أوعدهم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - : عندي كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : بهير اللجام ، والزمام : اللقود . يقول : ليت يدي علمت هل تتصرف بمد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أُرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ مُّحَلَّاتٍ الْمَقَاوِدِ بِاللِّغَامِ (١)
 فَرُبَّمَا شَنَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامٍ (٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ النَّخْمَرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ (٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ (٤)

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وبراقصات : أى يبذل تسير الرقص ، وهو ضرب من الحبيب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد يبذل تسير الرقص وقد حمد الزبد على مقاوده انصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخري :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلَّ يَعْظَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللِّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ (١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقفاة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقا تل فيسقى غليله بالسير إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الحطبة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل طى فم الإبريق ونحوه ليصق به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على تخلصت منه كما تخلص الحجر من النسيج الذى تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمعجلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا طى أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَدْمَى أَحْشَتَهَا وَانْعَمَ بِالزَّبْدِ الْجَعْدِ الْخِرَاطِيمُ

« تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأحشئها جمع خشاش ، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ أَكَلَتْ شَيْئًا وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (١)
 وَمَا فِي طَبِّهِ أَيْ جَوَادُ أَضَرَ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ (٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ يُفْتَرَّ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ (٣)
 فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيْرَعِي وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ (٤)
 فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرَضَ اضْطِبَارِي وَإِنْ أُحْمَمَ فَمَا حَمَّ اعْتِرَامِي (٥)
 وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَسِكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ (٦)

(١) و (٢) الجمام: الراحة . يقول : إن الطيب يظن أن سيب دأى الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبني وقعودي عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه في للرابط ، فيفتري وبني .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القلعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقتام : العبار وأزاد بدخول القتام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد - يعنى نفسه أن يثير العبار في الجبوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرعى طوله ، وهو جبل طويل تشد به فأمة الدابة وترسل في المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرعى له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتلف من الخلاة - التى تعلق على رأسه - وليس هو في اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفرائس ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا الثلث قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت في بدنى فإن صبرى وعزى باقيان على ما كانا عليه لم يمرضنا بمرض جسمى .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولسكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلِ الْمُرْحَى وَتَنْدِيَاهُ بِالْيَدِ (١)

(١) الطول : الجبل الطويل جدا ، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى .

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرَّجَامِ (١)
فَإِنَّ لِنَثَائِكَ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ (٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرْمُ
جَازَ الْأَلَى مَلَكَتْ كَمَاكَ قَدْرُهُمْ
أَيْنَ الْمَاحِمِ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ (٣)
فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ (٤)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ (١)

(١) السهاد . السهر والكرمى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحده رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مفضل : لا ترجوا قبرى أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حياتم من حالتي السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُقَادِ عَلَى شِمَالِ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) الماحم . جمع الحجمة ، وهى القاروة يحجم بها الجلد . والجلم . أحد شقي المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظنيان . فللك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خَلِّ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أُمَّةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ (١)
 سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ (٢)
 أَغَايِبَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتِ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَّةُ (٣)
 إِلَّا فَنَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْتِهَمُ (٤)
 فَإِنَّهُ حِجَّةٌ يُوَادِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْتَعَطِيلُ وَالْقَدَمُ (٥)
 مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُجْزِيَ خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّي زَعْمَرًا (٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر . رجاله عسكروه ، وبالأمّة التي لارحم لها . الأسود - كافورا - بوجهم بانقيادهم له ، يقول : لاشيء أقبح في الدنيا من رجل ينفاد لأمّة حتى تقوده إلى ما تريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنجخ فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمّة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمّة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمّة في العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمّتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمّة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لاشيء عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره في المملكة .

(٤) الهندي : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل في حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الِهُمُومُ (١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسْرَهُ بِأَهْلِهِ الجَارُ المَقِيمُ (٢)
 تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ وَالْمَيْدَى عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ (٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءِ حَدِيثُ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَا قَدِيمُ (٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ قَلَى عَيْبِدِ كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُمُ يَنْبِئُ (٥)
 كَأَنَّ الأَشْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ (٦)

تعالى قادر على إخراج الخليقة بأن يملك عليهم اثما ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدوم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخراج الناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافر - من يقتله ويبطل حجبتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الأثوم والأذى ، ليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بمجوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - ولوالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبتسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، وملاك المملوكون فالتبس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيدا أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبتسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراما (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا مَقَالِي لِلْأَخْيَمِيِّ يَاحْلِمِ (١)
 وَمَلَا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَثِيمِ (٢)
 قَهَلٌ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ (٣)
 إِذَا أَتَتِ الْأِسَاءُ مِنْ لَثِيمِ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسَيءِ فَنَ الْوَمِ (٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة ندى عليها اسم فانتك ، وكانت مما أهدها له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :

يُذَكِّرُنِي فَاتِكَا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النَّدَى فِيهِ اسْمُهُ (٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي ود ألبستها حجارة سود . واليوم : الطائر المعروف الذي يسكن الحراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خميس كثير الصيوب وشبه أصحابه أيضا بحساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهوًا » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول . يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة : عبي في منطقه عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبق إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان : عى ، ومن قال لابن آوى — وهو من الأم السباع وأخسها — بالثيم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً لم يكن لى فىهما اختيار ، كالتسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟
 (٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضع لثيم ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرِي أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَنَ الْوَمِ
 (٥) الند : عود يتبخربه ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجِدُّ لِي رِيحَهُ تَمَّه (١)
 وَأَيُّ فَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
 وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِمًا ضَمُّهُ (٣)
 بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ مَالَهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ هُمُ (٤)
 فَأَجُودٌ مِنْ جُودِهِمْ بَخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ خَدِيعِهِمْ ذَمُّهُ (٥)
 وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
 وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَسَكَتِ لَحْمِي سَقِيهِ كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « تممه » : لند.

(٢) المنون : اللوت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أي لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالما : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتك قتال : لفزعت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لم مالا كثيراً مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علوهمة ، وهذا من قول أشجع السلمي :
 وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
 وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعاً

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمد منهم . وقال العكبري :
 للمعنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئاً يهبه كان يعدمه من نفسه بخلا .
 قال : وقوله أحمد من أحدمم : أي لا يذم إلا بالأسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمد من حدمم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والغنى ؟

(٧) اللية : الموت ؛ والحمر : تذكر وتؤنث ، فن ذكرها ذهب بها إلى التبيذ . يقول : إن اللية كانت منه تنبث في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبصارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَأْوَاهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَمَّهُ (١)
وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ (٢)

وقال يذكر مسيره من مهر وبرنى فانسكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نَسَارِي النَّجْمِ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفِّ وَلَا قَدَمِ (٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالحجر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جنى : يعنى أن الزمان أتى من موته بما فيه تقضى
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجه
عند ابن جنى أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » - حلى ما ذكر
في تفسيره - وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذي قبله : إن اللوت الذي أصابه هو
بمنزلة الحجر سقيها الكرم : أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذي عبه - يعنى الحجر - هو ماء الكرم فعبه ، وذلك الذي ذاقه هوللوت
وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدى : والمعنى حلى ما قاله ابن فورجه
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الحجر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذي ذاقه من طعم الحجر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك »
لما أهلكه . فشرب شراب اللوت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أى خليق وجدير . يقول : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* كَلَى النُّفُوسِ جِنَايَاتٍ مِّنَ الهمِمِ *

(٣) حتام : هى « حق » و « ما » ، حذف ألف « ما » لامتزاجها بـ « حق » - وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهَا فَقَدَ الرَّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنِمَ (١)
 تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللَّمَمِ (٢)
 وَكَانَ حَالَهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ (٣)
 وَتَتْرُكُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَاسَرَ فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ (٤)
 لَا أَبْيَضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا
 قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ (٥)

استعمالها، ويجوز إثباتها على الأصل. ونسارى: تفاعل — من السرى وهو السير
 ليلاً — والنجم: اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون »، والواو
 من « وما سراها » — حالية، والخف للبعير: بمنزلة الحافر للذابة. يقول: إلى مق نسرى
 مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا طلى قدم كالناس
 أى أن النجوم لا يصيبها السكلا من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا.

(١) فاعل « يحس » الأولى؛ يعود على « الفجم »، وفاعل « يحس » الثانية:
 غريب. يقول: إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
 يسرى ساهراً: يعنى نفسه.

(٢) العذر: جمع عذار، وأصلها، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هنا ط لفة
 والعذار: جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » والمم: جمع لمة، وهو الشعر
 المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالنكب. يقول: إن الشمس تغير ألواننا فتسود ووجوهنا
 البيض؛ ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض، وهذا من قول أبى تمام:

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسُودِ

« القسما — بفتح السين وكسرهما — الوجوه »

(٣) الحكيم: الحاكم؛ واحتكنا: تحاكننا. يقول: لو احتكنا إلى حاكم من حكام
 الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
 الوجه ولا تسود الشعر، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس.

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. يقول: ونجعل
 الماء لا يزال مسافراً؛ إما فى السحاب، وإما فى قربنا، لأننا نغترفه من السحاب فتودعه
 روايانا.

(٥) العيس: الإبل. يقول: ليست الإبل يغيضة إلى، فليس إتاعى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بِنَاءً مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمَ (١)
تَبْرَى لَهِنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تَعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْحَاةَ بِاللُّجْمِ (٢)

بنضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المهزون : يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفيه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، وأسكن البناء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ (١)
ومرقن : أى خرجن - من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حشنتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ (٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطرود يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تبرى ؛ تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* تَبْرَى لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأُشْمَلِ (٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تبرى الحيل للعيس وتعارض أزمتهما باجمها وأعنتها ؛ أى تبارها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لهو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع: قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الصرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو

مبيضا - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غَلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضًا الْأَيْسَارِ بِالزُّلْمِ (١)
 نَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمِ (٢)
 بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَانُونَ مَنْ لِحَقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنَّعْمِ (٣)
 قَدْ بَلَّغُوا بِقِنَائِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهَمِّ (٤)
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيْبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ (٥)

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقينا : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويجمعون على اليسر . والزلم : السهم من سهام اليسر . يقول : سرت من مصر في غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى القاهرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقي على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلمة كذا ألقوا عمامتهم التي على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم : يعنى أنهم مرد لم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس - كما بين ذلك في البيت التالي .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفحة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : الماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صالحك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا - بالتشديد - مبالغة في بلغوا - بالتخفيف - ورواها بعض الشراح بلغوا - بالتخفيف - وقال في تمليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا - بتخفيف اللام - والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمهم :

(٥) الضمير في « به » للقنا . يقول : هم - أبدا - في القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصالحك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَمَلُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبِهِمِ (١)
تَمَخَّدِي الرُّكَّابُ بِنَا بِيضًا مَشَافِرُهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرَّغْلِ وَالنِّيمِ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ نَبِي نَمْبِتِ الْكُرْمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للبنى أنهم لتمرهم في الحرب والقتل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهي ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهيم : جمع بهيمة ، وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لاتنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال اللاتزي (١) .

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَابِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ (٢)
خذت الناقة تمخدي . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعي .

حَتَّى غَدَّتْ فِي بِيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمَبَاةِ تَمَخَّدِي وَالثَّرَى عَمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والنيم ؛ نباتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهي بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جنى : لأنها لاتترك رعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين المتنين

(٣) كم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السباط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بقرة وحشية تقدم ذكرها ، ومباةتها : مكمنها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح للباة لما نون طيبة ، وكان حضا الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُبَاعٍ قَرِيعِ الْمَرْبِ وَالْعَجَمِ ^(١)
لَا فَاتِكَ آخِرٌ فِي مِصْرَ تَقْصِيدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ ^(٢)
مَنْ لَا نُشَابِيَهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْءٍ أَمْسَى نُشَابِيَهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ ^(٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْحُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الحوف قد كتم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في
منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأمدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا مِنَ الطَّلْحِ تَبَغَى مِنْبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد
عنباً » .

(١) القريع : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريبا لذلك ، ولأنه يقرع
الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارِضَ الشُّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانِ عَارِضِ الشُّوْلِ جَافِرٍ ^(١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد
العرب والعجم ا وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده فقصيدُه ، وليس له خلف مثله
كرما وشجاعة ، فقوله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم
أنته بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرمم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له
شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات
فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جفرف هو جافر وفي الأثر أن
علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً في الشمس فقال : قم عنها فإنها جفرفة : أى تذهب شهوة
النسكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

هَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الدَّمِ (١)
 مَا زِلْتُ أُضْحِكُ، إِبْلِ كَلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بَدَمِ (٢)
 أَسِيرُهَا بَيْنَ أَحْضَانِمْ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
 حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَابِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددى فى الدنيا كفى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على الدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبل - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها بما يضحك لضحكك إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفى الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم فى قصده أو فى المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أى أسير عليها .
 وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للعبود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع - التثنية ألف الوصل فى أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه فى الضرورات - أى الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفِّفِ فَقَالَ لَهُ إِعْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعُهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون فى أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامى :

الضَّارِبُونَ عُمَيْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمَثَلِ يَوْمَ مُمَسِّرِ ظَلَمٍ هَادٍ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبْدَأُ بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ (١)
أَسْمَعْتَنِي وَدَوَّأَنِي مَا أَشْرَتَ بِهِ (٢)
مَنْ اقْتَضَى بِسُورَى الْمُهَنْدِي حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلِمُ (٣)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةَ طَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِثِّي وَمَنْ جُعِلَ (١)
وَكَقُولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْثُ وَتَكْتِيرُ الْحَدِيثَ قَمِينٌ (٢)
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنيين وقال الحليين للتخلص من الضرورة وكذلك
الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) المكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأعلام . يقول : قالت لي
الأعلام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم أكتب بنا ما ضلت بالسيف وما تقول من
الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا
من قول البحتری :

تَمَنُّوْ لَهُ وَزَرَّاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْجِدَ الْقَلَمُ
(٢) هذا جواب منه للأعلام ، يقول — لها — : أسمعني قولك ، والذي أشرت
به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها صار دأى هو
قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .

(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأعلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب
حاجته بغير المهدي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجمل — بضم الجيم
وسكون الليم — اسم امرأة .

(٢) نث الحديث ينثه ثا : أنشاء : أي جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير
حظ على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سيرا فإني كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهُمَّ الْقَوْمُ أَنْ الْعَجْزَ قَرَّبْنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ (١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِمَةً بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين النبي وخصومه: كان الواجب أن يقول: عن هل بلا. لأن الطالب بغير السيف يقول: هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المسئول: لا، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي: قال الواحدى: وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبي، وقلة فهم من القاضي، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ«هل» بـ«لا»، لأن للمتضى حجاب ليس هو الحبيب، والذى أراد للمتنبى أن الناس يسألونه: هل أدركت حاجتك؟ هل وصلت إلى بغيتك؟ فيجيب ويقول لم أدرك، لم أبلغ لم أظفر، لم أصل إلى ما أطلب هذا، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما، وقال ابن جنى: جعل «هل» و«لم» اسمين فجرهما و«هل» حرف استفهام و«لم» حرف نفي، قال: ويجوز أن تكون الكسرة فى «لم» كسرة الساكن إذ احتسب إلى تحريكه للقافية. كقول النابغة * وكان قد (١) وحكى الخليل قال قلت. لأبى الدقيش — الأعرابي — هل لك فى ثريدة كان ودكها عيون الضياون؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه (٢)

(١) يقول: إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال: ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه.

(٢) الإنصاف: إعطاء الحق. قال ابن الأعرابي: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى، قال: وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك،

(١) قطعة من بيت هو:

أزِفَ التَّرْحَلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهرى: أبو الدقيش كنية واسمه الدقيش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقيش؟ فقال: لا أدري قلت: ما الدقيش؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو؟ قال: إنما الكنى والأسماء علامات، وقال أبو زيد. دخلت على أبى الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش؟ قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وأنا فى زمان سوء، زمان من وجد لم يجد، ومن جاد لم يجد. والضياون جمع ضيون: السنور الذكر أو دويبة تشبهه.

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدِي نَشَانٍ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذْمِ (١)
مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفَرْتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ (٢)
صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكُزْمِ (٣)
هُونٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنِ كَالْحَلْمِ (٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعَلُ
(١) الخدم : جمع خذوم : أمي القاطع : يعني السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت في صحبة السيوف ، يعني إذا لم
ينصفوا فإني لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أي حده فاعل قاضية : يقول : من
كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقاضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
وناقة كزماه : قصر خطاها ، يقول : صننا قوائم السيوف فما وقعت إلا في أيدينا التي
لا لؤم فيها ولا قصر : يعني أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فنتقع في أيديهم التي هي مواقع اللؤم والقصر عن
بلوغ الحاجة ،

(٤) ماشق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ماشق عليها النظر
إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه في الحلم . لأن ماتراه في اليقظة شبيه بما تراه في
النمام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
فيكون المراد الشيء الذي يشق البصر ويفتحة باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
للبصر ، وعلى الرواية الأولى له « ما » . قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — في غاية الفسآء والبعد عن الصواب
وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَنْشُمِيَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفِرْيَانِ وَالرَّخْمِ (١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَشْتُرُهُ (٢)
 وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ نَفْرٌ مُبْتَسِمٍ (٣)
 وَأَعْوِزَ الصَّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسْمِ (٤)
 فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلْمِ (٥)
 وَسَبْرٌ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الْخَطْمِ (٦)
 فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ (٧)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وشدة فتشمته بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الفريان - جمع غراب - والرخم
 جمع رحمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرك منهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداع . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متقلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهلكا واطعامها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاء لدركها أما كمن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها .

(٥) الخطم - بالضم - جمع حطوم ، وبفتح الطاء . جمع الحطمة : أي التي تحطم
 من ألت به . وصبر جسمي : يروي : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيح في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ (١)



وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَايَرْتَ نَثْرَهُ دِيمَا (٢)
كَأَنَّمَا مَانِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرِّ حَاوِيٍ مِثْلَ مَائِهِ عِنَّمَا (٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلة أذال يضيع الوقت بصحبهم؛ وليت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فسرم وأناهم بما يلرحون ، ونحن أتيناها وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسقى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوْنَا إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُحْتَرَفًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرُوفِ
وقد نظر المتنبي فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَدَّعُ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أُوْدَى بِهِ الْخُرُوفُ (٢)
نثره . أى منثور - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى اللطير الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مانج : يروى مازج ، والغم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَخْصِ الْبِنَانِ كَأَنَّهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُمَقَّدِ (١)
يقول : كأن الهواء - وهو مانج بهذا الورد عند نثره بجر من الغم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بجر قد حوى الغم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
 وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَلَ الضِّيَاعَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِقَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
 فَلِيرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَأَ يَدُهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
 وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكِرَامًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها في أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد في قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابقات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الحرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل في تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها في الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى والذي ينثر الخيل - أى يفرقها - في الضياع فينظمها بها ، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثانٍ لـ « يرنا » ، والضمير في « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذته : رقاها رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معلقته ، وصدوره :

* إِذَا مَا الثَّرَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ التَّمِينِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى (١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فترك
وقاية لكرمه من أعيينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفاً : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يمان »
من قولهم عين الرجل فهو معين ومعينون : إذا أصابته العين - وقوله أصاب عينا إلى آخره
دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات في نثر الورد غير مليحة ، وليس التنبي من أهل
الأوصاف ، قال العكبرى : إنما التنبي ممن يحسن الأوصاف في كل فن ، وإنما هذا الذى
يأتى له فى البديهة والارتجال - أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به .
ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثلاثمائة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفا، فتهيبتهم أصحابه، فأشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَمَّا مَمْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَا كِنِهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْأَخْدَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيَّهَا السُّكْمَاءُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْفَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُمَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسْتَى الْإِلَآهَ وَلَا يُكْفَى^(٣)

(١) المني : المنزل الذي كان به أهله فني بهم . لما قال زور والزيارة تقتضى المحبة
فني أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : زور هذه الديار على غير محبة
لغنى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير
ما كنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) اللدى : الغاية . والسكامة : جمع كى ، وهو البطل المستتر فى السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفي : نمحص . وأراد بالذى يكفى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفي ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكفى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكفى به يقول : نصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنىت
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبرى - كانت
تكفى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل الصغير (١) » .

(١) الصغير تصغير النمر ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار
المصافير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نمر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَاتَرَ كُنَّا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدْنَا^(١)
 وَأَنَا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَحَ فِي الْوَعَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ^(٢)
 قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقَلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمَّنَا^(٣)
 وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدَسُنَ مِنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا^(٤)

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أي فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوعى : الحرب . يقول : إذا صار اللوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرمح والضرب بالسيوف : أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاؤه مرفوع بـ « حبيت » : أي المحبوب لقاؤه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يجب لقاؤه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « الميم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة والأمة النحر في هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أي جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أي اقرب و « ها » للتنبية ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاتين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لسكا ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر الميم - وفي التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجال ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والهاء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركت الهاء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أي لا أعطيه .

(٤) يريد بالخييل : خيل العدو ، وحشوناها الأسننة : أي جعلنا الأسننة حشونا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أي الخيل - أي خيل العدو - أي اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا (١)
 تَمَدَّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَلِيشَ لَمَسَةً نُبَارَ إِلَى مَا نَشْتَهِي بِدُكِّ الِئْمَنِ (٢)
 فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسٌ نُتَبِّعُ الْبَارِدَ الشُّخْنَا (٣)

« يصفه بالطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى صحبته : أى طبيعته . وقد أخذ
 المتنبي قوله حشوناها الأسنه من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجَدُّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرَ يَهْوَى قَدْ حَشُونَاهُ نَمَلِبَا
 « يقال للقتيل ركب ردهه : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطيح
 بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ،
 فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربيين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل
 ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى
 « حشئن » ونحوه .

(٢) تمد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع
 يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا منهم
 دنو اللامس من اللامس سابق يدك النبي إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن
 الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى في تفسيره
 الغريب من هذا البيت : المبارة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه
 واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكيت .

قبیح بِمَثَلِي نَمْتُ الْفَتَاةِ إِمَا ابْتِهَارًا وَإِمَا ابْتِيَارًا
 ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمى : بار يبور
 بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان
 كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، افعال - من برت الشيء أبوره :
 إذا خبرته - وأنشدوا بيت الكيت هذا ، وقول الكيت « إِمَا ابْتِهَارًا وَإِمَا ابْتِيَارًا » أى
 إما بهتان وإما اختبارا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكناه
 وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم
 فإذا برد ماسفكناه أتبعضه دما طرياحارا .

وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا^(١)
فَمَنْهُ الأَلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةٌ وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَدَهُ أَغْنَى^(٢)
يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْمَلَأَ وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضِي مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَذْنَى^(٣)
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدَّمَاءُ وَلَا اللُّهَى وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى^(٤)
وَمَا انْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا^(٥)

* * *

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن - بفتح اللام - ورماح لدن - بضمها - يقول : إن كنت فيهم سيفا قاطعا فدعنا تقدم إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيف . قتل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفا ، فتهيب جيشه للمسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننزق عن الجيش ، فما تجمل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الدين ؛ ولا نأتى : لا تقصر ، ونصرة : تمييز . يقول : نحن الذين لا تقصر في نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغثت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأذنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بمخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الأدنى ، فكأنه يقول أفيك بنفسى .

(٤) اللها : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ، لأن الدماء إنما تجرى بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجرى بجرودك ، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أرغهم على الذهاب إلى الروم ، فخافوا خوفا منهم على أنفسهم . يقول : الخوف طى الحقيقة ما يراه الإنسان خوفا ، فإن خاف شيئا غير مخوف فقد صار خوفا ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛ وهذا من قول دعبل :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَنَ لَدَيْهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقْبَحُ

وقال بمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج وربها وفرساً ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نَشِرَتْ كَانَ الْهَبَاتُ صَوَانَهَا^(١)
تَرِينًا صِنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا وَتَجَلُّو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَامَهَا^(٢)
وَلَمْ يَكْفِنَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَحَدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا^(٣)
وَمَا أَدْخَرَتْهَا قُدْرَةٌ فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا^(٤)
وَتَمْتَرَاهُ بَسْتَمَوِي الْفَوَارِسَ قَدَّهَا وَيَذُ كِرْهًا لِرَأْيَا وَطِعَانَهَا^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل لصل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتنى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، وإنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومتديل كان هبة أيضا ، كما قال
فى موضع آخر :

• أولُ مَحْمُولٍ سِبْهِ الحِمْلَةِ •

(٢) الصنَاع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقِيَان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى ترينا إيام فيها ،
وترينا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكنتف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئا إلا صورته ماعدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصنَاع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئا هو فى وسع للصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم - فى البيت الأول - . وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد فناة سمراء ، واستغواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار مجزم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذ كبيرم
السكر والطمع .

رُدَيْبِيَّةٌ تَمَّتْ فَسَكَدَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا زُجْجًا وَسِفَانَهَا (١)
 وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَعَانَهَا (٢)
 إِذَا سَايَرْتَهُ بَايَنْتَهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا (٣)
 فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانَهَا (٤)
 وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا (٥)
 وَمَالِي ثَنَاءٌ لَا أَرَاكَ مَسْكَانَهُ قَهْلٌ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا (٦)

(١) رديبية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسانان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الصرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الخال والأُم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقها . يريد أن الفرس كانت قبيلة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانته : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتها عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهو تشين للمهر بقبحها ، ولانها أمه ، والمهر يزينا بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا هديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) العنان : سير الالجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعتت عليها وقرطت عنانها (*) يبدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه رجه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، قهْلٌ لك نعمى - نعمة - لا تعرفى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مد يده بالعنان لجملة على قذان فرسه ، وهى تخضر تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فباع الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :

حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذْمُهَا النَّاسُ وَيَمْحَدُونَهُ^(١)
يَأْمَأَ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِنَهُ أَمْ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ^(٢)
أَمْ انْتَجَعْتَ لِلْفِي يَمِينَهُ أَمْ زَرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ^(٣)
أَمْ حِشْتَهُ مُحْنَدِقًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ^(٤)
يَأْرَبُ لُجَّ جُمَلَتِ سَفِينَهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَقَّتْ عُونَهُ^(٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فنفعت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فغظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بمحص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوي على دارك . فأمر به فأخرج بنفسه ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) المعين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونهوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الاتجاع : طلب للرعى ، ويقال اتجعه : أى قصده يطلب معروفه . والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمة وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ التَّهَى عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى بِمَا شَجَاهَا قَطِينُهَا

يقول : أم حشمة تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيته زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الحندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم حشمة لتحفر خندقا لحصونه منعا للعدو ؟ لاجابة به إلى الحندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتمنيه عن الحنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ^(١) وَشَرِبَ كَأْسَ الْكُفْرَةِ رَيْنَهُ^(٢)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ^(٣) أَيْنَهُ^(٤) وَضَمَّتْ أَوْجَهَا عَرِينَهُ^(٥)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا^(٦) جَبِينَهُ^(٧) يَقُودُهَا مَسْهَدًا جُفُونَهُ^(٨)
مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ^(٩) مُشْرِقًا بَطْفَنِهِ طَمِينَهُ^(١٠)
• عَفِيفَ مَا فِي تَوْبِهِ مَأْمُونَهُ^(١١) •

البيد والعون : جمع غناة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفا : أخذتها وافية ، وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فمكّن له كالسفين ، ورب روض بيد الراعى أهلكت خيله حمره وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون - يعنى عاصيا متمردا مغرورا بهمه - أذهبت الخيل جنونه : أى أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع بمعنى الشاربين - أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رينهم - أى صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على « شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ المُسْمَعَاتِ الشُّرُوبِ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكُتَنِ^(١)

(٢) الضمير فى « غنائه ، وأيننه » للشرب ؛ والضميم : الأسد ، والعرين : مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غنائه الشرب وطربه أيننا ، لما ألم به من قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطنتها وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطنت خيله جبينه وهو يقودها إليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طمينه : مطمونه . يقول : إذا طمن إنسانا شرفه بطمعه إياه ، لأنه رآه أهلا للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وسماه الكتن للضرورة . قال ابن سني : لم أسمع الكتن فى الكتان إلا فى شعر الأعشى ، وللمسمعات : المغنيات جمع مسمة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيْمُونَةٌ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَةً^(٢)
 * شَمْسٌ تَمَسُّ الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَ^(٣) *

إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِنَسْتَعِينَهُ يُجِيبُكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

* * *

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرُّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوْلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرْقٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير المطاء — بصخر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمس أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى المدوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف — مستعينا — أجايبك قبل إتمام سبين
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدوح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في «نفسه» للمدوح ،
 وفي «دينه» لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استثناء . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أنت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — فى
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) ها : فاعل محذوف يسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، حذف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل ، يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَىٰ أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ (١)
 لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أذُنِي ضَيْغَمًا أَدْنَىٰ إِلَىٰ شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ (٢)
 وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الْفُؤُوسُ وَدَبَّرَتِ أَيْدِي الْكِمَاةِ عَوَالِي الْمِرَانِ (٣)
 لَوْلَا سَيْئُ سَيْوفِهِ وَمَضَاوُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنَّ كَالْأَجْفَانِ (٤)
 خَاضَ الْحِمَامَ بَيْنَ حَتَّىٰ مَا دُرِّي أَمِنْ اِحْتِقَارٍ ذَاكَ. أَمْ نِسْيَانٍ (٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من المرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
 الذل والضميم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .
 (١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفء في الحرب ، يؤكد
 تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
 أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيغم : الأسد ، والمراد بأذني ضيغم : أدون ؛ فأذني : أخس وأدون .
 وأذني إلى شرف : أي أقرب . والكماة : جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
 والعوالي : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
 بالعقل ، فالأدنى أفضل من الهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
 المأمون : الأجزاء أضعاف لحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لالحم أطيب من لحم .
 وقوله ودبرت : أي ولما دبرت أي إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
 ولولا العقل ما عرفت الأيدي تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
 بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستأقت أموالاً ورجالا ، فباتت
 حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، فقيل لعلام منهم : كيف صنع قومك بجوافر الخيل حتى
 لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جعلوا المران أرضية الموت ؛ فاستبقوا بها
 أرواحهم .

(٤) سمي سيوفه : يعني سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
 السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
 كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب
 الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
 إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام - الموت - بسيوفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعَلَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ (١)
 تَخَذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ السَّرُوجَ مَجَالِسُ الْفَتَيَانِ (٢)
 وَتَوَهَّمُوا اللَّمْبَ الْوَعَى وَالطَّمَنُ فِي الْمَهْجَاءِ غَيْرُ الطَّمَنِ فِي الْمَيْدَانِ (٣)
 قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّمَانِ وَلَمْ يَقْدُ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ (٤)
 كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُفِيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ (٥)
 إِنْ خَلَيْتَ رُبِطْتَ بِآدَابِ الْوَعَى فَدَعَاؤَهَا يُعْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ (٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودري : مجهول «دري» لغة طيء . وثاني مفعولى «دري» محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : ف «أهل» فيه للمهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تخذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى آياته عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوعى والمهجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطمن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لمب : أى إذا لعبوا فى الميدان فظاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطمن فى اللب غير الطمن فى الحرب ، لأن طمن اللب طمن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجدد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من للمركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقه : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوعى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرح من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غِبَارُهُ
يَزِي بِهَا الْبِلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ
فَكَانَ أَرْجُلَهَا يَتْرَبُ مَنبِجٌ
حَتَّى عَبْرَنَ بَارَسَنَاسَ سَوَاحِمًا
يَقْمُضَنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ
فَكَأَنَّمَا يُبْعِرُنَ بِالْأَذَانِ (١)
كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانَ (٢)
يَطْرَحُنَ أَيْدِيهَا بِحِصْنِ الرَّانِ (٣)
يَنْشُرُنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانَ (٤)
يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخِصْيَانِ (٥)

فكانها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جنى : وهذا كقوله .

تَمَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعْفَةُ شَعْرُهَا وَنُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسماً نظرها ؛ ولما سكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكانها تبصر بأذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحرى :

وَمُقَدِّمُ الْأُذُنِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِيهَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعدها مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جنى : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أر سناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد : لسرعتها في السباحة — تنتشر عمامة فرسانها . .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدى : جمع مديّة — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدي — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدي من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصى لتقلص . خصيته لشدة برده

وَالْمَاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ (١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْعَجِينِ حَبَابُهُ وَنَفَى الْأَعْنَةِ وَهُوَ كَالْمَقِيَانِ (٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينِ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَيْزِ قَوَائِمِ عُنْمِ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ (٤)
 تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الْخَيُْولُ كَانْهَأ تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَايِضُ الْفِزْلَانِ (٥)

(١) العجاجة : العبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جنى : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب إليه ابن جنى . قال ابن جنى : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، ولما ثور العجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى التنى - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو الماء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والمقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبابه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معايدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماضى ، والضمير للماء . وعادية : أى راحة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عاداتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَرَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ
فَتَرَ كَتَبَهُ وَإِذَا أَدَمٌ مِنَ الْوَرَى
رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي حَمْدَانَ (٧)
ذِمَمَ الدَّرُوعَ عَلَى ذَوِي التَّيْجَانِ (٣)
مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (٤)
أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ (٥)
يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالًا كُلُّ مُطَهَّمٍ

مرايض لها ، هذا : والمرريض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاج يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أرباضاً لها أرى من معدن الصيرين عذملى (١)
(١) و(٢) بحر أى هو - النهر - بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه .
والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق .
وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف لدلة بحر تعود أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٣) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللوح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجزته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والذمم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين يتقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيفوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها جعل سيفوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وخفامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا (٥) التقيلى : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها أرى : أى لها آخية من مكانى البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت . وقد تسمى الآخية آريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدلى : القديم

خَضَعَتْ لِمُنْصَلِكِ الْمَأْصِلِ عَنُودَ^(١) وَأَذَلَّ دِينِكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ^(٢)
 وَطَلَى الدَّرُوبِ وَفِي الرَّجُوعِ غَضَاضَةً^(٣) وَالسَّيْرُ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٤)
 وَالطَّرْقُ ضَيْقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا^(٥) وَالكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ^(٦)
 نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهَا^(٧) يَصْعَدُونَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْعِقْبَانِ^(٨)

والظلم القديم من النعام . والريقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : القديس .
 يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعني أنهم مثل
 البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيولة - لجأوا إلى ظلال خيلهم .
 ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقة السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :
 وهذا من قول امرئ القيس :

بمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٌ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
 إِنْ طَالَ لَمْ يَمْلِكْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَهَا لَمْ تَوْجِزْ
 شَرِكُ الْعُقُولِ وَتَرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطَمِّنِ وَعَقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير الذي أسلفنا ،
 قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين
 في الشرف والسبق إليه كالفرس المظهم . وقال ابن فورجه وابن القطاع : إنما الراوية
 يتقيلون ، يعني أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أي
 التقشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنود : أي قهرا .

(٢) و(٣) و(٤) و(٥) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الغلة والمار - أي ما يفيض من الإنسان ؛
 والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ؛ وهي القطعة
 من الحديد والمراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَاسٍ بِمُحْيِي الْجَمَامِ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَّانِ (١)
 مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ (٢)
 خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّهَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانٍ (٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصدروا علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والمغاضاة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واعتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعدنا مناكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رؤسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشبهاله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَآيَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلاً :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تَمَطِّيه الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهيراً جعل المدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبي هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتأبئة . والذرى جمع ذروة ، وهي أعلى كل شيء . يقول : ما زلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعلى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المصروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جنى : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجمام : جمع جمعة ، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَطَّوُونَ كُلَّ حَنِيصَةٍ مِرْنَانَ^(١)
يَفْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً يُمْتَقِفُ وَمُهَنْئِدٍ وَسِنَانَ^(٢)
حَرُمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمْ أَمَالُهُ مِنْ عَادَ بِالْحَرَمَانَ^(٣)
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهَجَّةً نَائِرٍ شَفَلَتْهُ مُهَجَّتُهُ عَنِ الْإِخْوَانَ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا يتعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مديرين يطوان في هزيمتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلا : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطرياتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملاوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركا أملا ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشيء : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أملاهم منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشيء تأميلا ، وأملته أملاه أملا .

(٤) المهجة : الروح . والنائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب نائر شفلته صيانة روحه عن إدراك نائر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك نائر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظهره مجاه محض ، لأنه يقول : شفلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية المحجو ، لأن العرب مهدت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة نائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ
 وَمَهْذَبٌ أَمَرَ التَّمَايَا فِيهِمْ
 كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَامِي (١)
 فَأَطَاعَتْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)
 قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ
 فَكَانَ فِيهِ مُسْفَةَ الْغُرَبَانِ (٣)
 وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي
 فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ (٤)
 إِنَّ الشُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
 كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ (٥)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أي بالهوى .

(١) العواد : للمعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والقاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد طاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعني سيف الدولة — أطاعته للتأيا في إهلاكهم — أي الروم — وهذه الطاعة : أي طاعة التأيا له هي طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد في سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضمير في قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكان الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغبان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحمره . وأصله الهمز فلينه لتضريع . والنارنج : معروف . يقول : لما بمر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج في الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفزعون في الحرب ، كما لا تفزع هي ولما ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلُهُ
 قَالَ ابْنُ جَنَى : قَوْلُهُ إِنَّ السِّيفَ مَعَ : يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى النَّصْرِ وَالْمَوْثِقَةِ ، كَمَا تَقُولُ : اللَّهُ
 مَعَنَا : أَي مَعِينٌ وَنَاصِرٌ ، وَبَلِيَسْتُ فِي مَعْنَى الصَّحْبَةِ ، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهَا

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدَّهُ (١)
 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ (٢)
 أَنْسَابُ فَنَحَرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا (٣)
 يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ (٤)
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَّ دُونِكَ نَاطِرِي
 مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ (١)
 قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ (٢)
 أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانَ (٣)
 أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ (٤)
 وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَّ فِيكَ لِإِسَانِي

وقال في صباه في المكتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسْمًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ (٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبّر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العماد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال: فلان رفيع العماد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أئافى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتنى بإحسانك حتى قتلتنى : أى امتعبتنى بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبله إبلاء . والأسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ^(١)

المهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له «أبلى» ويجوز أن يكون معمول المصدر الذي هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومنى لإبلاء المهوى البدن : إذهابه لسه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح المهوى إنما يشتد عند العراق . والمهوى عذب مع الوصال ، سم مع العراق ، كما قال السري الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أَرِيَّةَ مَا لَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أرية : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى المهوى يبدني إلى الأُسْفِ والمزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفني والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تكبير الروح - وأن تجعله مضارعا - على تأنيها - وأصله تردد - بتاءين - فحذفت إحداهما للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجيء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرانى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرانى أبو بكر الشعمرانى خادم التنبى : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أُبْقَى المَهْوَى والشَوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فى خِيَالِ
خَفِيْتُ عَلَى النَوَائِبِ أَنْ تَرَانِى كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّى فى مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والمكبرى - كثير قد آلت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِى المَهْوَى بَرَى المَدَى وَأَذَابِنِى صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتُ أُنْحَلُ مِنَ أُنْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أُرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هِبَاهُ الدَّرِّ فى أُنْقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ نَوْلًا مُخَاطَبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي (١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛
وأنتي رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — اصاحبه — : كفاني فعل
النحول بي أنتي رجل لو لم أتكلم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال
أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَذِّى حَىٰ إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وأصل هذا المعنى قول الأخطل :

ضفادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطتنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تليقته النحوية
على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يعر « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى
باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك
ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبي » وصف لرجل ،
و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال :
لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » لماعلت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ،
وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله .
والمعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا (١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا
بمادل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « لولا » ، والتقدير : كفى
بجسمي نحولا انتفاء رؤيق لولا وجود مخاطبي ، و « نحولا » نصب على التفسير ،
والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيفا تفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حَبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لاتقاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لخب
النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى
بجسمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بجسمى » مفعولا ، وإنما زيدت الياء في
نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك يزيد ، وأما قوله :
« أنتي رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر
الموطن هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا
عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة
بصفته ، فالخبر كالتزييد في الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » في « مخاطبتي »
و « ترى » إلى الياء في « أنتي » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن
« الياء » في « أنتي » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما
كان هو الياء التي في « أنتي » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى
كان قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذي » في قول علي عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ * (١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في
القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل
النبية ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أتم » في الخطاب
ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير
ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى حَلَى فَمَتَّبَعَنِي بِهِ الْجَاهُ أُمُّ كَنْتُ اسْرَأً لَا أُطِيمُهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعل بن أبي طالب
رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَةَ كَلَيْتُ غَابَاتٍ غَلِيظِ الْقَصْرَةِ

* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكبال كبير ، وقيل اسم
امرأة كانت تمكيل كيلا واقيا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةٌ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَسَقِيُّ الَّذِي
أَدَخَرْتُ لِصِرُوفِ الزَّمَانِ (١)
وَتَجِدِي بِدُلِّ بَنِي خِنْدِفٍ عَلَى أَنْ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ (٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاعة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفق : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتي تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلیاس بن مضر ، ينسب إليها أحد نخدى مضر . يقول : إن شرفي يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلیاس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابحة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابحة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابحة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف (١) وأما قعة فيقال إن خزاعة من ولده ، ومن ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلیاس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبه فى النار » (٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمر ابنها : أى أسرعت ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه اتقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَّاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ (١)
أَنَا ابْنُ الْقِيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ (٢)
طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السَّنَانِ (٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد عمرو بن مرة الجهمي :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ (١) قُضَاعَةٌ بِنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
* النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرَ الْمُنْكَرِ *

وأما «قنص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله «كل كريم يمان» يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه كفاية ؛ ويكفيهم غفرا قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا»

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء : ابن الماء . واللقاء : ملاقة الأقران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أطارقها .

(٢) القيافي : جمع قفاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل آخر البيت ، وقد يقولون للقصيد قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجيدها وأبداع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح به العرب .

* وَإِنْ أَعَزَّاءَ الرَّجَالِ طِيْلَاهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ، وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحَمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ (١)
يُسَابِقُ سِنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهَا فِي رِهَانٍ (٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحات : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاط : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب . يقول : هذه الأشياء مني حديدة - قوية -

(٢) النايا : جمع منية ، وهي الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال صخره :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مَنِّي سَابِقُ الْآجَالِ

ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلِقِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَنِي قَبْلَ السِّبَانِ قَلِي حَوْبَانِي يَرْدُ (١)

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأنشدوا لهمام بن مرة وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجوتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا
غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَيَّ بِهِ هَالِكَا
وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَإْنٌ طَازِرًا لِي وَإِن تَارَكَا
وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنِي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعي فإنه رواه وأرهنهم عطفاً لفعل مستقبل على فعل ماضٍ وشبهه بقولهم : قتت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد تاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة « وقال : هي قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا عاذا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَيَبَةٍ لَا أَرَانِي (١)
سَأَجْلُهُ حَكْمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي (٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبِّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي (٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليوتهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعبرى »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهيبة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيفي قلوب الأعداء فيتهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعَ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدٌ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسي ، وإنما يجوز ذلك في أفعال معدودة نحو ظنفتي وحسبتني وباهما ؛ وقد جاء شاذًا : فقدتني وعدمتني ، ولا يقال ضربتني ولا رأيتني ولا أكرمتني ، وإنما يقال ضربت نفسي وأكرمت نفسي . فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسي ، وقد جاء رأيتني ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أهدأني من شئت ولساني كسيفي في الحدة ، فلو جعلت لساني مكان سيفي لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير في أعدائي بلساني ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمرى — لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي (١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي (٢)

تكرمه : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار وصار بالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملاء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبارة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفَيْض ثم قال — التنبي — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفاض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذابه وأضعفه . فلما ضف الكتمان ظهر الحب لضعف محبيه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جنى — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبينى أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يدها سكرا ، أما أنا فإني أبقى على صحوى : أي لا أشربها حتى لا تحول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جنى . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَقْتَنِي بِمَقَامِ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْي

هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمَصْنَى فَخَضِرَى مَاءَ مُزْنٍ كَاللَّعِينِ^(١)
أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٢)
كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ^(٣)
أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُهُ بِرَفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ^(٤)

(١) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللعين : الفضة . وقوله كالذهب المصنى : حال من « الخمر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الخمر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ مَخَافَةٌ أَنْ يَلَامِسَهُ الْقَمِيصُ

ومن قول الخبز أرى :

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقٍ وَدِقَّةِ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَائِكِكَ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفَطْلِكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدي : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأسماء لا ينفار على شفاهم ؛ ويقول من يعذره - النبي - إنما ينفار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر ، لأنهما - أي شفتيه - للأمر والنهي والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو ينفار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير في « بياضها » للزجاجاة ، والراح : الخمر ؛ وأحرق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الخمر السوداء - بياض محرق بسواد عين .

(٤) الرغد : العطاء . يقول : إن الرغد الذي سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لسكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِلْعَلْمِ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَفِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحَبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلْسِنَا وَأَلَدُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول :
حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال
المجنون :

وَمَا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتَخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبَيْتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى
حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

قُبِيعٌ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنَى مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونَهَا سِتْرُ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَبُحٌّ بِالْمَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْمَهْوَى إِلَّا الْمُنْهَتِكِ السِّتْرُ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْمَهْوَى وَتَهْتَكْتَ أَسْتَارَهُ وَالْحُبُّ خَيْرٌ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
أَعْصَى الْمَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُّ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ
ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نيا ؛ هو ما يظهر من التناقض

في البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما
شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب في بلاء بين هذين أى بين كون حق
الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و« الألسنا » روى
بفتح السين - أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللغة
أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبِ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكُرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَا^(١)
بِنَا فَلَوْ حَلَيْتِنَا لَمْ تَذُرْ مَا الْوَانِنَا جِمًّا امْتَمَعِنَ نَلَوْنَا^(٢)
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفُسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنِنَا^(٣)

لَمِنِّي أَنْتَقَى لِسَانٌ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)
وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الخطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِئْتِي فَلَيْتَ بَأْتُهُ فِي جَوْفِ عِكْمِ^(٢)
ومن آتته : قال في جمعه السن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال في جمعه السنة
كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من للذكر وللؤنث ، وقد تقدم ذلك في
هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصل : خبر « لیت » ؛ والكرى : النوم ؛
والجرم : الذنب ؛ والضمي : المرض والهزال . يقول : ليت العبيب الذي هجرني من غير
ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كواصله الضمي لجسمي من أجل صده وبعده عنى :
يعنى أن الضمي ملازم له ، فتمنى أن يكون وصل العبيب ملازما له ملازمة
الضمي جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، و يروى « بتنا ولو حليننا » و « بتنا » تامة ؛ والواو بعدها حالية ،
و « امتمعن » يروى سفمن ؛ وهو بمعنى امتمعن ؛ وحلينا : وصفت حليننا ؛ وهي هيئة الشخص
وما يميز به ، و امتمعن لونه : تغير حياء أو خيعة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا
أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير الواننا ، فكنت
لا بدري بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، لحذف « أن » وبقى الفعل
مرفوعا ، وقد مررت له نظائر . والعوازل : جمع العاذلة - اللأمة - يقول : لشدة حرارة
الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العوازل أن يحترقن فيما بيننا ، قال
الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان ينم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

(١) مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشرين وهب الباهلي .
(٢) فليت بأنه : يروى فليت بيانه : ويروى وددت بأنه ؛ والمعكم : داخل الجنب ،
على المثل بالعكم الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي أَنْبَعْتَهَا نَظْرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثَمًّا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَمْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَآ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقْتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الحطيب التبريزي : وجه الإغفاق أن يتم إحراقهن على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والحبة ، وهى الاسم
 من الإغفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن المولى :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُوقٌ وَشَفِيقٌ ، وَإِذَا قُلْتُ أَشْفَقْتُ مِنْهُ فَإِنَّمَا تَعْنَى حَذْرَتِهِ ،
 وَأَسْلَمَهَا وَاحِدٌ ، وَلَا يُقَالُ شَفَقْتُ ، وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : شَفَقْتُ وَأَشْفَقْتُ بِمَعْنَى ، وَأَنْكَرَهُ
 أَهْلُ اللَّغَةِ .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ،
 وسكن « فاءه » ضرورة . و« ثناء » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلمتا
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجراه .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْأَثْبِينِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْحَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفازة البعيدة . والركاب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالسير ، وقطع الركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والنهار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع لملكان والزمان والركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَّتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَّغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الْمَعَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه ، قال ابن بري : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : ثم بعد الضحى : الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيته ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : أضحووا بصلاة الضحى : أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيته بصلاة الضحى : أى صليتها في ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على « الضحى » في هذا الشرح بأن وفى من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ وبرى : فيها . ويقال وقتت ووقفت زيد ووقفت دابقي ووقفت وقفا للساكنين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمنى : جمع منية ، وهى الشئ الذى يتمناه . يقول : وقتت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند الممدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من الخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » - كما قال السراج وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء الساكنين كقوله تعالى « وآتينا نهمود الناقة » ، قال المكبرى : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « نهمود » لإحزمة وحفصا وواقهما أبو بكر فى آخر سورة النجم ، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « نهمود » ، قال : وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى النهمر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حلين للنبي صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعِ^(١)

فكلهم رووه مرداس - من غير تنوين .

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، ألجم صردان ، والنعر : طائر يشبه العصفور ، تراه صغيراً ضاويماً ، وتصغيره نعر ، وجمعه نعران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .

لَأَبِي الْحُسَيْنِ جَدِّي يَضِيقُ وَعَاوُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا (١)
 وَشَجَاعَةً أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا (٢)
 نَيْطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مَحْرَبِ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكْرُهُ وَمَا أُذْنِي (٣)
 فَكَأَنَّهُ وَالطَّمَنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطَمَّنَا (٤)
 نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيْقُنًا (٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماعطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لايسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عطا .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علقت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمحرب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : الممدوح - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ واثنى : رجع . يقول : علقت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بمد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

اللَّهُ يَنْفَلُ إِنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لجن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكرم بعد الأعمزاز ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرود - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى .

(٤) يقول : لشدته إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّمَنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفَرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ

(٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينا ، لا وهما

يَتَفَزَعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ قَيْظَلٌ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّئًا^(١)
 أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى قَمَمٌ لَهُ هُنَا^(٢)
 يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخْفَ مِنْ الْحَرِيرِ وَاللِّينَا^(٣)
 وَأَمْرٌ مِنْ قَدِّ الْأَحْيَةِ عِنْدَهُ فَقَدُّ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ ولتكنن: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدري فيظل لابس كفنه توقعاً لبفته وتأهباً للموت. ومتكفناً؛ قال الواحدي: يروى متلفناً؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعني أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: الاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخي؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعني أن ما يكون من العزائم مستقبلاً عند غيره بعده ماضياً لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيداً على غيره بعده حاصلًا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع في الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونومته، وفي هذا نظر إلى قول البحترى:

مُلُوكٌ يَمْدُونُ الرَّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَاثِلًا^(١)
 (٤) أمر: خبر مقدم؛ وقعد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا قد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبدأ مستعملة في الحروب.

(١) المخاصر: جمع مخصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَكِنُ الرَّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حدقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والايحسنا : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبني ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبني الضرب زيداً . يقول : إن الرعب — الحوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقاً ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سِوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : المهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بمرح الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجابة العمل إذا كان حاذقاً فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتِ كَبْرَتْ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط

الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعله . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب . — يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، ويروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غاب ،

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالِدُنَا^(١)
 مَنْ لَيْسَ مِنْ قِتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حَيْثَا^(٢)
 لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلْتَ إِلَيْهَا وَخَشَةُ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
 أَرَجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْتَقْوِطًا^(٤)

(١) الدنا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . قوله «مثل» بالنصب - صفة لصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القى الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل الذى الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثيرين يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جنى : لقد أفرط - المتنبى - جداً ، لأن الذى فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذى أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينئذ - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى بمن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو بمن أطلقه ومن عليه بالعمى ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إنيأ تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلى :

كَأَنَّ عَلَيْنَا بِأَلَّةٍ لَطْمِيَّةٍ لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِبَتَيْنِ أَرِيحُ^(١)

(١) أراد بالبالة الرائحة والشمة ، مأخوذ من بلوته ، أى شمته وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجْرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحَيِّبَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانَا (١)
سَلَكْتُ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجِنِّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَدْرَنْ فِيكَ الْأَهْمِينَا (٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال العجير السلوي، وقيل لعمرو بن الأطنابة :
إِذَا مَا مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي نِيَابِهَا ذِكْرُ الشُّذَا وَالْمَنْدَلِي الْمَطِيرِ (١)
يقول : طاب الطريق الذي سلكته ففاحت راحته ، فامررت بطريق لإصارت
الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُسَكُّهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنَ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ

(٢) القباب : جمع قبة ، وهي الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التي فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر فد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأثيل القباب للنظر إليك : وتماثيل القباب : هي
القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعني أن الجن من الشوق الذي بها إلى رؤيتك
دخلت في الصور المنقوشة على القباب التي فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطيمة العنبرة التي لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
راحتها والدأية : تقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا اتكأت ؛ وقيل الشذا في هذا البيت من المهك ،
والمندلي : العود الهندي ، منسوب إلى « مندل » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من اللندلي ، وقيل ضرب من
صنعه ، وقيل الطير المشقق المكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِبُنَا فَخَلْنَا أَنَهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصَتْ بِنَا^(١)
أَقْبَلْتُ تَبْسِيمُ وَالْجِيَادُ عَوَائِسُ يَجْتَبِنَ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا^(٢)
عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عُنْدَ بَرٍّ لَوْ تَبَتَّنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافِقُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَنَى^(٤)
فَعَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها
بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدمك غلب
حق ظهر في البهيمه التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أى باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو الملحح الوجه والحب : ضرب من
العدو . الحلق المضاعف : الدروع - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وبيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدروع
والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعشير : الغبار . والعنق :
ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
السير عليه لأمكن من كشافته ، وهذا المعنى من قول العتابي :

تَدْبِنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ سَقَفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْبَوَاتِيرُ
وأخذه العتابي من قول الأول :

وَأَرْهَنَ فِيهِ لِلسَّوَابِغِ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَتْهُ الْخَوَافِرُ
[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، ما يتمناه الإنسان
من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
أدرك أمنيته : أى فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالِي مَعْدِنًا (١)
 فَظَنَّ الْفُؤَادُ لِمَا أُتَيْتَ عَلَى النَّوَى وَلِيمَا تَرَكْتَ مَخَافَةَ أَنْ تَفْطِنَا (٢)
 أَضْحَى فِرَاقَكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّئًا (٣)
 فَأَغْفِرُ فِدَى لَكَ وَاحْبِبِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا (٤)
 وَإِنَّ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَا (٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَلَى أَنهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كَلِمًا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فظن للشيء - بكسر الطاء وفتحها - يقول - كما قال الواحدى - : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعاتبني عليه : أي فلتست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره - كما يدل على ذلك سياق الأبيات - وقال اليازجى : إن فؤادى لم يقفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من السير معك ، لآني كنت خائفاً أن تظنن له فتعاتبني عليه : يعني أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد النبي ، وليس بشيء .

(٣) عليه : أي على ما فعلته . والضمير في « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لي على ما فعلته مما كرهته ، أي تحسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أي فاغفر لي - أي ذنبى أو تقصيرى - وفدى : خبر عن محذوف . أي أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء - بكسر الحاء - العطاء ومن بعدها : أي من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لي هذا الذنب الذى فرطت منى فدى لك بنفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعني إذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جملته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به ابن بدر

وَإِذَا نَفَتِي طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي نَجَاسِ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعْنَا (١)
وَمَكَائِدُ الشَّفَهَاءِ وَأَقِعَةُ بِيَهُمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِنَسِ الْمَقْتَنِي (٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّثِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يُجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفَانَا (٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأنى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلّة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو الْتَقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناه ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناه به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفت الريح الفصون : حركتها واستخففتها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ الْنَوَاسِمِ
وتسفت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشِيَّ الْقَمِيمِ نَصَبَتْهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقليات التى تلد واحدا ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفت فلانا عن ماله : إذا خدمته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن - وهو الثقيل الكثير اللحم - فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقَيْتَكَ رَاضِيًا رُزْءٌ أَخْفَىٰ كَلِيًّا مِنْ أَنْ يُوزَنَ (١)
 أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعْنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا (٢)
 خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَا اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا (٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفَيْنِ فَأَوْدَىٰ بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفَانِ
 الضيافن : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراه الضيوف .
 يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
 يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجلّيس السوء
 كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخانه ، والجلّيس
 الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه .
 (١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرت بعد ذلك لغضب
 الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
 لم يستحق أن يوزن لحفنة ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
 ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
 بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزاة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
 عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيوبه لا يجز
 تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
 زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير النفضل وتدع المتصل ، وأبو العباس
 يجيزه ، فالصواب عند سيوبه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
 فيه ما لا يجوز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
 والغائب فالواحد تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
 وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَثَالِهِ تَكْوِينٌ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جِبْرِينٌ^(٢)
بِعِضِ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضِ خَالِيَا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لِأَضْيَافٍ وَلَا عَزْلٍ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكأت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن يتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قوة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلمهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنوهم فلما أنشدتم إياها أطلقوه، وقبله:
وَقَائِلَةٌ مَا بِالْبَاهِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعدہ :

لَعَلَّمُ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءَ الْمُنْزِنِ فِي الْبِلَادِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِيَّ بِمَدِّ عَثْرَةٍ وَتَصْطَلِحُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِي عَجَلِ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الِهْمِّ أَخْلَامُهُ مِنَ الْفِطَنِ (١)
 وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
 حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلِقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِنِ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم وهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بمادق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفاضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبغ العدواني :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَذَاسْنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ
 ويقول البحري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجبل : ضرب من الناس . وسواسية : يعني متساوين في الشر والأووم ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالحر هنا : الكريم - ضد اللئيم - يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقة ، وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروي : خلق - بالحاء - جمع خلقة ، وهي القوم مجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هي أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : بما أتم ، ولا تقل : من أتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا - وفي البيت - نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلَقٍ غَيْرِ مُضْطَفِنٍ ^(١)
 وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ ^(٢)
 إِنِّي لِأَعْزِرُهُمْ بِمَا أَعْتَفْتُهُمْ حَتَّى أَعْتَفُّ نَفْسِي فِيهِمْ وَأِنِّي ^(٣)
 فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة - ومضطفن : ذو ضفن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعني أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلهجهم وفضلى يبادوننى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أى الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما اعتفهم عليه . و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتى ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النخري :

رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوَّوْمُ الضُّحَىٰ فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ ^(١)
 يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى - أى أقصر - فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .

(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُدْقِعِينَ بِسُبُوتٍ صَحْبَتَهُمْ
 عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)
 خَرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْتِي بَطُونَهُمْ
 مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَاثْمَنِ (٢)
 يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي
 وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ (٣)
 وَخَلَّةٌ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا
 كَيْمًا يَرْزَى أَنْنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ (٤)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ . أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ (١)
 يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان :
 العقل الذي به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار
 ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .
 (١) الواو : واو « رب » ؛ وللدقع : الذي لا شيء له ، من دقع - بالكسر - إذا
 لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبوت : الأرض لا نبات
 فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبوت . ويقال للقبر : سبوت من ثم . والحلل : جمع
 حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقميص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول :
 رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ
 والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ، ثم سمى به كل أص .
 وغرتي : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرتي : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر
 ومكن الضباب : بيضا ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول :
 هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون
 عليه بلاثمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهي
 ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونني عن خبري فلا أخبرهم وأكتمهم
 أمري وهم لا تخطئ ظنونهم بأنني أنا المثني الذي سمعوا به ، ولكفي أكتم خبري عنهم
 خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « ألتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقشقة ،
 وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شذقيه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ،
 ولم يصفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَ كَلِمَةٍ فِي طَرِيقِ خِفَتْ أُعْرِبَهَا فِيمُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ ^(١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيْنَ التَّرَمُّ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ ^(٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتَ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ ^(٣)
 لَا يُفَجِّينَ مَضِيًّا حُسْنُ بَرْتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةَ الْكَفْنِ ^(٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظننى مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَحَامِقَةً
 يريد التنبي أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها ، وقد تقدم لذلك نظائر . وأصل الإعراب التبيين ،
 ومنه الأثر « والثيب : تعرب عن نفسها » وأصل معنى اللحن : العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلبازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنا ، ومنه الحديث « ولعل بعضكم ألحن بحجته » أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى التنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الحشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحق سهلة هينة ، وعزى
 الآن المركب الحشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستخشن الخطوب
 الصعبة لقوة عزى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للسكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعلولمن خاض المهالك
 وكم من قتل مع الذم للحيان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك للأقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الحيان المحجم مع ما يلحقه من الذمة والعار .

(٤) المضمي . المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا يفتنى المظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفته . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

لله حالٌ أرَجَّيْهَا وَتُخْلِفُنِي وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمَطُّنِي (١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْثَاتِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ (٢)
 تَحْتِ الْعِجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا تَنُوشِدُنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ (٣)
 فَلَا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُدْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَمْرُورًا عَلَى دَخَنِ (٤)
 نُخَيْمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ حَرُّ الْمَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ (٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو ؛ والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطلب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهري : مفعول أول : أي أطلب دهري بمحصلها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حالٍ يرضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمحصلها فباطله في تبيغنه إياها ؛ وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكيني من هذه الحال التي أرجو بلوغها وهي تخلفني : أي لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهري حصولها وهو يمطني - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحمهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التي مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الفيار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق ، يقول : قوافي هذه القصائد خيل ، مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافي التي إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبري : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافي في الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابي : استعبدوا القوافي فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك ممرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة في القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم في الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائي إذا غروني وناقوني أي لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جني : مرفوعا ؛ أي يرفع إلى الجدر فينخرب عليها .

(٥) نخيم : خبر عن محذوف : أي أنا ؛ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم في المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذابته والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكِرَامُ الْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ ^(١)
 فَهَنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَّ ^(٢)
 قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخَالِصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ ^(٣)
 غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فِجْرُ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ ^(٤)

وهي منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره في البيت السابق يقول : إن عسا كره قد نصبوا خيامهم في الصحراء يذيبهم حر الهواجر في قنن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول في قنن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التي لا تجيب الراقي .

(١) الألى : الذين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبي : هو المدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإيها وفوضوها إلى عهده ، فهو عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهوز — أى بدأ . والمنن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المسكلم بعد هلاك ذومها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كملوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فخلعوه كفلها ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألقى إذا التبس الأمران واشتبه بهضمهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متمزجين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غض : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْحُ لَا لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَعْمُهُ لِقَوَامِ الْجَنَسِ لَا السَّمَنِ (١)
 الْفَاعِلُ الصَّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرَّ وَالْعَلْنَ (٢)
 الْفَاعِلُ الْحُكْمَ عَنِ الْأَوْلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلْسَاهِي عَلَى الذَّهْنِ (٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْحَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ (٤)

وليس هو بمن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : يياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن يياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « بجانب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشح الشارب نشحا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَارِيٌّ وَلَا هِيمُ
 (الحقب : الدهر وقيل السنة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا يتال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجرّه على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضمخ خلاف ما يظهر رياء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعين بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الحضم التقي على الحضم الذكى .

(٤) جدى الحصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشح ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليفر وهو عطش يأخذ الإبل فنشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

العَارِضُ الْمُتَيْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمُتَيْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمُتَيْنِ (١)
قَدْ صَبَّغَتْ أَوْلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاوَهُ مِنْ مُفَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ (٢)
كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا أَوْ كَانَ قَهْمُهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب ؛ حتى لو لم يقل جدي فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنصن على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم :

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِيهِ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
ومثله قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُّ عَلَيْكَ إِلَّا شَهَدَتْ بِهَا عَلَى طِيبِ الأُرُومِ
(رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأروم - بفتح الهمزة - الأصل ، وبضم الهمزة :
(ع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير الصب ، مثل الهطل
يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « هنن » على التنبي لأنه يقال
سحاب هاتن ولا يقال هتن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على التنبي وقالوا : من الهى تكرار
اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
عيبا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) إغار : الحبل المحكم الفتل ؛ والقرن : الحبل يقرب به البعيران . ومن مغار :
في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثانى لصيرت . مدحهم
بكثره التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علما بأحوال الدنيا —
ماضيا وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جنى : هذا مثل ضريبة ،
يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون فى الدنيا وتجربى فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
علما ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولا هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما فى البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا
 مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقٍ مِنَ الْجَنَنِ (١)
 لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ
 يُزِيلُ مَا يَجِيءُ الْقَوْمَ مِنْ غَضَنِ (٢)
 كَانَ مَالِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُغْتَرَفٌ
 مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)
 لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنِ سِوَى لَثَقِ
 وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ (٤)
 وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لملهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة المتقدمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الحماد ما يبق أعراضهم من الدم أكثر مما يبق السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الغضن : تكسر الجله . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبت وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والحزون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فسكانها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فأقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القرب والبعد ، وإن عطاهه يعم القريب والبعيد .

(٤) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . والاثق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم نفتقد بوجودك من السحاب سوى انوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكدره ؛ قال العكبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .

(٥) يقول : ولم نفتقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أُحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ أُعْتَدَلَتْ حَتَّى كَانَتْ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُدَنِ (١)
وَمُنْذُ مَرَزَتْ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعَتْ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا نَبْتَ عَلَى الْقَنْنِ (٢)
أَخَلَّتْ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ (٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
وجميع المقايح منفية عنك .

(١) الاحتماء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بهائل سيفه أو نحو ذلك ،
وقد يحتج بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والحبوة : الثوب الذى يحتج به ، وجمعها
حبي - مكنسور الأول - وحبي ، قال ابن السكيت فى إصلاحه ويروى بيت الفرزدق :
وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّي حُلْمَانِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدره وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
وتحبي مثل اختبي ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذُوآبَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبِي الْمَوَكِبُ (١)
والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
المتحاربين . يقول : مذجست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كأن
أصحاب الأحقاد قد تعالحوها وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
من التمييز - خفضت هيئة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
من النبات فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودٌ مِنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدٌ مِنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ (١)
 وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُوْتِنَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانِ لَيْسَ فِي اللُّغَنِ (٢)
 فَمُرُّ وَأَوْمٍ تَطْعُ قُدُسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ مُجْرِي الرُّوحِ فِي حَضَنِ (٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
 قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنَ مِنْهُ الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات حتى عطلوها استغناء ببطائك عما كانوا يعملون ، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بمآثرها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمزني : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول : لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطلق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومي ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأومي ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل يتجدد ؛ ومنه المثل : أتجد من رأي حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد يتجدد ولا قريبا منها - يقول : مر من شئت وأومي - أسر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمى : صفة ؛ لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمى ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أَمَّتْ سَاعَةً سَارُوا كَشَفَ مِعْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَمَى دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٍ يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخَدْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتِنِي فَمَا تَلَقَّتِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، للدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحمل : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند رحيل الأحبة أن تكشف معصمها - أي تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن السير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه بيقه ويتوه : ضل وتحيره ، وأتاهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لخيرتهم بحال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أي لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعبية ، والواخيدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخذ : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخذوا ووخدانا : وهو أن يرى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء . والخدر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - في السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدًا^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعٍ

(أي ذات نفس متقطع من ممها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمط : جمع نمط ،

(١) خد : نعت لهيكنة في قوله .

ولو أني أشاهُ كنفنتُ نفسي إلى بيضاء بهكنة شموع
والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا (١)
يَعْتُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا (٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدَّ كُمِّ هَانَا (٣)

ضرب من البسط له (خل رقيق) : وفي حديث عائشة رضی الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فمدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : ما لى أراك حشياً رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحشى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرح فى مشيته والحدت فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبى : إن وخدها بزعبه لعدة رفة فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَنَهْنَهْتُ أُولَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ (١)
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوباً أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلعت الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسواً بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن المسك يحبه كالمستهام به ويلذف عليه حتى يصير للمسك أعكاناً على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحَدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَاظِرِي فَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ فَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
 إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعِي قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
 أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكَرُنِي وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
 وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَ^(٤)
 مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْدُوبٌ عَلَى أُثْرِي أَلْتَقَى الْكَيْمِيُّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف : الضروع ، واستعار المياه أخلافاً لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول : إذا برقت السحاب بشرتكم بالقطر - للطر - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلال وتهدي للمحب نيرانا أي تذكري نيران شوق - لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
 (٢) قدمت - بفتح الدال - تهمت ، وبكسرها : وردت . وشيعة : تبعي ؛ وأسلاك مثل أسلاككم : يقول : قلبى يتبعنى ويطيعنى فى كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعنى وإنما يخونى ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدَى مُقْبِلُ
 وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدْنِي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعٌ لَكَ أَوْلُ

(٣) الصفع : الإعراض . والإهوان : الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ، كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطَوَّلْتَ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ

(يريد : فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول : إذا ظهرت لمن يذكركنى بالسوء فى غيبقى عظمى وخضع لى ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له ، لأنه لا يقدر أن ينظر إلى فى حضرتى .

(٤) يقول : وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غربياً قليل المرافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز : غريب حيث كان ، ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة إنما هى لفقد النظير ، لا لفقد النسب ؛ قال أبو تمام :

غَرَبَتْهُ الْعَلَى عَلَى كَثْرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيبًا
 فَلَيْطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقِيمًا بِهَا لِمَاتَ غَرِيبًا

(٥) محسد : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا محسد الفضل ؛ والمحسد : من يحسد كثيراً

لَا أُشْرِبُ إِلَى مَالٍ يَفْتُ طَمَعًا وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَافَاتِ حَسْرَانَا^(١)
وَلَا أُسْرِبُ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَيَّ الدَّهْرَ مَلَانَا^(٢)
لَا يَجِدُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِبْرَانَا^(٣)
لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا^(٤)

والكمي : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قتت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه ليعني في المعركة ؛ فقله مكذوب على أرى : أي يكذب على أعدائي على أثرى وخلقى ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَفْتَابُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاقَيْنَا اقْشَعَرُ
وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ

(١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « اشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو الوليد : اشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مضمرب وأنشد لذي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمَّ شَادِنِ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أطلع إلى مال يفت من الدنيا ، ولا أتمسر على مافات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أطلع إلى شيء ، ولا أتمسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْغَنِيَّ الَّذِي يَرْضَى بِمَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظَالُ عَلَى مَافَاتِ مُكْتَتِبَا

(٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقن : حركن . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حبيت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتبع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد به هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعَيْسُ أَهْقَلُ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيْمَانًا (١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانًا (٢)
 ذَاكَ الْأَمْدُ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانًا (٣)

كما يدل على ذلك البيت التالي . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء ظواهرهم من المعاني البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ، وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد يتقد التنبى : أراد أن يزيد على الشعراء فى ذكر اللطايا ، فأتى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ وللممدوح أيضا عصبه لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت - وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً - على أن اللنبى خصص فى البيت التالي .

(١) العيس : الإبل البيض . وعمما : متعلق بعميانا ؛ و « عميانا » مفعول ثانٍ لرأيت وفاعل يراه : ضمير الممدوح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتطى من الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه الممدوح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكف فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قربنا من يقال لهم شجعان يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) اللعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى - يقال قنوت الشيء أقنوه قنوا - وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما يجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزانا ، لأن ذلك للمال لنا وإن كان فى يده .

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أُمَّلِهِ حَتَّى تُوَهَّمَنَّ لِلْأَزْمَانِ أَرْمَانًا^(١)
يَلْتَقَى الْوَعْيُ وَالْفَنَاءُ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفِ وَالضَّيْفِ رَحْبَ الْبَاعِ جَذَلَانًا^(٢)

تَخَالَهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِيًا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانًا^(٣)

وَتَسْحَبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجْرُ الْخَيْلُ أَرْسَانًا^(٤)

يُعْطَى الْمُبَشَّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا^(٥)

جَزَتْ بِنِي الْحَسَنِ الْحَسَنَى فَايْتَمُّوا فِي قَوْمِهِمْ مِثْلَهُمْ فِي الْفَرِّ عَدْنَانًا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده ونحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إيها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقي الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتما : متوقدا شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للغنية ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ماتجر خيلنا من الأرسان .

(٥) عطشانا : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والطفة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعني : أنه يعطى

القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضا لشدة كرمه وارتياحه للبدل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَائِمُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : اللاء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والعر : جمع الأعر ، وهو السيد الشريف .

مَا شَيْدَ اللَّهِ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَمَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ الْآنَا (١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا (٢)
 كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّمَنِ خِرْصَانَا (٣)
 كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِيءِ رِيحَانَا (٤)

وعدنانا : بدل من الفر . قال ابن جنى : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسنى : ضد السواى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزءا لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الفر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزء الحسنى » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فهمهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة إحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعته والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كأبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاتة الأقران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاتة الأقران في الخطابة والمكالمة .

(٣) الخرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأُسنة نفسها . يقول : إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء أسنتهم في النطق . فكان ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأُسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحرى :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَوْ مَصْقُولُ خِلَتِ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
 (٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم قديدا كالماء للظمآن ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحرى :

أَعْدَى الْعَدَاوِلَيْنِ أَخَيْتُ إِخْوَانًا^(١) أَلْكَائِنِينَ لِمَنْ أَيْبَى عَدَاوَتَهُ
ظَمَى الشَّفَاهِ حَمَادَ الشَّمْرِ غُرًّا^(٢) خَلَائِقُ لَوْ حَوَاهَا الزَّنْجُ لَا نَقْلِبُوا
لَمَّا اضْطَرَّارًا وَلَوْ أَقْصَوَكَ شَفَانًا^(٣) وَأَنْفُسٌ يَلْعَمِيَاتٌ تُحْمِيهِمْ

يَتَزَاهَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَعَى كَنَزَاهُمِ الْإِبِلِ الْعِطَاشِ بِمُورِدِ
(١) نسب « الكائنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى
خبر الكائنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخٌ لِي لَا يَدِينِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطُهُ
(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاه : دقاق الشفاه مع صمرة
كأنها لم ترنو فتغلظ ؛ والزنجي يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا عَرَفْتَ قَرَابِي وَالْكَنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
وهران : جمع أعر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبج صورهم لفظت
هذا القبج وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاه . وعبرة بعض الشعراء : هذه الخلائق
الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
الحسة والهمجية لصيرتهم كراما بيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تقبلوا من الجعودة إلى
الجعودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفوس : معطوف على « خلائق » واليلمى : الألمى الحاد الفطنة . وقوله لها :
أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعذك ؛ والشنان : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هيا الفرزدق رجلا من ضبة فنفاها ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشفر
للبيهر . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقراة التى بين ضبة وبينه أنه
من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأُجْبِنَةَ وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانَ^(١)
يَا صَائِدَ الْجِحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتٍ نَائِلُهُ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - لأجلها ضرورة ، ولو أبعذك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطنة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على اللوح : أى أذكر ، أو أعنى ، ونحوهما . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

* كَانُ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ *

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحداناً : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل السكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها في أيدي
العفاة فكانت خزائناً لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزائناً مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الخازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّلٌ مِنْ مَطَى يُشَكِّكُنَ فِي الْقَوِّ مِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء المجهول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المعزة :

(١) الأبا : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزؤها .

لَا أُسْتَرِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السِّكْرَامَ بِهِ
وَأَنْتَ أْبَعْدُهُمْ ذِكْرًا وَأَكْبَرُهُمْ
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِئُهَا
أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَنْظُنَانَا^(١)
وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانًا^(٢)
قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانًا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانًا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت به : أى صادفته كذابا ، وأجبتته : صادفته جيانا
والمرتقب : الرقيب . يقول : لست تفعل في الخلا ما لا تفعله في الملا ، وفي السر ما لا تفعله
في العلن ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّما عَلَى بَطْنِ الْعَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية في السكرم . فلو أنى استردتك كرما كنت جاهلا محلك من
السكرم . وكنت كمن به يقظان واليقظان لا ينبه ، كذلك أنت لاسترادك رما ، قال العكبرى :
إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان في الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق
ما في شعره وأدله على حكمه واستيلائه على قصب السبق في شعره ، ولوتأملت شعره لوجدت
فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان في الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَأِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء
وضمها . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك
رد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبني قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك
أو نحوه لسكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أنليق هذه اللفظة بشرف القرآن
ولا تليق بلفظ للتنبى ؛ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال
« فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء
للعرى ومزنته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا
الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى
ظفنتها ثم قال لى : لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ،
فجرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها
بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :
رَالِ النَّهَارُ وَنُورُ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَجُنْحِ اللَّيْلِ لِجَنَانِ (١)
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُوحُ فَكُلِّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانِ (٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
هند قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر (*) :
مَا أَنَا وَالْخَمْرُ وَبَطِيخَةٌ سَوَدَاهُ فِي قِشْرِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ (٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرهما — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل ،
مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الخمر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
وإعراب بطيخة : إعراب الخمر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَيَبَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ (١)
وقال الهذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ (٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالِإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أيبك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
بالظرتين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانب الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) الملتف : اللقطة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذك جلا . لأن الذكر أقوى
من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالي أعجم للشاق بالسير في الفلوات للفتنة ، والشاهد
نصب السير « أنظر شرح ابن عيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْفِنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطِّئِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلِّ نَجْلَاءَ لَهَا صَائِكَ يَخْضُبُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّنَانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمَّ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخَيْزُرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعده بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى حَتَّى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيُنْهِنَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهداها . يقول : مالي ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطيني نفسي للضرب والاطمن يوم الطعمان .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطئني ؛ ومن خفضه عطفه على الطعمان ؛ والنجلاء
الواسعة ، وصائك : لازق - صاك به الطيب يصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجلاذ الإنسان وتجايلده : جسمه وبدنه ، لأن الجلد محيط بهما ، وجمع الأجلاد :
أجلاد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغفني كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) بم : أي بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشيء تلهم به . والسكنن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ساكن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لدى الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرَثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فِيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدَّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول : بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى
شئ ألهو به ولا أحد أسكن إليه . قال العكبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر ، وهى
يفتاد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة :

سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحَشَّةَ لَكُمْ مُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَأَزَعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول : إن همته أطل من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتحنى
على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه
يطالب الزمان بأن يحليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل
والنهار كالتضادين ، ويجوز أن يريد : إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحرى :

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعْرِفِهِ الزَّمَانُ^(٣)
(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى ،
والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط .

(٣) هذا تأكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر ، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يرد إليه هذه رواية الواحدى ،
وتبعه العكبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم : وهومن التجوزات
للاستعجبة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورٍ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فيا كرم : يتعجب من كرمهم ، والمستخالف للتبدل : قال ابن برى أى
صار خلفا وبدلا للظباء والبقر .
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

بِمَا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هُوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا (١)
 تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي لَأْسِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ (٢)
 تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمِنٌ (٣)
 مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوْضٌ إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمْنٌ (٤)
 يَا مَنْ نُفِيتَ عَلَى بَعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمِنٌ (٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يقول : المتنبى سرورك بالشئ لا يديمه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرد ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضر بالحيين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبعت وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاظة ، ولو هم فطنوا لتلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعيشون الدنيا : تخصيص لامعنى له ، وتعميمه أنسب .
 (٢) دمعا مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن فى الظاهر قبيح عند الاختيار .
 قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنِ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة للسرعة . والدين : البعد والفراق وطى : متعلق بمؤمن . قال ابن جنى : هذا تشبيب من يضر فى نفسه عتياً وموجدة يقول : - لمن شبب بهم بعد القدى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عنى فإن الفراق اليوم - أى بعد اختبائى لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أرضى بحكمه ولا تضرنى غائلته ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفى الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . واللهجة : الروح . يقول لستم أهلاً لأن تجذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :
 (٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَأَشْتَهِي السُّفُنُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أي انعه ،
أي أظهر خبر وفاته ، قال الكمي :
نَعَاءُ جُدَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)

يقول : إني قد نعتت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتي وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأنني كنت ميتا ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أي قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل اللعن ، أي فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائي يتمنون موتي ولكنهم لا يدركون ما يتمنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعني أهلها — تشتهي الرياح الموافقة لسيرها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشتهي . هذا : ويجوز في كل — كما قال
العسكري — الرفع والنصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يتمنى ،
فلما أضمير الفعل فسره بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربته فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا في لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجري مجرى « لا »
في نحو قول زهير :

(١) يقول الكمي هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدي بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للحم بن عدي بن عمرو والسكيت من أسد بن خزيمة بن مدركة ، وكان
متحصلاً لمضر وهاجياً لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسائين قبيلة من ولد أسد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكمي محققاً لذلك : انع جذاما غير ميتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونَ الْعَرِضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ بِاللَّيْنِ (١)
جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ حُبِّ مِنْكُمْ ضَغِينٌ (٢)
وَتَفْضُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْفِيسُ وَالْمِنَّ (٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأُنَيْسُ وَلَا بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمٌ (١)
أنشده سيويوه بنصب الدار لأجل حرف النفي ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
بـ « ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيويوه
لمزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِئِنِّي وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِئِنِّي أَنَا عَارِفٌ (٢)
أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويدم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
من جاورك لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراعاتكم لوخامته . وهذا مثل ، يريد :
أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنا أخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تريض
لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم ملثتموه وأبغضتموه ومن
أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : العطاء . والمِنَّ : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدله صنائمه يقول

(١) وصف زهير داراً آلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فغيروا ما عهد من
آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أصعبها لو أجابت ولكنها لم تجب فكان بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقدتها فليل له تعرفها بالنازل من
منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى تسأله
عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاهُ تَكْذِيبُ فِيهَا التَّمِينُ وَالْأَذُنُ^(١)
تَحْبُوُ الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ عَنْ أَخْفَافِهَا التَّنْفِينُ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبُنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) اليهاء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة يهء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَهٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِيعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلمة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والسكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنتا ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل - يقول : لطول السير في هذه اليهء ومتابته تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنتا للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى امتل السير عليها - على الثفنتا - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عنم يؤذيني مادام حلمي يعد كرما ، فإذا كان يعد جينا لا أحلم قال الفند الزماني :

وبعضُ الحلمِ عندَ الجهلِ للذلةِ إذعانُ

وَلَا أَقِيمُ حَتَّى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ وَلَا أَلِدُ بِمَا عَرَضِي بِهِ دَرِينُ^(١)
 سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَخَشْتَهُ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسْنَ^(٢)
 وَإِنْ بُلَيْتُ بُوْدًا مِثْلَ وَدِّكُمْ فَإِنَّ نِيَّ بِيْفِرَاقِي مِثْلِهِ قَمِينُ^(٣)
 أَبْلَى الْأَجَلَةَ مَهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ وَبُدِّلَ الْمَذْرُوبُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنِ^(٤)
 عِنْدَ الْمُهَامِ أَيْ الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنِ^(٥)

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يبلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد الفتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحك أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارتقم استوحشت افراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لأنى إياكم على جفائك ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفرأق مثله : أى بفرأق مثل رحيلى عنكم . وقمن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارتقم كما فارتقم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارتقه كما فارتقم . قال الواحدى : ومثل هذه الأبيات مانشده المبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِنَانٍ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي امْتِنَانٍ
 وَاسْتَرِزْقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
 أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ وَجُوعٍ إِغْضَاءِ حُرِّ حَتَّى هَوَانٍ
 فَإِنْ نَبَا مَنَزِلٌ بِقَوْمٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجلل : واحد الجلال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجلجل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من الاجام . والفسطاط : ناسم للهجر . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مشواى هناك حتى بايت جلال ذرى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) المهام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإمما قيل له ذلك لأن نزار لما مات تحاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأعمار - إلى جرم فى

وَأَنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَيْكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوْدَّةً فَهَوَّ يَبُولُوهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَاْنَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِبُغْضَةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قَوْلُوا لِقَطَطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمِينٍ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْبَةَ الْفَرَسِ

وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :

إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمَطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَلَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيْدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إِذَا مُضَرُّ الْحُمْرَاءِ عَبَّ عُجَابَهَا فَمَنْ يَتَّصِدِي مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ

وأعطى أمار الحمار والأرض وما شا كلها فسميت أمار الحمار وأنشدوا :

فَلَوْ أَنَّ أَمَارَ الْحِمَارِ تَنَاصَرَتْ لَكَانَ لَهَا مِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر

يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التائين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله

وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر

عنى ما آمله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من

خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالى .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو ينى بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت

له من المودة والمحبة ، فلهذا يتأخر عنى ما وعدنى به

(٣) عناء الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »

أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصّة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجرا

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَأْلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا^(٢)
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةَ رَكَبِ الْمَرْءِ فِي الْقَفَاةِ سِنَانًا^(٣)

يفص به في الحرقدة ، تقول خصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فمات بنصته وإن سر في بعض الأحيان.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فبا يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرٌ مَا أُصْفِيَ وَمُفْسِدٌ مَا أُهْدَى لَهُ بِيَدِ
(٢) قال ابن جنى : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم يرض - بالثاء - والضمير لليالى . يقول : هذا الذى أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنه حتى أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلْتُهُ بِي كَافِيًا^(١)

قال ابن جنى : هذا البيت — والذى قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القنأة : عود الرمح والسنان زجه الذى يطمن به . يقول : إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة للعادى مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القنأة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للعداوة . وعبارة ابن جنى حوتقلها الخطيب

(١) البرك : كلشكل البعير وصدرة الذى يدوك به الشيء تحتة . يقال حكه يبركه ، ومن الهجاز حكك الحرب بركبها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصْتَهُمْ وَحَكَّتْ بَرَكُهَا بِهِمْ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنَ بَيَّانٍ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدى :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَكُهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفْسِ أَضْفَرٌ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^(١)
غَيْرَ أَنْ النَّفْسَ يُبْلِقِي الْمَنَائِي كَالْحَمَاتِ وَلَا يُبْلِقِي التَّهَوَانَا^(٢)
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَتَّقِي لِحَيٍّ لَمَدَدْنَا أَضْلُنَا الشُّجْعَانَا^(٣)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْءٌ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا^(٤)
كَمَا مَأْمٌ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفَسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(٥)

التبريزي - في الزمان إذا أحببت قناة إنما ينجبها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح. فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلوا إلى هلاك النفس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .

(١) هذا نهي عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .

(٢) كالحمات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقي ذلا وهو أنا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أضل الناس ، يعني أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالي .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبجو منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : في جسدي مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفي ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويكون : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحري :

لَتَمُرَّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأُبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَالأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أَعْنَى بَاهِلَةٌ :

لَا يَصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي في هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَكَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَانِكَ الْقَمْرَانِ (١)
 وَوَلَّهِ سِرٌّ فِي عُضْلِكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَايَانِ (٢)
 أَتَلَّتْ مِسُّ الْأَعْدَاءِ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانِ (٣)
 رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْقَدْرَ يُبْتَلَى بِقَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِقَدْرِ زَمَانِ (٤)
 بِرِغْمِ شَيْبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ (٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَّتْ بِبَلْبَلٍ رَزِيئَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
 ففقه دره .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصار مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جنى : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التسكلم بغير معقول ؛ قال ابن جنى : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في مجمله . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدي : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطاً باتفاق من القضاء . (٣) يقول : هل يطلب أعدائك دليلاً على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدي رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلفاً غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأرباً ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصييه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب مرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقَكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانَ (١)
 فَإِنَّ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَاءَ غَايَةُ الْحَيَوَانِ (٢)
 وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانِ دُخَانِ (٣)
 فَنَالَ حَيَاةَ بِشْتَهِيهَا عَدُوَّهُ وَمَوْتًا بِشَهَى الْمَوْتِ كُلِّ جَبَانَ (٤)
 نَفَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بِرُغْبِهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النَجْمِ وَالذَّبْرَانَ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رحي فصرعه فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق قتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شيبيا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل حى فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتشير : حال من « النار » ، أو نمت لها على أن « آل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَآوِيَّ يَا رَبُّتَمَا غَارَةَ شَعْوَاءَ كَالذَّعَةِ بِالْمَيْسَمِ
 « غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : للكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم تقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريد ، فكأنه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، حذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَدْرُ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرِانِ (١)
 وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ (٢)
 أَتَتْهُ الْمَنَائِبُ فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوَاهُ وَعِيَانٍ (٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفي عن نفسه الرماح برعته ، يعنى أنه كان شجاعا يبق نفسه برعته ولكنه لم يحجر في حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التي قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد :
 أَخْشَى عَلَى أَرْبَدٍ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ (١)

(١) الشوأة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خير « أن » ؛ ومعار : خبر نان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدرك الموت فوق رأسه كيفما توجه حتى لكانه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبارة الواحدى : ولم يدرك الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال : إن امرأة أدات على رأسه رحي من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفاء في الحرب . قال الواحدى : ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شيء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهمز أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان ، يعنى في غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور : لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافور .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد المهلبى :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِمَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَائِبُ وَالْقَنَا قَصْدُ
 « قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » في لسان العرب — مادة « نوا » — والسمك : نجم معزوف ، وهما سماكان رامج وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طَرِيقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بَطُولِ يَمِينٍ وَأَسَاحِ جَنَانٍ^(١)
تَقْصِدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ عَلَى نَفْثَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافَهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانَ^(٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانَ^(٤)
أَتَمْسِكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتَمْسِكَ فِي كُفْرَانِهِ بَيْنَانٍ^(٥)

(١) سلكت : أى النايا . والجنان : القلب . يقول : لو اتته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وهلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معانا بتأييده كما لم ينفع شيئاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والمبيت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكبيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدي :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكْرٍ عَكْنَانَ أَمْ هَلْ تَرَى بِالْأَخْلَلِ مِنْ أَظْمَانَ^(١)
يقول : أدى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعاثد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطفه على تمسك قرقمه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْمَعْصِيَانِ ظَهَرَ حِصَانٍ (١)
 تَفَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ (٢)
 وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخْوَانَ (٣)
 قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوْلَى وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ نَانَ (٤)

للموصول - في صدر البيت - والنان : سير الجمام . يقول : هل يمك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شيب ثم يمك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك النان في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكفر نعمة للنعم عليه ، وهذا إغارة إلى أن « شيبيا » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جنى ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه فماذا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبها شيباً ثم يركب حصانه لمصيان من أكرمه ؟ أى لا يجمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) تفى يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جنى : ملك يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لمسا قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان اللغى أن يده - وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أى ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من ينى لصاحبه اليوم ؛ أى لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس فادر ككشيب ، فهما في ذلك أخوان في القدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسْيَ وَإِنَّمَا (١)
 وَمَالِكَ تُعْتَى بِالْأَسْنَةِ وَالْقَنَا
 وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِحْيَاهُ (٢)
 أُرْدِي جَمِيلاً جُدَّتْ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ (٣)
 لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ (٤)
 عَنِ السَّمْعِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ (١)
 وَجَدُّكَ طَعْمَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ (٢)
 وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (٣)
 فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِي أَتَائِي (٤)
 لَعَوَّ قَهْ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ (٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ماسقتك إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسي : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اخيار القسي لرمى أعدائه بها ، يقول : لاجابة لك باستجادة القسي لرمى بها أعدائك فإن أعدائك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسي سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عنى بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعدائك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا ؛ وإسكان الليم خاص بالشعر والنجاد : سمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطيني شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبي تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الأقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الآيات ، قال الواحدى ؛ هذه الآيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة وتزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يعنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضمر له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك : لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضمر له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شيء ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَّغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذُنَيْكَ جَازِرٌ^(١)

(١) أذنيك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأَشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ
وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَا مُحَمَّدًا فَظَهْرُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للمأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكُلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسره بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم المرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحيثنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فىرتفع بالعايد ، لأن المكفى للمرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يقتصر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخصى من البصريين : هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لأوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لأوسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لا كثر من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسنت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي *

قال الواحدى : ولاأكل زاده وجهان : أحدهما أن التني أناه بهدايا والطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التني يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما جمعه ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ماجزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى المدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَمِينِ أُضْيَافُهُ يُوسِفُنَا زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبَانًا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانًا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزازي في 'بلييس' يطلب منه دليلاً
فأفنده إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمِّتْ بِبَلْبَيْسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِيهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُونَهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأُسود قد جمع له شيئاً من غلمانة وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئاً .
(١) يقول : نحن في الظاهر أضيافه لأننا أتيناها ، غير أنه لا يعطيا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنياً : ليت أطلقنا اسم قال : أعانه الله على تخليّة طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ،
يذكر ويؤنث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل النى يتخذوه سبيلاً » فذكر ،
وفيه « قال ، هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بلييس : هو ذلك البلد الذى بمصر ؛ والسعاة : الكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعى ، اسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسعى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئاً فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها فى الفقراء ؛ وسعى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي فى
عمرو بن عتبة بن أبى سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَعَى عِقَالًا فَلَمْ يَبْزُكْ لَنَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والنعمة ، ونصب « عقالاً » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلبد ، يكفى بهما عن الإبل والنعمة ، والأوباد : جمع وبد ، ورجل
وبد فقير سىء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا
وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كِرَاكِرٍ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَأِ وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالًا^(١)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبِمُوضَةِ فَأَخْشِي

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبُكُ مِنْ بَسْكَ^(٢)

وقرت عينه تقرر : هذه هي اللغة الأظهى ، أعنى فعات تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سببي لكراكر : وجفون ظباها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والمراد السيوف أنفسها ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لاتزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لاتزال مسلوثة ، قال ابن جنى : لما وصف جفونهم بالسهر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكأنها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقيح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضر

(٢) البيت لثتم بن نورة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحذف على البكاء عليهم ، ومعنى اخشى : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخشى ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : ليك ، فحذف اللام .

وَوَحَّصَ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَيْثِي أَنصَى قَبِيلَهُ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَعَانِي الشُّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيث : اللطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث
والمعين ، لأحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبري « عينها » قال : والعين من الشيء
خيره وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة محلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
ورحطه وإن تباعدوا عنه في النسب : أي أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المعاني : جمع مغنى والغنى : اللزل الذي غنى - أقام - به أهله ثم ظعنوا عنه
والشعب : المنعرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بوان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند ، وطيبا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة ، يعني أنها تفضل
سائر الأماكن طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمنة . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أي تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أي يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعل التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنَّ النَّسَى الرَّبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ (١)
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجَمَانٍ (٢)

كقول الآخر:

أَتَهَجَّرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبِهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

قال: ووجه الرفع أن اللغزى: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالنسى العربي: نفسه. يقول: إني بها عريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أحمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح ویده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التي يستعملونها بأيديهم فهي الرايات والمزازيق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لغزى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان - بفتح التاء وضمها - قال الواحدى: جمل الشعب - لطيبه وطوب أهله - ملاعب، وجعل أهله جنة - جنا - لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بالفت في مدح شيء نسبتته إلى الجن، كقول الشاعر:

• نَحْيَلُ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَيْقَرِيَّةٌ •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم لهم لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل (١)
هذا: والترجمان - وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه - بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحصاح، قال نقادة الأسدى:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالنمل والنحل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَالِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج - وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ما سنك ما مالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أزدت نَقْدَى وَقَلْتُ لِإِبْلِ تَسْأَلُنِي عَنِ السِّدِّينِ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمرَ الْحِجْلِ أَوْ عُمرَ نُوحِ زَمَنِ الْفَطْحِ

طَبَّتْ فُرْسَانَنَا وَالتَّحْيِيلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمْتُمْ مِنَ الْحِرَانِ (١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتُهُ التَّقَاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتُهُ فُرَاطَا
إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقَ وَالتَّقَاطَا فَهِنَّ يُبَغِضْنَ بِهِ الْفَاطَا
* كَالْتَرُجْمَانِ لِقَى الْأَنْبَاطَا (١) *

(١) طباه يطبوه ويطبيه طبيا وطبوا : إذا دعاه . قال ذو الرمة :

لِيَالِي اللَّهُوْ يَطْبِينِي فَأَتْبِعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ
[أى يدعونى للهو فأتبعه] ويقال أطبا على افتعله فقبلت التاء طاء وأدغمت ، وفي
حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحبب إلى قلوب الناس
وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ (٢)
والحمران فى الدواب : أن تقف ولا تفرح للكان . يقول : إن هذه اللغاة استملت
قلوبنا وقلوب خيلنا بحسبها وطيبها حتى خشيت عليها الحمران وأن تقف
بها فلا تفرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء - داء
الحمران -

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَنْتَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ
عِلْمِ سَلِيَانَ كَلَامِ النَّعْلِ كُنْتُ رَهِيْنَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

[السواء : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررته : والحسل :
ولد الضب ، وسئل رؤبة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ،
قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشئ التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحسبه ، وفراط القطا :
مقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغظ القطا والحمام بصوته
وألغظ وأصل اللغظ : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :
(٢) حرك حرف الحلق من نعل لانفتاح ما قبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنعل مؤنثة
وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

غَدَوْنَا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ (١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِبَنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي (٢)
 وَاللَّقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَا نَبْرًا تَفَرُّهُ مِنَ الْبِنَانِ (٣)
 لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلَا أَوَانِي (٤)

(١) تنفص الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللالىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه الغانى صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفضه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : للشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل مؤخره فخلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق أتى الشرا بطلوها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن تمار هذه الأغصان رقيقة القشة فهى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه التمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليم لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البيهترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنْاءِ .

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلِيِّ فِي أَيْدِي الْعَوَانِي ^(١)
 وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرِيدِ صِينِي الْجِفَانِ ^(٢)
 يَلْتَجِجُجِي مَارْفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ ^(٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى بجرها وروى ابن جنى لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والعوانى : جمع غانية ، المرأة التى غنيت بحسبها شبه الأمواه ، فى اندماجها وصفاء لونها بماصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس فى المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — فى الأصل — سير العجام . واللبيق : العاذق الرفيق بما يعمله كاللبق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الحزيفت وييل بالمرق . وروى ابن جنى بفتح التاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصيفى الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغانى الطيبة دمشق — أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عنانى إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافى هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد المعجم . وقال ابن جنى — لو كانت هذه المغانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا المدوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر المدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاه لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلتجججى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذى يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير: لـ«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للنعير : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَمَلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرَحَّلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانَ (١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خِيَالٌ بِشَيْعِيٍّ إِلَى الْفَوْبَنْدَجَانَ (٢)
إِذَا غَفَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ (٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ما ذهب إليه الواحدى ، قال : تمل به أنت - أيها الرجل - أي تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قلب شجاع جرىء على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ما ذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أي ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - المنبى - ما قال لقال تمل به طى قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلما معنى غير ما ذهب إليه - أي ابن جنى - وإنما يريد - المنبى - أنك إذا حطت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالي بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنَّ نَفُوسًا أَمَّتَكَ مَنِيمةٌ *

فالقلبان فى البيت : قلبا من محل ويرحل - أي قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلد بفارس ؛ ويشيعى : يتبعى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، خيال منازل دمشق يقبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَشْمِ وَرِقَاءَ دَمِي ذُنْبَهَا الْمَدِّي (١)

(١) الذئباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه قطعتة وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلمونى معهم على فنكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ . إِذَا غَفَى وَنَاحَ إِلَى النَّيَّانِ (١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاهِدَانِ (٢)
 يَقُولُ بِشِبِّ بَوَانَ حِصَانِي أَعْنِ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعَانِ (٣)
 أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَ المَعَاصِي وَعَلَمَكُمْ مُفَارَقَةُ الجِنَانِ (٤)
 قُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ العِبَادِ وَذَا المَكَانِ (٥)

والقيان : جمع قينة ، وهي الجارية اللغنية . يريد لطيفها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه ونوحه ، لأنهم أعاجم لا يبان لهم ولاضاحه ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجي : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجي ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران في أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما في الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسي يقول لي حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرًا على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تعملون ذلك اقتداءً بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذي سن لكم ركوب المعاصي ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لكي يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سيئى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيباً فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيت نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شيء .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ (١)
 لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْتَهُمُ الطَّرَادَ بِلَا سِنَانٍ (٢)
 بَعَضُ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِي عَضُدٍ يَدَانِ (٣)
 وَلَا قَبْضُ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ الشَّمْرِ اللَّدَّانِ (٤)
 دَعَتْهُ بِمَفْرَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا أَيَّوْمَ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانَ (٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمسكه شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مداهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا أتدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره ، وإنما كان يبرهن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروي له علمت - أي لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدي : أي أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يده ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أي مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جنى : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعضد - بسكون الضاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يظن بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يده ، ومن لا يده لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروي ولا حظ - بالطاء المهملة - وهو خفض الرماح بالظمن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَمَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرًا مُمْ وَلَا يُكْفِي كَفَنًا خُسْرًا كَانِي (١)
وَلَا تُحْصِي فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ (٢)
أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ (٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكرأ . وقوله بمفزع الأعضاء رواها ابن جنى : بموضع الأعضاء ، وقال أى دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أى اجتذبه واسبأته ؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جنى - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفزع الأعضاء يعنى دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ماقل - ابن فورجه - يريد أن الدولة سمتة عضدا وهي - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعتة بعضدا وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثلة أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والسكاني : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفىها الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان فى أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث فى نواحي مملكته هيبة له وخوفاً منه .

تَذِمُّ عَلَى الصُّوسِ لِكُلِّ تَجْرٍ وَتَضْمَنُ لِلصُّوسِ كُلِّ جَانِي (١)
 إِذَا طَلَبْتَ وَدَائِمَهُمْ تِقَاتٍ دُفِنَ إِلَى المَحَانِي وَالرَّعَانَ (٢)
 فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ نَصِيحُ بَمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِي (٣)
 رِقَاهُ كُلُّ أبيضَ مَشْرَفِي لِكُلِّ أصَمِّ صِلَ أفعوان (٤)

(١) تَذِمُّ : أى الأرض . وفى رواية يذم : أى المدوح ، وأذم له أعطاه التمام وهو المهدي والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن للتبى أجرى التجر مجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نَسَائِلُ عَنِ أَبِيهَا كُلِّ رَكْبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدوح تجر كل تاجر من الصُّوسِ فلا يخافون الصُّوسِ ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هيبة وخوفاً من المدوح ، وهى تضمن لسيوف المدوح كل من يخشى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينبو من يده .

(٢) التقات : الذين يوثق بهم . والمحاني : جمع محنية ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند تقات أمناة ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا . لأن هيبة المدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أما ترانى ؟ لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحدًا . قال البلازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا ترانا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهئت ضمير الواحدة فى قوله تصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل التبية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرفى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل الصُّوسِ كالأفعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفعى ، فكأن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية الصُّوسِ بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لَمَاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهُوَانِ^(١)
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمْرِيَّ^(٢) يَحْضُرُ عَلَى التَّبَاقِي بِالْتَفَاقِي^(٣)
بِضَرْبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَآيَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي^(٤)
كَأَنَّ دَمَ الْجَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَمَا الْبُلْدَانَ رِيْسَ الْحَيْقُطَانِ^(٥)

(١) اللهم : جمع لهية ، وهي العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أطاعي
الاصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل في أيدي الناس .

(٢) شمري : جاد مشيع في الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباقي
البقاء ؛ وبالتفاني : الفناء . يقول : إن المدوح رجل شمري حمى بلاد فارس بمضائه .
يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم في الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ، وقال العروضي
إن للحمى : حمى فارس بقتل الاصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان في ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا
لهم على اغتنام التباقي ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم في القصص حياة »
ولكن يدل على المعنى الأول : البيت التالي .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمثالث والمثاني : من أوتار
العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثاني . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود
وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
قال أبو النجم :

إِنْ يَمِسُ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةَ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينزعه .
والرباص : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
أرقت بسواد وبياض قصير النقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنْ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
 وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَرِي كَشِبْلِيهِ وَلَا مُهْرِي رِهَانِي (٢)
 أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنظَرًا بِأَبِ هِجَانِي (٣)
 وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِي (٤)
 وَأَوَّلُ رَأْيِي رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدَّ عِلْقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِي (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماءهم قد كست
 البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
 لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
 (٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللمهر : الحدث من الخيل .
 والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
 ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أرقبهما
 ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
 أصله نزوعاً شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
 حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
 النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رحما في فلان » :
 حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعاً في مجالس أبيهما
 لمثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رحما في فلان : يعنى أنه لا يجرى في مجلس
 أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فعلة من رأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
 والمعالي : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو للمعالي ، فقد
 عشقاها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول دابة ، والدابة : الظئر — التى ترضع
 للولود — فيكون المعنى : إن المعالي تواترت تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
 الصبي من رباه .

وَأَوَّلُ أَنْفَظَةِ فَمَهْمَا وَقَالَ
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ
فَمَهْمَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلِكِ الْأَعَادِي
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأْتَرَاهُ
دُعَاءَ كَالشَّاهِ بِلَا رِيَاءِ
إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانٍ (١)
فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَمَّهَا الْجَفَانِ (٢)
بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَمَّسَدَانِ (٣)
وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ (٤)
لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفٍ أَنْيْسِيَانِ (٥)
يُؤَدِّبُهُ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ (٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و«لفظة» : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلا يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك شمسان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوءهما ، وأن لا يكون بينهما تحامد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الأعداى ، ولا وراثك إنما وراثنا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كأتراه : فأخراه بالكثرة ويأى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأترك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وغره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءى أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فخرنا — أى ابنا المدوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة اليادين فى أنيسيان : أى آيدين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا الذى الثانى أنسب وأقرب والسبب فى بدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرياء : التظاهر بغير ما فى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رثاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

قَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهُ فِي فِرْنِدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ (١)
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي (٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليمني : نسبة إلى اليمن ، شبه المددوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليمني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَأَهْرَاءَ وَلَا تَزُرُ (١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغو من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالذَّهْرُ لَفِظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقمه ويروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزِينَ مَا كُنْتُ فِيهِ وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ ^(١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنِيَّةٌ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ^(٢)

* * *

(١) الحيز : السكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شئ رفعتة فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَمَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَهُ أُجْدُ ^(١)

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة قنسب إليها تكون
منها يغلون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا
ولنمد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبرى . الحيز فيعل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيبويه يجمعه حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيبويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامى :

تَحْيِيزٌ مِنِّي خَشِيَّةٌ أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْعَى تَخَافَةَ ضَارِبِ ^(٢)

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتثوين — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يعنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قود — بالتحريك — اسم لأداة الرحل العيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى التى شبهت بالعير — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لهجد موقفة الحلق .

(٢) يقول : تمنحى هذه العجوز وتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفا .

وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوِشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ (١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أُيَقِنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَبْنِي نَصْرَهُ (٢)

وقال يمدح أبا المشائر ويودعه وقد أراد سفراً :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالدهرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ (٣)
وَالجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالبَّاسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ (٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو ونهب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرتك بالوجود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للثني بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجمل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحني وتمسحن القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن انتقلت القافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإبطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ البريةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا
ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

واللهُ يَمْلُمُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ
(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ (١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِينِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ (٢)

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال العجاج :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ (١)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبِمَضْمُومٍ تَعْلِي بَدْمٌ مَنَاقِعُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت أراها تعلق مرة وتنفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول التنبي : أنت من
الجدود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة العين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَسَكَانُكَ الْغَمِيَانِ وَالْأَذْنَانِ

(١) المأزق : الضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير في فرسانه : يعود على للمأزق ؛
وفي تحاماه ؛ يعود على الذي ؛ وأغبر : أي كثير الغبار ، صفة للمأزق ؛ وتحاماه
- بحذف إحدى التاءين - أي تتحاماه . يقول : أفدى الذي تتحاماه الأبطال في الحرب
لأنها تكره ملاقاة لشجاعته .

(٢) فيه : أي في ذلك المأزق ؛ والكمي : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المدوح الذي يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه - تنثني وتموج - قنائة ربحه
لئنها حين يحمل قرنه بربحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمي منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جنى : سأله - التنبي - عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض بريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله

تقفض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تَنْشِدُ أَنْوَابَنَا مَدَامِحَهُ بِالْأَسْنِ مَا لَهْنُ أَفْوَاهُ (١)
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنِ مِسْمَقِيهِ عَيْنَاهُ (٢)
سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْوَانِهِ لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ
لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ (٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقِنَاةَ بِفَارِسٍ وَثَنَى فَقَوْمَهَا بِآخِرٍ مِهْمُ

(١) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم نيابا تنشد مدائحهم فيه بألسن ما لهن أفواه تقعع لجدها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها . قال العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ولم يكن للحقائب جمعجة . إنما أراد أنهم يرونها مملئة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس خلمه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحهم بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ، فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم

الذي لا يسمع . وهذه الأثواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أي كن مما ينال ويحرز .

قال المكبري : وهى بالكسر - أى كسر النون - أفصح من الضم وقال الواحدى : نلن : وزنه فعلن - بضم الفاء - مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر - مثل قيل - لئلا يلتبس فعان وفعلن - أى المعلوم بالجهول - والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لونيلا وأحرزت لفرقها المدوح فى جملة عطاياه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ، وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها فى المرعى وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمساً .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ (١)
إِنْ كَانَ فِيهَا نَزَاهٌ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ (٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشار وأنت تعرف بكنيته فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَعْرِفْ ذَلِكَ عَيْشًا إِذَا وَصَفْنَاهُ (٣)
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ (٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لادين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنيته عيا منا ، لأن وصفه يعنى عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَسْتَمُّ خَيْرٌ مَن رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
أى أتم خبر من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « ألم تكنه » معناه كنيته والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال : ألم تكنه ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعات كذا . ولم تقل : ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلبس معانى الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعانى مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته . (٢٦ المتنبي : ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسَبَّحَ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارٌ مُبَارَكَةٌ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدَّوْرِ أَنْ تُسَمَّى بِسَاكِنِهَا دَارٌ غَدَا النَّاسُ يُسْتَسْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نُهْنَهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّمَهَا^(٤)

ولا يتوقى: رواها الواحدى: لا يتوقى، قال؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية، وهذا اللفظ رجلا يزيد معناه على معانى الورى كلهم، لأن فيه من معنى الكرم وللدح مالميس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١) أفرس: أى هو أفرس؛ وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل وسببها: عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر. ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «ليس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبب الجياد جعل الحديد أمواها.

(٢) الملك: تخفيف الملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(٣) استسقاها: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم.

(٤) يقول: هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنها بعودك إليها، فمن الذى يأتى الدار التى فارقها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرارك إياها؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تَيْبًا^(١)
 لَا يُنْكَرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارِ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَا تَيْبًا^(٢)
 أُمَّمٌ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوْلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسنى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستنوى
 وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
 ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
 وقال بهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ ، كَانَتْ لِنَا مَا فَأَلْأُمُّهَا رَبِيعَةَ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
 وَإِنْ تَكُ طَيِّبٌ ، كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانَ لِنَيْرِهِمْ أَوْهُ^(٥)

(١) تاه فلان تها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
 عن مكان آخر تاه الثانى — الذى حلته — على الأول — الذى فارقت — وافتخر عليه
 بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعنى جمع معنى وهو النزول والسكن
 يقول : لا ينكر على الدار التى تحملها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
 بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
 و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقها على معناها ولك أن تحصلها بمعنى الواو . يقول : إن
 كانوا لثاماً فألأمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراماً فأبو وردان ليس منهم ، أى هودعى
 فيهم ، وقال العكبرى ؛ تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوصيت رجلا
 بوردان تشية ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجر به مجرى مروان فتعربه كما عرابه
 ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التشية ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت
 وردين ، وفى جرّه مررت بوردين .

مَرَزْنَا مِنْهُ فِي حِسْتَى بِمَبْدٍ بِمَجِّ الثُّومِ مَنخِرُهُ وَفُوهُ (١)
أَشَدُّ بِعَرْسِهِ عَنِّي عَيْدِي فَأَتَلَفْتَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ (٢)
فَإِنْ شَقِيتُ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتُ بِمُنْصَلِي الْوُجُوهُ (٣)

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَا خُسْرُو سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ :
أَوْهٍ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَهَاهَا لِيَنَّ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا (٤)

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومع الشراب والشيء من فيه يمجج مجا ومع به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّجُوا التُّصْحَ مُمْ ثَنَوْنَا فَنَاءُوا

(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان بعبد قد أقم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شد العبد : إذا هرب وأشدته غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .

يقول : فرق عني عبيدي بسبب امرأته ، يعنى أغرامم بالفجور بها و دعاهم إلى ذلك فأتلغهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلغوا مالى لأنهم أتلغوه على امرأته .

(٣) الجياد : الخيل ، وللنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .

يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شق وجه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفا لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قول :

فَأَوْهٍ لَدَّ ذِكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتَهَا وَمِنْ بَمْدٍ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَا

وواها : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهَا لِرِيَاثِي وَوَاهَا وَوَاهَا

أَوْهٍ لِيْنٍ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَضْلُ وَأَهَا وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
 شَامِيَةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاطِرِي مُحَيَّاهَا^(٢)
 فَقَبَّلَتْ نَاطِرِي تَمَاطِلِي وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَأَهَا^(٣)
 فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأنى لا أرى محاسنها ولولم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والهما الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حق أنها منه بحيث ترى وجهها فى ناظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى ناظره إلى وجهه وتدنون منه لحبه حتى ترى وجهها فى ناظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شيء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فأها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فأخذته مأوى لها لكان ذلك منأى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آويه واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آويه ، كما قل الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ
 تَرَهُ كَتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ
 مَن لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
 قَدْ ذَلَّ مَن لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
 أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تَزُجِي سَلَامَتَهُ إِلَّا فَوَادًا دَهْتَهُ عَيْنَاهَا^(١)
تَبِيلُ خَدِي كَلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ تُنَايَاهَا^(٢)
مَا نَفَضَتْ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلَتْهُ فِي الْمُدَامِ أَفْوَاهَا^(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنٍ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهته : أصابته ، ويروى رمته . يقول : من أصابته بينها فتيمة لم ترج سلامتة .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقتت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعي كالطر تبيل خدي ، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دموعي مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْيَكِي وَتَبَسْمِ *

وكقول غيره :

أَبْيَكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى مَجِيئًا كَحَاضِرِ ضِحْكِ وَبُكَائِي
ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي :

عَذِيرِي مِنْ ضِحْكِ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ
(٣) الندائر : الضفائر ، وهي الدوائب من الشعر ؛ وللدام الحمر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غدائرها لكثرة ماضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غدائرها الطيب في يدي طيبت به اللدام .

(٤) في بلد : هذه المحبوبة في بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالحجة يزين بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة العروس . يقول : هي في بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشهنها في الجمال ، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهم بعضا .

لَقَيْنَا وَالْحُمُولُ سَاتِرَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مَقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَنْقَطِرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصْمًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ حَيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَدُّهَا وَتُفَاحَ لُبِّ نَانَ وَتَغْرِي . عَلَى حَيَاهَا^(٥)
 وَصِفَتْ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشْتَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهوادج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقينا وقد سارت الركاب بين وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جنى معنى : « فذبن أمواها » أجبرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفرقتنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهم قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادى سائرات فاستجيبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكان مقلتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسيكم ، يعنى أنها مهاة صائدة لاصيدة .

(٣) فهين : أى فى كل مهاة . يقول : فهين من هى منبعة لايجرؤ العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعا ويفار علمها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخناصرة : بلدان بالشام . وحيهاها : موطن حياتها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغرى : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الوضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وثرغرى وتفاح الشام — وهو أحرر — وشرب اللدام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصحصحان : الأرض

١) إِنْ أَغْشَبَتْ رَوْضَةً رَعَيْنَاهَا أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا
 أَوْ عَرَضَتْ عَائَةٌ مُقْرَعَةٌ صِدْنَا بِأَخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا
 أَوْ عَبَّرَتْ هَجْمَةً بِنَا تُرِكْتَ تَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَقْرَاهَا
 وَالخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجْرُ طُولَى الْقَنَا وَقَصْرَاهَا

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقيمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقيمت
 بالصحرى حين شتاء كشتاء أهل البادية : أى طلى رسم أهل البادية وعادتهم فى الصيد
 والغزو ونحوها مما ذكره فى الآيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلّة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان
 وهذا البيت كالتفسير للذى قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل
 البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم
 وأغرنا عليهم .

(٢) العائّة : القطيع من حمر الوحش . ومقْرَعَةٌ : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى
 قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد
 على قانسها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بأخر خيلنا أولاهها ،
 يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو
 — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى
 على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شربت ، جمع عارب ، يريد الذين يشربون الخمر ،
 وعقراها جمع عقير — أى مقصور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ،
 يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مررنا بقطيع من الإبل سلطنا عليه
 فعقرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ،
 وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث
 الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى
 وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « وقولوا
 للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى فى
 شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا^(٢)

كَانَ صُفْرِي وَكُبْرِي مِّنْ فِقَاقِمِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِّنَ الذَّهَبِ

أراد صغرى وكبرى فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكِماة : جمع كمي ، وهو البطل اللطيف بسلاحه ؛ و ينظرها : يميلها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يجب فرسان الخيل قتلهم الكِماة : أي
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بدم لكثرة المغاورة وفسو الحرب وطلب
النأر : وقال ابن جنى : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أي يجب خيلنا قتل الكِماة ، ألا تراه يقول في موضع آخر :

تَحْمَى الشُّوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيران الذي يعرف كثيراً من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جنى : أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلها »
فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأعمى :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جنى قال : ليس هذا بشيء لأنه يريد بقتلها من قتلته وقتله

أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بدمهم . وبعد : فالمعنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكِماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضاً لأنهم يهلكونها
بكثرة الركض في الغارات أو لأنهم يحرقونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أي جميعاً حال ، قال المعري : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

(١) بغير أ كوم وناقة كوماه : عظيمة السنام عاليه ، والهجان : الإبل البيض
السكرام ، يستوى فيه الذكر واللؤث والجمع ، يقال بغير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعني الآباء والأهبات ، والسابج : السريع في
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُهُمْ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا (١)
 أَبَا شُبَّاعٍ بِفَارِسٍ عَضَدَ الْدَوْلَةَ فَنَاشَرُوْهُ شَهْنَشَاهَا (٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا (٣)
 تَقُوْدُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُوْدُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا (٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا (٥)

(١) يقول : ومن منا يأمركم بكفه يصرها فيهم كيف شاء ، فهو يحيى من شاء منهم - من الملوك - أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه قال ابن جنى : هذا البيت على أنه قصر الوزن قد جمع فيه كنية المدوح وبلده واسمه ونعته وصماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع والمدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قل ذكرت أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التي ذكرتها لم تزد معرفة فوق شهرته فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وصماها : قال ابن جنى : وهذا كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما يذكر الوصف للاسم إما للايضاح كى يتميز عن غيره كتولك مررت بأبى محمد الكاتب وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يحيى . للايضاح لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للاطناب فى الثناء وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا نبي إلا أبا شجاع فأبما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التي يبنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبرة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعانى فهي ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بتقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الْخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَافَاهَا^(٢)
تُصَاحِبُ الرِّاحُ أُرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جنى : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها للمدوح وأن تصيبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزم الريه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والحلة : الحصة والثلمة ؛ وعلافاها - بحذف إحدى التاءين - أى تلافها : أى تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا تزيده الحجر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلة تلافها الحجر ، وأول هذا المعنى لحنجرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأَمْ عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تَهْلِكُ الْحَجْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الْخُمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيَادِي عُودٍ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحري :

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكُثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمَنَّ أَنْ يُحَدِّثَنَّ فِيكَ تَكَرُّمًا
والمصابي بيت المتنبي في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال الممرجوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب حماد الاستكمال ؛ فلا نجد الكهولة خلة تلافها بتناول المدة وثلمة يسدها بمزايا الحنكة .

(٣) الراح : الحجر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الراح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء مالا تجلبه الراح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الراح ، فلا تطبق الراح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضنه .

تَسْرُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ مُمَّ تَزِيلُ الشَّرُورَ عُقْبَاهَا (١)
 بِكَلِّ مَوْهَوْبَةٍ مُوَلَّوَلَةٍ قَاطِئَةٍ زِيْرَهَا وَمَشَاهَا (٢)
 تَعُومُ عَـوَمَ القِذَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الأَمِيرِ يَفْشَاهَا (٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفِرْتِهِ إِشْرَاقَ الأَفَاطِهِ بِمَعْنَاهَا (٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقَهَا وَمَغْرِبَهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا (٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الربة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والكرائن : جمع كرينة ، وهي الجارية اللغنية . وقال ابن جنى : الكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه اللغنيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والمعطاي ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حتى يب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزرير :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . وللثني : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول جزئاً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة
 ونحوها . والزيد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يملوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطايها الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزيد يملوها ويغلبها
 سائر مواهبه كما يملو الزبد القذاة ، وروى ابن جنى زبد - بكسر الباء - وهو الكثير
 الزبد لكثرة ماله .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق أفاظه بمائها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فَوَادِهِ مَمَمٌ مِلَهُ فَوَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا (١)
 فَإِنْ أَنَى حَظَهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا (٢)
 وَصَارَتِ الْفَيْلِقَانِ وَاحِدَةً تَفَرُّ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا (٣)
 وَدَارَتِ النَّسِيدَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَعْمَارُهَا لِأَبْيَاهَا (٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فواده هم لعظمتها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان - مع سعته - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همه ، وأصل الهممة من الهميم ، وهو الديدب ، وهمت الهوام ، طى وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفاً :

تَرَى أَثْرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شِبْثَانَ لَهْنٍ مِمِّمٍ

[الشبثان جمع شبث ، وهو العنكبوت]

(٢) يقول : فإن أنى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنته باعتبار الكتبية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - نخلط الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتكثر الأحياء منهما بالوتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فواده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبيدها ، لأنه لا يجد زماناً يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبخنها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يمتدحيمهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنْفَعًا بِهَا مِنْ جَيْثَةٍ وَذُهُوبٍ

(٤) قال الواحدي : أراد بالنيرات والأقار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

الْفَارِسُ الْمُنْتَقِي السَّلَاحُ بِهِ الْمُنْتَقِي عَلَيْهِ الْوَعْيُ وَخَيْلَاهَا^(١)
 لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
 وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيَاهَا^(٣)
 الرَّاسِعُ الْمُنْدِرُ أَنْ يَنْبِيَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأتقار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
 يبدى همه ، وعبارة ابن جنى : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
 نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأتقار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
 وتسجد : تذلل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمنتقى ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للمنتقى وخيلاها :
 ثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
 الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طى قال :
 كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
 وتثى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
 الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثى عليه لأنه يرى من
 شجاعته وإقدامه ما لا يسهه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
 لا يعمل معه شيئاً .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
 يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
 والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
 للرار الفقىسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوَطٌ أَوْ جَدِيلٌ

والناقع من اللوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس
 شاره حتى يقتله . وسهاها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
 سيلها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها وللوت به من علاماتها ، أى أن من
 ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى يتنبأ : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نَفَمَتَهُ لَمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا (١)
 كَالشَّمْسِ لَا تَبْتغِي بِمَا صَنَعَتْ مَنفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا (٢)
 وَلِ السَّلَاطِينِ مَن تَوَلَّاهَا وَانجَأ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدْيَاهَا (٣)
 وَلَا تَقْرُنْكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي (٤)
 فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَقَمَ الْخَافِقِينَ سَرِيَاهَا (٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيتها عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْ هِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرًا

(١) كفر : جحد . وعدت :جاوزت : والسجايا : الطباع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجايا الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُغْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَاللِّخْوِ فِي وَلَكِنْ يَلْدُ طَقْمِ الْقَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تجور ومنها تحصل ثم هي لا تبتغي - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أي ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدْيَا النَّاسِ كَلَّمْتُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَن بَيْنِنَا

يقول : كل أمر اللوك إلى من يتولاهم ، أى لا نخدمهم ودعمهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجا إلى المدوح تكن مثل اللوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدالله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) في غير أمير حال من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وبأهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقه وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عدها فهو أمير مجازا .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الراضحة إذا ملأت

مُنْتَمِسٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سَلِمُ الْمَدَى عِنْدَهُ كَمَنْجَاهَا^(١)
النَّاسُ كَالْمَأْبِدِينَ أَلْمَهُ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ^(٢) اللَّهُ

خياشيمه والحقاقان : أفقا للشرق وللغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذي ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، ونتم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أقم المسك البيت أى ملأه بريجه ، وفعمت للمرأة ضامة وفعموة وهى فعمة : استوى خلقها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، ومخلخل فعم قال :

فَعَمٌ تَخْلُجُهَا وَعَثٌ مُؤَزَّرُهَا عَذْبٌ مَقْبَلُهَا طَعْمُ السِّدَا فَوْهَا^(١)
وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كمنجهاها : كحربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه طابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هومبتسا ضاحكا ، وصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبد : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم اللوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواء ومن يخدم سواء لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الباء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءَهُ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(١)
تَمَنِّيَتْهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنِ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تمييز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، التى القى تمناء ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك للموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى المنية — الموت — فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أفسى الأدواء ، وللمنية إذا صارت أمنية فهى غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأعياء الأوس : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للمداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية — الموت — لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المرء المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . والجمانى المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- : إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجمانى تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل التهم موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلِمَ طَالَ حَمَلِي جَمَنَّهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَن تَعَرَّضَا
(٢٧ — التنى ٤)

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرَّمَاحَ لِغَارِقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِثَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
 قَمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
 حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعناق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكده يصبر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكده يصبر عنه فدخل في باب المسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجليح^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد

(٣) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تغدر بي أنت، أي لا تمكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي، وقال ابن جنبي يعاتب قلبه على حينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لغة في أحببت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهرى وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل - بالكسر - إلا وبشركه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكسر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعاع النهشلي:

أَحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْزَقُ
 فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجليح: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي
 (٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنْ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيًا (١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِأَثَرِ الْعَادِيَيْنِ جَوَارِيًا (٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا أَمَالٌ بَاقِيًا (٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذًا في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَطُؤِي غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلا يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيتة أيضا : إذا أعتبتة وأزات شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنعمها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها ما غلبها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمَدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَمَدَّنِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّهَا نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلْمًا نَجْفِيهَا * (١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفكك إياه . ثم هدده فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادين كانت غادرة برها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاءه كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من المن به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبید ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهي كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما ترفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفضته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءَ مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا^(١)
أَقْلٌ أَشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتَكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى للن - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكان هذا المعنى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللن والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا برّاح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتغال من اللق ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم :
مُسْفَعَةً كَأَنَّ الْحُمْصَ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جنى : جميع عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الرجح المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشتقى إلى من فارقته ، فإنك تحب من ليس بجازيك بالحب ، كما قال البحتري :

لَقَدْ حَبَبْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ هَنَّى وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَأِ بِجَازِيَنِ

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقلبه . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهل والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْرَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيًا^(١)
وَلَكِنِّ بِالْفُسْطَاطِ بِمَجْرًا أُرْزَتُهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَائِيَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَانَا يَتَّبِعُنَ الْمَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس في صفة الألف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لسكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت ألوفا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيل إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبيكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفسطاط وفسنطاط وكسر الفاء لغة فهين : وأرزته : تعدية زار والماء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحى : إخلاصى . والقوائى القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من الحماد التى تنسى من فارقه ، فزرتة بحياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه ألوفا لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكفى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والموالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأرزته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِأَلْحُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدَتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَزْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأزب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأزب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كَلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
 وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
 وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُنْجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيًا^(٣)
 مُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الْأَفْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيًا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التاءين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة آرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْفَعْنَ فِي الرَّكْضِ أَمَامَ الشُّبُقِ حَوَافِرًا كَأَمْتَبِرِ الْمُفَلَقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباحق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تربها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجية ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبارة الشعراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل ترى الشخص البعيد كبيتته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صفر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذانا ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . وللنجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالتناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أخفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير العجم ، وهى

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجَنَمُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنَمِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعتتها ثم شبه أعتتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة.

رَجِيْعَةٌ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى بُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك؛ وبه: أى بالعزم يقول: سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جنى: لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه، وفي معناه لأبى تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمَا
وطريق أبى تمام أسلم، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة؛ إلا أنهم يقولون: انخلع قلبه فمات؛ والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه؛ يعنى ذكاهه وتيقظ فؤاده، فكان قلبه ماش في جسده.

(٢) قواصد: حال من الجرد، والسواقي: جمع ساقية؛ وهى النهر الصغير يقول قصدا بها كافوراً وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحترى:

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرِيِّ لِي مَوْزِدًا فَحَاوَلْتُ وَرَدَ الْفَيْلَ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
«الصبرى: نهر» روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال: له الويل أ جلفى ساقية وجعل الأسود بجرأ. قال العكبرى: وإذا كان للتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نبض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحد ما أعطاه على بن حمدان - سيف الدولة - ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

(١) الرجعية والرجيع من الإبل: ما رجسته من سفر إلى سفر وهو الكال والشجاع: الأفي.

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَا قِيَاً^(١)
نَجْوَزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَاً^(٢)

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو اللثال الذى يرى في السواد . والمآقى جمع مآق والمآق والموق: طرف العين مائل الأنف، والملاحظ طر: فها مائل الأذن؛ قال الواحدي جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبناؤه وأن من سواه فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبرة التبريزى : شبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَهَا صُيِفَتْ صَبِغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)

ولأن الشيء يذكر بالشيء فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيِّضَاهُ مَتْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُمَيْونِ يَحْسِبُهُ النَّأَا ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوموز : تتخطى ، وعليها : أى الحيل ؛ والأيدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الحيل تتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى فى وصف سواد حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشِّ قَرٍ وَلَا كَلْفَةَ وَلَا بَهَقَ

ليست من العبس الأكلف ولا لاله ملح الشفاه الخبائث العرق

بل من بنات الملوك ناعمة تنشر بالادل ميت الشبق

إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
 تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرَهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَدَارِيَا^(٢)
 يُبِيدُ عَادَاتِ الْبِقَاعَةِ بِالطَّفَةِ فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على النبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعهم وعطاياه - ولو أنه قال :

* نرى عنده إحسانهم والأيايا *

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده ينفى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا ولكن فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، وزجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فسرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان رجوا لقاءه مذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعمار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للراضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن رجوا أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « قى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تصد قى .

(٢) العون : جمع عون ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة .
 والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه بعل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المكرمات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكرم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً
 يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ

(٣) البقاعة : جمع باغ ، وهو العتدى ؛ يقول . يسلم سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أعتادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
 لَقَيْتُ الْمَرُورِيَّ وَالشَّنَاطِيْبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيرًا يَبْزُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
 أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَحْصُ الْفَوَادِيَا^(٣)
 يَدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشناخيب : جمع شخوب وشنخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهرى : شناخيب الجبل : رءوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تبيس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لثقتين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكدده قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلماسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولأن تجمعه عطفًا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والفوادي جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحًا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالًا ودلالًا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكك وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا^(١)
 وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا^(٢)
 فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا^(٣)
 وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا^(٤)

(١) يقول: إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بمطانتك فالأخذ منك يكسب الآخذ شرفاً ويعلى عمله، كما قال أبو تمام:

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا
 قال الواحدى: ويجوز أن يريد بقوله «تعطى المعالى» أنه يب الواليات والأمر التى يشرف بها الناس فالمعالى من عطاياها كما قال البحرى:

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعَلَى فِي نَيْلِهِ الْمَوْهُوبِ
 وقال ابن جنى - وكان يسيئ الظن بدائع التنبي في كافور، ويحاول أن يحيلها هجاءً: المعنى: عطاؤك يعلى محل أخذه، وهذا مما يمكن قلبه، يريد: إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها. لأنك لا تحسن تديرها، فكانت قد سلمتها إلى من يحسن تديرها، فهم يقيم عنده.

(٢) غير كثير: خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده؛ والراجل: الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما، والعراقان: الكوفة والبصرة، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم، قال ابن جنى: هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للكارم، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا، وهكذا أبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر التنبي - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدري الناس به وبمراميه.

(٣) العافى: السائل واحد العفاة. يقول: إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك، يصفه بالشجاعة والجود.

(٤) المجرّب: - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وقانيا : مفعول ثانٍ ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرّفها وعلم أن جميع ما فيها يفي ولا يبقى ولذلك تمها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما يفي ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للكلام واستعمالا للأدب في مخاطبة الملوك ؛ قال الفكبري : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن علف :

إِنَّ السَّمَانِينَ وَبُلَّتَهُنَّ قَدْ أُحْوَجَّتْ سَمِي إِلَى تَرْجُحَانِ^(١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يَا ابْنَ الذِي دَانَ لَهُ الشَّرْفَانُ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ المَغْرِبَانُ
وبعد : البيت بعده :

وبدلتني بالشطاطِ انحنا	وكنتُ كالصَّمْدَةِ تحت السنان
وبدلتني من زماعِ الفتى	وهمتي هم الجبانِ الهدان
وقاربتُ مني خطا لم تكن	مقارباتِ وثنتِ من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى	عنانةً من غير نسجِ العنان
ولم تدع في المنستمعِ	إلا لسانِي وبحسبي لسان
أدعوه به الله وأثنى به	على الأميرِ المصمبيِّ المهجان
فقرَّباني بأبي أنما	من وطئني قبل اصفرارِ البنان
وقبل منماي إلى نسوة	أوطأهنَّ حرَّانُ والرَّقْتانُ

« الشطاط : حسن القوام ، والصمدة : القناة المستوية ، والزماع : المضاء في الأمر والهدان : الوحمة الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحدته عنانة يشير إلى ضعف بصره ، مكانه يرى من وراء سحابة . والمهجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت . »

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَهَ النَّوَاصِيَا^(١)
 عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
 لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْمَجَاجِ كَأَنَّمَا
 تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
 وَقُدَّتْ إِلَيْهَا كُلُّ أُجْرَدٍ سَاجِحٍ يُؤَدُّ بِكَ غَضْبَانًا وَيَبْنِيكَ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتمنى . والنواصي : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكروهم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصي الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتَى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِيهَا لَأَبْلُحَاطِي وَالْجُدُودِ
 ومثله قول يزيد الهلبلي :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
 وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ الشَّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
 (٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراد جمع مرقة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تمتد فى العالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) المجاج جمع عجاجة : وهى القبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلما كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيت غير صف لكراهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساجح السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصفرك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب يظنرك بأعدائك .

وَنُخْرَطِ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً

وَيَعْنِي إِذَا اسْتَنْذَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيًا^(١)

وَأَمْرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارداً وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيًا^(٢)

كِتَابٍ مَا أَنْفَكْتُ تَجُوسُ عَمَائِرًا مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاءَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيًا^(٣)

(١) نخترط : عطف على أجرد . وأراد بالخنط السيف المنتضى السلول وأمر : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في الضريبة وإن نهيته واستنذيت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نفاذه في الضريبة .

(٢) وأمر : يريد رمحا أممرا ذا عشرين كعبا أو ذراعا . وواردا : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إيراده الخيل . أى في إيرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدماهم ويرضاك ساقيا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها . فكل منكرا راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو تَقَّةِ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بى أيضا صاحبا فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما انفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتاب : جمع كتيبة القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعمائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحمى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظفنها وإقامتها ونجحتها ، وهى من الإنسان الصدرسمى الحمى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأحنس بن شهاب التغلبي :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّةِ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبٌ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعينى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا (١)
 وَأَنْتَ الَّذِي تَنْشَى الْأَسِنَّةَ أَوْلَا وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا (٢)
 إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةً فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلُ النَّسَاوِيَا (٣)
 وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَاكَ لِنَسَلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِي نَسَلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا (٤)
 مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَفْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافيا : الفاويز والقلوات يقول : إن لك كتائب أو قدت كتائب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن قطعت إليها القلوات البعيدة ، يعنى أن كتائبه لا تزال تاتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتائب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهلمات : الرؤوس . والمعانى : جمع مغنى وهو المنزل يعنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتائب ديار الملوك حتى قتلتم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون الملوك ، فيكون الضمير فى هوماتهم للماثر ويكون المعنى : غزوت الماثر دون الملوك لأن الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنشى : تاتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت - صنعت - الهند سيفين فجعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ، ولنسله صلة القول . يقول : لورآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابتة وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ الرئيس . قال الجواليقي : واصطلحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع - وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذى -

دَعْتُهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَا وَقَدْ خَافَ النَّاسُ النَّفْسَ الدَّوَاعِيَا^(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيًا^(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس
نعلا فرأى أبو الطيب شقوفاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوهُ :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيًا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيًا^(٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِيسَةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَخَازِيًا^(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأنصاه : أبعده ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بلغه الله غاية
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دعتهُ : أى النفس ، و « إلى » متعلق بدعته أو لبهاها على طريق التنازع . يدل
دعته نفسه إلى المجد فللبهاها وأجابها ، أما غيره . فإذا دعتهُ نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها
هو ، فغيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نائياً : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقد كنت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسي في قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
في حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة
بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى أمين مينا وتخاف إخلاقاً وتغدر غدرًا ، وهلم
جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع في بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال في
الحياء : خزى يخزى خزيًا وخزيت فلانا إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَظُنُّ ابْنِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْبَطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)
 وَتَعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي الْفَعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا^(٢)
 وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَلْوَنُكَ أَسْوَدٌ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا^(٣)
 وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْمَبِكَ شَقَّهُ وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظَرُ^(١)
 يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحسفا وسوء كيلة : أى أجمع
 بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم محاز ؟ أى
 كأنك محاز ومقابح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغيبة : السرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
 وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
 ناعظ جلد رجلتك ، وقوله تعجبني : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
 النعال تشبها بالترفيع كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلتك نعالا ،
 وإننى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأننى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدري لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
 أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك
 أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت به وقت ما كنت
 مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله فى ثوب من الزيت :
 فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
 فكأنه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
 الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع السوداء زيتيا ، أى أنت فى حال كونك
 عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا
 البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضوح بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
 وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتِكَ مَادِحًا
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنِّي
وَمِثْلَكَ يَوْمِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
أَفَدْتُ بِلِحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيًا^(٣)
لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِيًا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحتك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لا تفطن لذلك ولا تفرق بين اللدج والهجاء ، ولكن الناس فهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لادمج .

(٢) هذا تفرغ على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبيتين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى المصراع الثانى : إما بمعنى استفتت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدرأ . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفتت للملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى للملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللباسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الأبيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه السكافورية :

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ

المسح فهرست

فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام
مطلع القصيدة :

الصفحة

٣	كدهواك كل يدعى صحة العقل جهل
١٥	إنك فإنا أيها الطلل الإبل
٢٧	ما أجدر الأيام والليالي ومالي

قافية اليم

٤٣	وفاؤكما كالربع أشباه طاسمه	ساجه
٦١	أين أزمعت أيهذا الحمام	النعام
٦٧	أنا منك بين فضائل ومكارم	دائم
٦٩	إذا كان مدح فالنسب المقدم	متيم
٨٠	واحر قلباه بمن قلبه شبم	سقم
٩١	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم	الألم
٩٣	قد سمعنا ما قلت في الأحلام	النسام
٩٤	على قدر أهل العزم تأتي العزائم	المسكارم
١٠٩	أراع كذا كل للوك هام	غمام
١١٥	أيا راميا بسمى فؤاد مرامه	لسهامه
١١٨	رأيتك توسع الشعراء نيلا	والقديما
١١٩	ذكر الصبا ومراتع الآرام	حمامي
١٢٩	عقب اليمين على عقب الوغى ندم	القسم
١٤٣	كفى أراني وبك لومك ألوما	أنجما
١٥٠	إلى أي حين أنت في زى عرم	كم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللحم	ضيف ألم برأسى غير محتمم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إني
١٦٤	السكرم	إذا ما شربت الخمر صرفاً مهناً
١٦٥	الخرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملامي النوى في ظلها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	نرى عظامها بالبين والصدأ أعظم
٢١٤	فقسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	ألسا	مانقلت في مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأئمى إن كنت وقت اللوأم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقسا
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت في شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هيناما	روينا يا ابن عسكر الهامما
٢٦٢	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٢	ميمم	فراق ومن طارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكما يجمل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك السكرم
٢٨٢	الهموم	أما في هذه الدنيا ككرم
٢٨٢	اسمه	يذكرنى فاتكاً حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم في الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد في الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	زور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٣	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حتى منك تكرمه
٣٢٥	ويبنى	إذا ما الكأس أرعشت اليبين
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاضل الناس أغراض لنا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إحسان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الحيزان	ما أنا والحجر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التعلل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القمران	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيلبليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغاني الشعب طيباً فى المغاني

قافية الهاء

٣٩٧	تنميه	أغلب الحيزين ما كنت فيه
٣٩٨	فكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة :

الصفحة

٤٠١	وصفناه	قالوا ألم تكنه فقلت لهم
٤٠٢	فيها	أحق دار بأن يسمى مباركة
٤٠٣	بنوه	لئن تك طي كانت لثاما
٤٠٤	ذكرها	أوه بديل في قولتي واهما

قافية الياء

٤٠٧	أمانيا	كني بكداء أن ترى الموت شافيا
٤٣٢	راضيا	أريك الرضالوأخفت النفس خافيا

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت

لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:

جَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصْوَيْهَا سَابِرِي مُشْبَرِقُ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:

ما زلت أسمى معهم وأختلط حتى إذا جاء الظلام المختلط
* جاءوا يضيح هل رأيت الذئب قط *

وقد فاتنا أن نملق على هذا الرجز بما يأتي :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للمعاج وقد رواه البرد في
الكامل على هذا الوجه :

بَدْنَا بِحَسَانٍ وَمِعْزَاهُ تَتَطُّ مَازَلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُّ
وروي بعضهم بعد قوله بدنا بحسان ومعزاه تتط هذا البيت :

تَلَحَّسُ أُذُنِيهِ وَحِينًا تَمْتَخُطُ فِي سَمَنِ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ
وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان
وتتط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،
وفي سمن : متعلق بقوله تمتخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط:
اللبن الخيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،
وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل
على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واخطت » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بدمسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرْمِثَ الْحَى حَيًّا مُصَبَّحَا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِيْفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةَ نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِسَا
إِذَا التَّخِيلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَأَيَّ يَرْجِعُنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أرميث الحى حياً مصبوحاً ... قال المرزوقي : أى لم أر مغاراً عليه كالدين صبحناهم ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصبوحاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب قوله أكر وأحمى الخ تبيين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لتلايفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزاً ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلاً غير تمييز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لهما مصبها وأضرب منا صفة للموارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح للعدة للطن فالمراد بالداعس الرماح الطاعنة ، وقرس مذك : تم سنهوكات قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كرنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقننا ذلك منهم بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَابِ

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْمَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : «العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصبر التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعنى عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مخفوض لفظا وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقض مصاحبا
للهم والحزن ، فهو نظير مامضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن الشجري
وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقض بالهم والحزن غير
مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفة فعاد الضمير المجرور
بعلی على غير مذکور فأني بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جنی وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن
قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا مجتمتع ، قلنا : في النثر
هذا شعر فيجوز فيه كقولہ * أما ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا الأمور
وقوله .

* تَرِمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرَمِي الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمخدوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول
كالسور واليسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفة ،
قاله ابن الحشاب ، وهو ظاهر التمسف .

* * *

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخُقُ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَى بِالسَّرَزِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفطة وصوابه أنه لحسيل بن عرفطة وجاء في شرحه
أيضا هذا البيت هكذا :

بآية ما وقفت والركاب وبين الحجون وبين السرر
وصوابه هكذا :

بآية ما وقفت والركاب بين الحجون وبين السرر
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّيحِ وَطَوْقَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفطة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب
مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متع.
بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف
أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دترودرس ، والسرر
موضع الجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجدناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عَزْلٍ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطفقوه وقبله » :

وقائلة ما باله لا يزورنا وقد كنتُ عن تلك الزبارة في شغلٍ
وبعد .

لهم أن يُمطرُوني بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماءَ المزنِ في البلدِ الحَلِ
فقد يَنْعِشُ اللهُ الفتي بعدَ عَثْرَةٍ وَتَصْطَنَعُ الحُسْنَى سِراةُ بنيِ حِجَلِ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :

قلت إذ أقبلتُ وزُهر تهادي كنعاجِ الفلا تَعْتَفَنَ رَمَلاً
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلما :

حَمَلِ القَلْبُ من حَمِيدَةٍ ثِقْلاً إنَّ في ذاكِ لِلْفَوَادِ لَشَفْلاً
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنْقَبَنَّ بِالْحَرِيرِ وَأَبْدِينِ عِيونَا حُورَ المَدَامِجِ نَجْلاً
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشياً رويداً
بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيئا على كرسية معمما
وإليك شرحه الذى فانتا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البندادى في الخزانة - وأولها :

عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَزَعْ قَفَا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفِ الْخَالِبِينَ كَلَمًا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبِنَانَ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشَى أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قِيَمًا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابِ الزُّمَمَا
وَقَمًا يَكْسَى مُمَالًا قَشَمًا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَهُ مُعَمَّمًا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أُعْجِمَا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تخضع والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب واللبن مفعوله على
تقدر اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أنمى : خبر كأن والسحيف الصوت
والأففى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى مل مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزهم جمع زام من زم القرية ملاءها . والقمع آلة تجعل فى
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شئ يكون ضغنا فهو
قشم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ، وقوله
محذوف ضمير الثمال وشيئا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى
تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعلام الشنتمري

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وهلاه فجعله
كشبيح مزمل في ثيابه معصب بهامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه
أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لسكان إياه
أي لسكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزنة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط
أميرية »

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّغْرِ مِثْلَاتُ نَزْوَرُ
وقد قلنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يجعل أن يوضع في موضعه
« البعاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بعاث الطير وبعائها :
الائتمها وشرارها وما لا يصيد منها ، وقيل الضعيف من الطير والمقلات : التي لا يعيش
لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلت المرأة إقلاتنهي
مقلات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والنزور : القليلة
الولد »

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأحنس على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي قَلْتُ مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قَلْتُ عِمَّوَا ظَلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع
في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول
هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَصَّاتُ بَعِيدَ وَهْنٍ بَدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

سِوَى تَرْحِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمَهَا مَخَافَةَ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ هَذَا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحفظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلما : أى تضموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاصة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا للمصراع من أبيات نسبت إلى
سيدنا هلى بن أبي طالب رضى الله عنه » وهى :

مَجِيئُ الْجَارِعِ بَاكِ مُصَابُ يَا هَلْ أَوْ حَبِيبِ ذِي الْكُتَّابِ
شَقِيقِ الْجَبِيبِ دَاعِي الْوَيْلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَى اللَّهِ فِيهِ انْطَلَقَ حَتَّى نَبَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى محابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادي : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لَاؤُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءِ يَتَعَاطِينَ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي جَوَارِ يَتَعَاطِينَ الْوَرِقِ

وزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يتناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحشن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدرام ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمدها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤية بن العجاج قال البغدادي : ولم أرهما فى ديوانه .
